

روائع المسح العالمي ٥٢

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

برجيني٢

بقلم **لهديك إسبن**
ترجمة **الدكتور على الراعي**
وتقديم **مراجعة الدكتور محمد مندور**

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والنشر

مقدمة

العقرب والفالكة الطرية

بقلم الدكتور علي الراعي

حوالي عام ١٨٦٥ ، حصل هنريك ابنس على عقرب ،
اتخذهُ رفيقاً له ، وجعله حشرة أليفة اليه ، يربيهما ويرقيها . بل
انه رأى في العقرب بعضاً من معنى الرمز ، فقد وجد تماثلاً في
الحال بينه وبين العقرب . كلاهما ينشط للرد لدى أقل بادرة
هجوم . وكلاهما يُفرغُ سُمّه إذا ما تكاثر عليه . يفرغه ويرتاح .
وفي هذا يقول ابنس في احدي رسائله :

« كنت وأنا أكتب « براند » أضع على مكتبي عقرباً في
قَدح فارغ من أقذاح البيرة . وبين الحين والحين كان العقرب
يشكو وتسلم ، واذا ذاك أضع في القَدح قطعة من الفالكة
الطرية ، فلا يلبث العقرب أن ينفض عليها في سورة غضب ،
ويفرغ فيها سُمّه ، ثم تبدو عليه علامات الراحة من جديد . أليس
هذا حالنا أيضاً ، نحن الشعراء ؟ » .

وكان السُم الذي تراكم في قلب ابنس في تلك الأيام كثيراً
حقاً . كان قد أتم كتابه أولى المسرحيات التي لفتت اليه النظر
فياً بعد — مسرحية « براند » ، ووافق مرغماً على أن تنشر

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

التى لم تنشر ، بل وعلى عمل آخر لم يكتب بعد ، وان كان المؤلف يزمع كتابته !

ولم يكن عجباً أن يأس ابنس من منح الحكومة ، فهو كان قد طالب بها عقب اغلاق مسرح كريستيانا ، الذى كان مستشاراً له ، فلم تجبه الحكومة الى منحة تفرغ ، وانما اكتفت بهمة مالية صغيرة يجمع بها ألحانا وحكايات شعبية فى منطقة الفيوردات فى غرب النرويج وهى الحكايات التى أفاد منها فى كتابته المسرحية التى أقدم لها هذه المرة — مسرحية بيرجيت .

وفى عام ١٨٦٣ ، طالب ابنس مرة أخرى بمنحة سنوية يعيش منها ويمارس عمله كشاعر ، فأعطى جنيهاً قليلة ، عوضاً عنها ، كمنحة سفر . وقد استغلها الكاتب فى اتمام مسرحيته : « المظالمون بالعرش » فى شهرين ، ثم سافر الى ايطاليا ، مخلفاً وراءه ديوناً كثيرة ، بلغ من كثرتها أن ظن صديق له يدعى دانكر أنه لن يعود ، فباع متاعه بالمزاد العلنى ! وكان بين هذا المتاع استكشآت لأزياء ومناظر مسرحية ، وبعض الرسوم الفنية بريشة ابنس ، وفضيات منزلية هى بعض من ارث تخلص الى زوجته . كل هذه ضاعت الى الأبد ، لأن صاحبها العبقري مفلس ، هارب يستحق أن يعرض فقره عرياناً أمام أنظار الناس !

فى طبعة محدودة ، وبأجر زهيد ، مقابل أن تخرج للناس قبل عيد الميلاد من عام ١٨٦٥ .

وانتهى العام والناشر يضرب موعداً بعد آخر لظهورها ، ثم لا يبق بمواعيده . وجاء مارس ١٨٦٦ ، ولم تظهر المسرحية بعد ، فكتب ابنس الى بيت الناشرين جيلدينثال ، فى كوبنهاجن ، موجهاً كلامه الى صديقه مدير البيت ، فردريك هيغل ، يشكو سوء حاله .

كان ابنس اذ ذاك فى ايطاليا يعيش هو وزوجته وابنه سيجورد عيشة الفقر المدقع ، يشترون الخبز بملايم قليلة ، والجبن الرخيص بملايم أخرى ، والبيذ الأحمر السائب (غير المعبأ فى زجاجات) وتطهو الزوجة الطعام فى مطبخ له قرن كقرن الخبازين ، وفى درجة حرارة ثلاثين مئوية !

كتب ابنس يقول لصديقه مدير دار النشر : ان الانتظار قد أضناه ، وان التضحية التى أقدم عليها (بقبول العرض المتواضع) لم تؤت ثمارها . وأن القلق قد شله شلاً ، فلا المسرحية تظهر ولا هو قادر على كتابة غيرها . وهو الى هذا لا يجرؤ على مطالبة الحكومة بمنحة تعينه على العيش ، انما كل ما يستطيع أن يفعله هو أن يرجو الناشرين أن يعطوه دفعة على الحساب ، ليس فقط بالنسبة لمسرحية « براند »

« قد أخذ النشاط جماعي وملاثنى القوة ، حتى لأشعر أنني
مستطيع أن أقاتل الدببة وأقتلها » .

هنالك جعل يغير ويبدل في احدى مسرحياته القديمة ،
ويفازل موضوعا لمسرحية جديدة (لم يقدر لها أن تكتب) ،
ويتأمل كتابة « الامبراطور والرجل من جليل » ثم —فجأة—
يأخذ موضوع « بيرجينت » بخافه ، ويملك عليه لبه .

كان اسبن قد استجاب للتغير البادى في حاله مع الناس
ومع الهة الحظ بتغير مادي ونفساني ملحوظ . أخذ يهتم
بلباسه ، فزاد من أناقته ، وغير من شكل لحيته ، بل غير أيضا
من خطه ، وبعد أن كان هذا لا يقرأ تقريبا ، أصبح واضحا
عمودى الأحرف .

ثم شملت الكاتب سادة داخلية ، انكسرت على عماله .
كانت العجامة والاصرار القاسى القواد على بلوغ الهدف
طابع المسرحية السابقة « براند » ، فلانت قاسمت بطل اسبن
في العمل الجديد « بيرجينت » وشملت رغبة عفريتية في
السخرية والضحك من الدنيا ومن الناس ، بل ومن نفسه هو
قبل كل الناس ! لكننا سحرت شمس ايطاليا الساطعة الطبيعية
القاسية في النورويج عن نفسها ، فحولتها ضحكات تتألق ،

وفي مرة ثالثة ، طالب اسبن حكومة النورويج بمنصب
مريح ، يستطيع فيه أن يكتب شعره ويكسب عيشه ، فعرضوا
عليه منصب موظف صغير في الجمارك . ورفض اسبن العرض ،
وفصل عليه أن يتصور جوعا .

وواصل من بعد فقره ومسعبته ، يكتب الخطاب الى
صديق ، فيجوه أن يدفع عنه ثمن طوايح البريد ، لدى وصول
الخطاب ، لأنه لا يملك ثمنها . ويرجو في مرة ثانية صديقا
آخر أن يتحمل عنه هذا الثمن لأن رسوم التخليص على خطاب
أرخص في الدينيرك منها في ايطاليا !

ثم يأتي مارس ١٨٦٦ فتشتر « براند » أخيرا ، وتستقبل
في النورويج استقبالا رائعا ، وتطبع ثلاث مرات قبل أن ينتهى
العام . وفجأة تشبل الدنيا بوجهها على اسبن ، فتعطي الحكومة
المنحة التى طلبها كشاعر ، وتزيد فوقها منحة للسننر لم يطلبها .
وكان اسبن يحب المراهنة ، ولكنه — حتى ذلك التاريخ —
لا يجرؤ على الانعاس فيها ، فاشترى — بعد أن تبدل
حظه — أوراق اليانصيب التى تصدرها الحكومة الايطالية
وربح فيها مرتين !

لا جرم أن أحس بالنشوة تملأ فؤاده ، وترفمه عاليا فوق
الرهوس ، فنراه في مايو من تلك السنة يقول في احدى رسائله:

فكرة مسرحية « عصابة الشباب » ورحل الى ألمانيا ، والسهم يقطر من روحه .

هاجم الناقد الدينيركي المرموق : كليمنس بيترسن ، « بيرجيت » فقال انها خالية من الشعر ، ثم مضى فاتهم ابسن بخداع قرائه خديعة فكرية . واستبد الغضب بالكاتب الكبير ، فأرسل الى الشاعر والمسرحي المشهور بيورنسون يقول : « لو كنت في كوبنهاجن ، وكانت لي بالناقد كليمنس بيترسين مالك به من وثيق العلاقة ، لأفنيته عافيته في قتال ، بدلا من أن أدعه يرتكب هذه الجريمة .. ضد الحقيقة والعدل .. ان مسرحيتي شعر فعلا . فان لم تكن كذلك الآن ، فستصبح شعرا في المستقبل . سيتغير بفضلها مفهوم الشعر في بلادنا ، في النرويج » .

وقد حدد ابسن مفهوم الحياة والشعر معا في بيتين هامين قال فيهما :

ما الحياة الا قتال الجن

في القلب والفكر

وما الشاعر الا من حكم على النفس بالحكم النهائي .

وهما بيتان بلخصان موضوع « بيرجيت » ، في نفس الوقت الذي يلخصان فيه حياة ابسن ذاته .

كان ابسن مسحورا بفكرة التناقضات الحادة في روح

وسخرية تلذع ، وشعرا راقصا مطلقا ، يتألف فيه الايقاع والثقافية ، فيخلقان الجوى الأثيرى المجنح الذي نجده في شعر ابسن في « بيرجيت » .

وأكمل ابسن « بيرجيت » في خريف ١٨٦٧ ، وأخذ يقرؤها لزوجته وولده بصوت عال ، وكان الولد اذ ذاك في السابعة . فلما وصل الكاتب الى ذكر الأم آس صاح الولد سيجورد : « الله ! هذه امي ! » وكانت الملاحظة في محلها ، فقد اعترف ابسن فعلا بأنه استعار بعضا من صفات زوجته لدور آس .

وظهرت « بيرجيت » للناس في كتاب قبل عيد الميلاد من نفس العام . طبعت في كوبنهاجن ، وقدت على الفور . غير أن النقاد لم يتفقوا جميعا على مدحها ، سواء في الدينيركي او في النرويج بل ان بعضهم اتخذ منها موقف العداء الصريح وفي النرويج بالذات ، هاجم المسرحية النقاد من كل صنف . وكتبت احدي الصحف تقول ، وقد لذت كاتبها نعمة التقدير الحراق الذي تخلل المسرحية ، ووجهه ابسن الى بنى وطنه : « حق له فعلا أن يضع على مكتبه عقربا ! » .

ورفع العقرب في نفس ابسن ذيله وتيميا لهجوم . وبدلا من أن يعود الى النرويج ، أخذ يعد العدة لقتال آخر ، فجاءته

مغلقا ، وأتفق على ثمره خطيئته من ماله القليل طيلة أربعة عشر عاما . ثم تخمرت الزلّة في ذاته الفنية واتخذت أشكالا متعددة. هي في « بيرجينت » تعكس بوضوح في العلاقة الشاذة التي أنشأها بير مع ابنة ملك الجان ، فكان ثمرتها أن أولدها ولدا ظلت تطارده به حتى أفسدت حياته القصيرة مع سولفيج في الفصل الثالث . وهي في مسرحية « براند » تبدو في حرمان ابنن لقسه المتجبر من ابنه الذي يجه . ان الولد يموت وتأتي العجربة لثرت ملابسه وأشياءه الصغيرة الأخرى ، وذلك تكفيرا عن زلة ارتكبتها أم براند ، حين رفضت خطيبا لها ، فتحطم قلبه وذهب من فورهِ فزنى مع جنية ما لبثت أن ولدت له جبرد، وهي نصف جنية ونصف بشرية ، ترمز الى الخطيئة التي تشوه جمال المثال . ترمز الى كنيسة الشيطان التي تودى بالكنيسة العظمى التي ظل براند يحلم بها ، وفقد حياته في سبيلها .

كان ابنن اذن ، يخزن ذكرياته المريرة ، ويشقى بها ، ولكنه يعترضها مادة لفته . كان يعيش هذه الذكريات الى الحد الذي تصبح فيه الذكرى هي الحياة الحقّة ، وتصبح الحياة الواقعة ظلا أو خيالا . كانت الذكريات تسكنه ، كما تسكن الأرواح بيتا مهجورا . لهذا أصبح الماضي بالنسبة له شيئا هاما ، وتشكّلت به عواطفه ، وصنعت المسرحية . وفي

الانسان . كان هو نفسه شخصية منقسمة على ذاتها ، فهو عبقرى كبير في آماله ، وتطلعاته ، وما يأخذ به نفسه من أهداف في الأدب والفن وحياة الروح ، وهو في حياته العادية قزم خجول ، كثيرا ما يهبط عن المستوى الذي حدده لنفسه في الفكر والثورة⁽¹⁾ . وكان بين « الرجلين » صراع مر دام حياة ابنن كلها . صراع بين الوضاعة والسو في روحه . كان البشرى العادى في نفس ابنن يزل ، فيتلقفه المثالى باللوم والتقريع ، بل وباللكى بالنار جزاء ما قدمت يداه . ولا تنتهى المشكلة عند حد الجريمة والعقاب ، بل تبدأ الدائرة من جديد : خطيئة تلوها ندم . فلا الندم يكفر عن الخطيئة ، ولا الميل الى الزلل يحمو العقاب . بل ان ابنن كان يكتنز في صدره ذكريات خطاياها ، ولا يدعها قط تنساب الى ظلال النسيان .

في سنوات حياته الباكّرة ، حين كان الشقاء ضيفا دائما عليه في جريمستاد ، اتصل وهو في الثامنة عشرة بخادمة تكبره بعشرة أعوام ، فحصلت منه سقاها . وكان الذنب في هذا—في الغالب— ذنب الفتاة . ولكن ابنن لم يغتبر لنفسه قط هذه الزلّة ، فقد شملته المعركة بسببها طول حياته . ظل يطوى عليها صدره سرا

(1) كان يسير ذات مرة مع فتاة خطيئها لنفسه ، فراه أبوها ، فأسلم ابنن ساقيه للريح . وبهذا فقد الفتاة الى الأبد .

وخاضه أيضا كل من مسز الفنج وولدها اوسوالد ، اذ هما يحاولان الهرب من أشباح الماضي -- أخطاء الزوج والوالد ، والميراث الذى تركه الوالد للولد من مرض وسكر ، وأخطاء الزوجة التى تركت نفسها تقع عبدة لواجب مزيف فرضته على نفسها .

ونازل الماضي أيضا روزمير ورييكا في « بيت روزمير » ووقعا فريسة له في النهاية ، اذ لم يستطيعا منه خلاصا . ونازله كذلك بيرجينت واتصر عليه اتصارا ان يكن مؤقتا فهو على الأقل يغرى بشيء من الأمل .

وبيرجينت شاب قروى ، فقير ، يشعر بالمرعة من فقره ، ويعيش بروحه على الأحلام . هو كذاب جمعاج ، كسول ، ولكن المرء لا يملك الا أن يجبهه ، بل ويشغف به . فورا شطحات خياله المضحكة ، وأكاذيبه التى تثير الأعصاب ، تكمن مأساة الانسان وشاعريته معا : اضطرابه الذى لا مفر منه الى العيش في الواقع الكالنج ، وتمرده الذى لا يهدأ على هذا الواقع ذاته . وخلف منظر بيرجينت الرث ، وجبهه البادى وولعه بالشراب ، تطلع جسور الى مثل أعلى يبدو مستحيل التحقيق لمن هو -- في الظاهر -- أكثر منه شجاعة . هو يتطلع دون تلبث الى حياة الروح الرفيعة متمثلة في سولفيج ، ذات

هذا يقول ايسن : « الشيء الذى فقده هو وحده الذى نملكه » . ويقول أيضا : « ما هو كائن لا وجود له . وما ليس كائنا هو الوجود الوحيد » . ويعنى بالقولين اننا اذ تفقد الشيء العميق الأثر في نفوسنا -- عاطفة ، أو شيئا عزيزا أو شخصا نجه ، يتبلور أسانا عليه الى الحد الذى يتجسد فيه الفقد داخل أنفسنا ، فيستوى شيئا أو شخصا موجودا بالفعل في حياتنا وتجه أفكارنا وعواطفنا اليه حتى يصبح هو والماضى الذى يلفه أهم ما في حياتنا من وجود . بينما يتضاءل وجودنا في الحاضر الى مكان ثانوى ، لا أهمية له » .

لكل هذا أصبحت ذكريات ايسن حقائق مجسدة موجودة دائما في نفسه . أصبحت شخصا درامية تعيش داخل فكره وقلبه . ودخل الفنان المفكر معها في صراع مر ، هو الذى يشير اليه الشاعر ايسن حين يقول :

ما الحياة الا قتال الجن في القلب والفكر .

قتال ، يهز كيان الفنان هذا اذ هو يحاول التصدى للماضى ، مناجزا أشباحه ، متحديا اياها أن تقتله والا قتلها . مثل هذا القتال خاضه براند ، اذ هو يناجز الخطيئة الأولى التى هوت بآدم من النعيم الى الأرض ، فحققت عليه اللعنة . فترى براند يتحدى آدمية الانسان وضعفه الطبى ، ويطلب اليه أن يرتفع عن الأرض مطلقا مرة أخرى في السماء .

الخامس ، يعمن بير في الطريق المؤدية الى الاستسلام الى رهط الترول (١) ، أى الجن أو الأوهام التى تعشش فى أرواح البشر ، وتمثل فيها قوى الشر التى تمثل الارادة البشرية فى كثير من الأحيان ، وتسيطر على أفعال الناس .

ويتزلق بير عبر مغامرة هوجاء وليلة عابثة مع راعيات ثلاث للبركن على اتصال بملكة الترول — يتزلق فاذا هو يغازل ابنة ملك الجان ، وتبدو لعينيه مليحة ولطيفة ، رغم ذيل البقرة الذى يلتصق بها . وتقوده الفتاة بعد أن يبذل لها من العهود والمواثيق ما يدير الرأس ، تقوده الى الملك ، الذى يرحب به ، ويرتضيه زوجا لابنته بشروط : هى أن يتطبع بطباع الجان وعاداتهم ومظهرهم (وان كان لايمهم أن يمتنع معتقداتهم ، فالمظهر فى مملكة الجان هو العمدة ، وما عداه ثانوى) ، وأن يلمس فى مؤخرته ذيلا ، وأن يفقا أحدى عينيه ليرى الأمور من وجهة نظر الترول .

ويلقن الملك صهره المقبل الفرق بين الترول والانسان فيقول : ان شعار الترول هو : اجعل فى نفسك لنفسك الكفاية . أما شعار الانسان فهو : كن أميناً لنفسك .

(١) لا يوجد مرادف دقيق لهذه الكلمة النورويجية فى أبة لغة . والمعنى الذى أوردته هنا تقريبى .

البراءة العذرية والجمال الأزلى ، ولا يتردد فى أن يعرض عليها قلبه وروحه — هو الفقير ، الهزأة — هو الخاطيء العاصى ، هو المجنون الذى لا صبر له على حياة العقلاء .

وهو فى سبيل سولفيج يخوض نضالا روحيا طويلا مع « الجن فى القلب والفكر » . يحارب وضاعته وجبنه ، ونزواته التى تدعوه الى الثورة العارمة ، بلا تعقل ولا تبصر ، كما فعل حين خطف انجريد فى حفلة العرس ، فجلبت بهذا الشقاء على أهلها وعريسها ، وباعد ما بينه وبين أمه ، ونفى نفسه من حياة « العقلاء » فى الوديان الى حياة المتسكعين المنبوذين ، طريدى القانون ، فى أعالي الجبال .

فعل كل هذا لأنه استمع الى صوت « الجنى » فى نفسه ، فشرب وتعارك ، ونسج أكاذيب الخيال ، وجعل نفسه هزأة ، ومضحكة فى حفل العرس ، فلما رآته سولفيج على هذه الحال ، رفضت أن تتحدث اليه ، أو تستمع الى نداء قلبه ، أو أن تراقصه أو حتى أن تكون معه على وفاق .

هنالك ثار ، وعاقب نفسه ، وعاقب غيره ، فخطف العروس انجريد ، ومضى بها مصعدا فى قمم الجبال ، ليتركها من بعد ، وحيدة ، فريسة لشهواته ، بعد أن قضى منها وطره .

من هذه اللحظة حتى اللقاء الأخير مع سولفيج فى الفصل

قدوتى الطبيعية على الابصار ؟ ويرد الملك : بل لن تسترد
بصرك المألوف قط :

هنالك « شور » بير جينت على هذا العسف ، ويقرر
الهرب من مملكة الجان . ولكننا ثورة انتهازية مفتعلة . هو
لا يحارب بها من أجل الشرف ، وانما يريد أن يحتفظ عن
طريقها بقدرته على اقتناص القرص .

هذا هو السر فى أنه يمضى قدما فى طريق التروول ، حتى
بعد أن يقلح فى الهرب من مملكتهم . انه — دون أن يدري —
يعتق شعارهم الذى ثار عليه فى الظاهر . وحين يقابله التروول
المسمى بويج (معناه : المنحنى) يلقنه المفهوم الواضح الصريح
لشعار التروول . يقول له : لا تتجه قط فى خط مستقيم . وانما
در ، وراوغ ، ولا تقرر شيئا . اترك الجسور سليمة وراءك
لترتد اليها فى أى وقت . فكر فى الحلول التوفيقية ولا تحسم
شيئا .

و حين تعرض لبير فرصة العيش السعيد مع سولفيج
(الفصل الثالث) يجد نفسه غير قادر ولا هو مؤهل لتحمل
هذا القدر النقيس من السعادة الروحية . ان سولفيج قد
تركت الأب والأم من أجله ، وتخلت فى سبيل العيش معه عن
كل ما لها . وها هو ذا — بدوره — ابتنى لها فى الغابة بيتا

والفرق بين الشعارين واضح . الأول يدعو المرء الى أن
يعيش لذاته ويدافع عن بقائها بالحق والباطل ، لا يهم ان أصبح
فى هذا انتهازيا . والثانى يهيب بصاحبه الى أن يستمسك بالمبدأ
الشريف ويناضل فى سبيل تحقيقه . انه يدعو الى أن ينلص
الانسان لأحسن ما فى نفسه ، وأن يناصر الخير فى روجه على
حساب الشر .

الشعاران على هذا هما وجهان للخير والشر فى روح
الانسان . الصراع بينهما يستمر طوال المسرحية فى روح
بير . وفى هذه اللحظة التى يقف فيها بير أمام ملك الجان ،
ملوثا بمغامرته مع رعايات البقر ، منبوذا من قلب سولفيج ،
مطرودا من دنيا « الفضلاء » وقارئى الانجيل ، تملو فى روجه
موجة الانتهازية ، ويلوح له طيف الملك والسultan فانتسا ،
مبشرا ، فيقرر أن يعيش مع الجان وينحو نحوهم .

ولكن الثمن الذى يطلبه الملك فادح حقا . انه يريد من
بير استسلاما دائما . وبير — ككل انتهازى حق — يود
لو يستسلم مؤقتا ، ليعود من بعد الى طريقه المألوف . لذلك ،
يقول للملك : اذا أنا وافقت على أن تسلم عيني ، فمتى أستعيد

الخير اطلاقا فيفر منها ، ويزعم أنه غير جدير بها ، فترك سولفيج
وما ضحكت ، وهرب ، مرجئا فرصة التوبة الى وقت آخر !
وتموت أمه آس في نهاية هذا الفصل ، فينقطع عنه ، من
تلك اللحظة ، عون المرأتين اللتين ناصراته دائما ضد كل الدنيا ،
و ضد شرور نفسه . ويقول بير « لكاري » ، للمرأة التي
صادقت أمه وعاوتهتا حتى المات : احرصى على أن تدفن أمى
في شرف . ثم يمضى عنها وهو يقول : سأركب البحر . وتسألها
المرأة : أتذهب هكذا بعيدا ؟ فيقول : بل وأبعد .
وبعيدا حقا ذهب بير ، معنا في الطريق ! لقد أصبح من
بعد رأساليا كبيرا ، وتاجر عبيد ، وموردا للأصنام ، ومناققا
باسم المسيح في ربوع الصين ، كما ناصر الاستعمار على
ضحاياه ، وباع السلاح لمن يملك الثمن ، وادعى النبوة ، وعبد
الجسد ، وصلى للشهوات وانتهى به المطاف في مستشفى
للمجاذيب بالقاهرة ، حيث أطبق عليه النزلاء وأوقموه في
الوحل ، ووضعوا على رأسه تاجا من قش ، وأعلنوه امبراطورا
لعباد بالذات !
وبهذا حقت عليه لعنة الشعار الذى اتخذها هاديا : « اجعل
من تسلك لنفسك كهاية » .

وهيا مكانا وثيرا . غير أن شبح خطاياها السابقة سرعان ما يفرق
بينهما . ان ابنة ملك الجان لا تلبث أن تظهر له ومعها ثمرة
خطيئته : الولد الشائه الذى ولدته له . الولد الذى « خرج
من أفكار وشهوات » كما تقول أميرة الجن .

ويتذكر بير ما قاله له البويج : در دائما وراوغ ، و اترك
وراءك الجسور سليمة لترتد . ويجد أن الطريق المستقيم بينه
وبين سولفيج غير مهيا — الآن على الأقل — فيقرر أن يكون
انتهازيا مرة ثانية ، ويترك سولفيج بدعوى أنه غير أهل لها .
على أن بير كان يكذب على نفسه — كدأبه حتى الآن .
فليس صحيحا أن الطريق الى سولفيج لم يكن مهيا ، فما كان
أهون عليه — لو أراد — أن يندم على ذنبه ويعلم — مخلصا —
توبته . هو نفسه يقول هذا حين يشير الى آية في الانجيل تحض
على الندم والتوبة . ولكنه في حقيقة الأمر لا يريد . ان ظهور
أميرة الجن وابنها ان هو الا رمز لعودة قوى الشر في نفسه الى
السيطرة عليه . فكأنه وقد ابنتى لسولفيج البيت ، وتهاى الظرف
لتوبة وتبتل — كأنه قال فجأة ، وقد مالت في نفسه كفة الانتهاز:
ومالى أتوب الآن وما زالت في العمر بقية لمزيد من امتاع
الذات ؟
هنالك تلقف بير عذر كل جبان مخاتل تطبق عليه فرص

تتبن له النتيجة المحتومة لكل عابد لذاته . بعد أن يعرى البصلة من قشرها فلا يجد لها جوهرها ، وبعد أن يصلى دوماً في معبد الذات فينهد المعبد عليه ، وينتهي أمره الى معرفة صانع الأرزار . هنالك تبدى له سولفيج من جديد . يسمع غناها هو وصانع الأرزار ، فيقوى قلبه ، ويتبين طريقه اليها — الطريق المستقيم ، الذى يدور ولا يراوغ ، وانما يقرر ويتجه الى تنفيذ القرار .

وتحتضنه سولفيج ، وقد أضحت الآن امرأة عجوزا ، وتضمه الى صدرها ، وتغنى له أغنية من أغاني الأطفال . أجل فهو الآن طفلا الذى طال ضلاله وتكبه للطريق . وهى الآن امرأته وأمه معا . هكذا يدعوها بير ويضيف انها امرأة مقدسة ، ويهيب بها أن تحبّه — من الموت والفناء — فى ثنايا جها . وتنتهى المسرحية وقد مالت كفة الميزان لحساب الخير ، وحلت المتناقضات فى روح بير .

ولكن صانع الأرزار ما زال يلح :
سنلتقى فى آخر مفترق للطريق يا بير . واذ ذاك نرى .
نرى ماذا ؟ لا يقول صانع الأرزار ، وانما يلتحف بالصمت
البليغ .. !

ويعود بير جيت من أسفاره الطويلة الى النرويج — عجوزا ، لوحته صروف الزمن ، وقست ملامح وجهه ، وانطوى — أكثر مما كان — على ذاته . يعود بلا قلب ، الى مسقط رأسه ، ومهد طفولته ، لينكر على الناس أن يكون لهم أولاد ، مادام هو لا ولد له . وليعلن أنه يستحق الحياة — هو العجوز — قبل الشباب ، لأنه لم يبق له فى العمر طويل بقية . ويقابله الموت فيطالب بجسده ، ولكن بير يفر منه ، مستعيذاً ، ساخطاً ، ويقابله أيضاً صانع الأرزار ، ويلح عليه فى أن يسلمه روحه ، لتلقى فى معرفة الصهر ، ويعاد تشكيلها من جديد ، بوصف أنها بضاعة تالفة ، لم يحسن مصنع الحياة اخراجها ، فلم تبلغ هدفاً ، وأصبح حتماً أن تصهر من جديد . ويدخل الاثنان فى نقاش طويل ، يحاول صانع الأرزار أن يثبت به أن بير جيت قد كان مجرد خاطىء تافه ، لا يحسب له حساب . وهو من أجل هذا لا يستحق الخلود فى نار جهنم ، شأن العصاة الكبار ، وانما يليق به فقط أن يعود الى مادة الخلق الكبرى ، ويندمج بها ، فاقدًا بهذا كيانه وشخصيته وفى هذه اهانة ما بعدها اهانة لإنسان أفنى عمره فى عبادة ذاته وتوكيدها على حساب كل القيم وكل الناس .
وازاء هذا المصير المنزع ، تصح توبة بير جيت ، بعد أن

يتناهى حتى يصبح قدسية في حياة فاوست هيلين وفي حياة
بير سولفيج . وكلاهما قد ارتكب الخطيئة ووقع في برائن الشر ،
غير أنهما قط لم ينب عن بصرهما طويلا طيف الحق والخير .
أما ما يربط بينا بير جينت وبرانند فهو علاقة النقيض
بالتقيض برانند جهم قاسى القواد ، يسعى الى هدفه في خط
شديد الاستقامة ، ويلبغه على أشلاء حبه وحطام قلب أمه ،
وجثة ابنه ، وحياة زوجته . أما بير ، فهو يظل يدور ويدور
طوال حياته ، حتى يوشك أن يتلف فليجأ في اللحظة الأخيرة
الى الطريق المستقيم . وهو غير نافر من متع الجسد والقلب ،
ولا هو شاك السلاح دائما في سبيل الدفاع عن مبدأ يراه
بوضوح ويؤمن به .

انه في تردده ، وبحثه الروحي والفكرى الطويل ، أقرب
ما يكون الى هامليت . هو كالأمير الدينركى في مخاوفه
وتردده ، وفي حيرته على مفترق عديد من الطرق . وهاملت ينحو
نحو بير — وإن اختلف المعنى — حين يقطع الحلقة المفرغة
بحد سيفه ، ويمضى أخيرا الى الطريق المستقيم — طريق الفعل ،
بعد أن ظل طريق الفكر سبيله الوحيد .

قال إبسن في وصف مسرحية « بيرجيت » انها نبت

لعله يريد أن يقول : نرى ما اذا كان حب سولفيج لك ،
والتجاؤك اليها قادرين على انقاذك من معرفة الصهر !

في بير جينت لمحات قوية من دون كيشوت ، وفاوست .
وله أيضا وثيق الصلة بالقس الجهم برانند ، في مسرحية إبسن
التي تحمل هذا الاسم .
وهو كذلك يرمز للانسان ، مثلما ترمز اليه شخصية
هامليت .

له من دون كيشوت شطحات الخيال التي تجعلنا تتراوح
بين الهزة به والعطف عليه . وله أيضا ما للفارس الأسباني من
تعلق ساذج مؤثر بالمثل الأعلى الجميل الذى يسعى وراءه
وتناله في سبيله الاهانات ، بل وتدفع عينه ويسيل دمه فداء له .
وله من فاوست هذا الميثاق الذى يعقده كلاهما مع
الشیطان ، لقاء متع الدنيا ولذة الجسد . وله كذلك ضجر
فاوست بحياة الناس العادية الرتيبة ، وتطلعه الى حياة أسمى
منها وأمتع ، وانقسام روحه بين الأرض والسماء والسعى
الدائب وراء هدف مستحيل البلوغ ما دامت روح الانسان
تسكن في هيكل من لحم .

وفي حياة كل من فاوست وبير مثل أعلى للجمال الذى

نفسها . انها الى جوار ما تقدم ذكره من اتساءات الى شخصيات أدبية عالمية ، تمثل الشخصية النورويجية ، خير تمثيل . ويذكر ابنن انه وصل اليها عن طريق شيء من تحليل الذات . أى أنها تمثل هو الى جوار انها تمثل مواطنيه . وقد حصل ابنن على اعتراف صريح بنسب بيرجينت وأصله النورويجي ، فى رد الفعل العنيف الذى أحدثته المسرحية فى النورويج . لقد اعتبرت سخرية من الشخصية القومية للبلاد ، وتحير موقف الناس منها بين الاعجاب والسخط الشديد . الاعجاب بالقروى الشاعر الكذاب ، الذى يشتمل خياله لأقل بادرة ، فيجمل الواقع بالكاذب الساحرة ، ويحيل القصص القديمة المتهالكة جديدة فتانة بمجرد روايته لها . والسخط الشديد على هذه الصفات نفسها ، وعلى ما جاء فى المسرحية من سخرية شديدة من رجل الأعمال الناجح ، الذى يبدأ عصاميا ، ثم ينقله نشاطه ، وذاكاؤه ، وقدرته الخارقة على سرقة اللقمة من أفواه ضحاياها الى مرتبة الرجل العظيم المحترم .

لقد كان ابنن شديد الرغبة فى فضح هؤلاء الناجحين ، بدليل ما فعل فيما بعد بكل من هيلمز (بيت الدمية) وبيرنك (أعمدة المجتمع) كما كان دأب السخرية من مواطنيه فى النورويج ، الذين كانوا يتظلمون الى محاكاة جارثهم البعيدة

من تلقاء ذاتها بعد مسرحية « براند » . ولعله بهذا كان يشير الى حقيقة بعينها ، وهى أنه هنا ، وفى هذه المسرحية فقط ، قد أطلق العنان لخياله ، وترك نفسه على سجيته ، فاذا به يكتب متأثرا بشمس ايطاليا الساطعة ، وبالخط الذى كان قد تحول اليه ، فتخرج من قلبه قصيدة درامية مليئة بالحياة ، استمد بعضها مما جاء فيها من تجارب شبابه ، ورسم أمه فى شخصية آس⁽¹⁾ ، وأخرج صوراً كاريكاتورية لبعض شخصيات عصره ، ثم ملأ مسرحيته بكثير من الاقتباسات من أعمال أدباء آخرين مثل هانز كريستيان أندرسون وبيورنسون ، وجوته ، مما دفع نقادا من أمثال « بول » ومارتن لام الى تسجيل شدة وثوق ابنن من اصالته ، واعتماده الكبير على قدرته على اظهار هذه الاصالته ، وسط هذا الحشد الواضح من الاقتباسات من أعمال الأدباء وأقوالهم الى جوار العديد من آيات الانجيل . والواقع أن أصالة ابنن تبدو فى هذه المسرحية فى أسطع وأنصع صورها .

أما السبب الأساسى فى هذا فمردده الى شخصية بيرجينت

(1) هكذا يقول ابنن نفسه . ولكن راجع ما تقدم من وصف ابنه سيجورد لشخصية « آس » بانها صورة من أمه ، أى زوجة ابنن .

الناجحة : بريطانيا . فكان يقول : ان أهل التورويج يريدون ان يتنازلوا عن انسانيتهم ويصبحوا انجليزا !

ولكى يضمن اسبن مسرحيته المعاني الكثيرة التي أشرت الى بعض منها لجأ الى أسلوب الحكاية الخرافية في بناء مسرحيته . انثالا نجد هنا البناء المحكم الذي اشتهر به اسبن ، وانما طريقته سهلة هينة في اختيار الأحداث وفي نمط تتابعها .

فالمشاهد التي يغلب عليها الرمز ، مثل مشهد مسلكة الجان ، ومشهد صانع الأزرار ومشهد المسائر الغريب فوق السفينة وفي الزورق ، تتساوى في الأهمية المعطاة لها مع المشهد المؤثر الذي يدور بين بير جينت وأمه حين تحضرها الوفاة ، ومع تلك التي تدور بين بير جينت وأيترا ، أو بينه وبين مجازين القاهرة ، أو مع مشاهد أخرى قصيرة مثل مشهد اللص وبائع المسروقات .

كل هذه المشاهد تتتابع في سهولة ظاهرة ، ويعبر ارتباط واضح ، ولكنها في الواقع لازمة جميعا لنقل المعنى الكلي للفرسية . والتفاعل الذي يتم بين بعضها البعض هو الذي يفضي على المسرحية كل هذه الحيوية التي نجسها فيها ، ويخلق عليها السذاجة اللذيذة التي تبدو هنا ، خاصة في مشاهد الفصلين الأول والرابع حيث يجري بير وراء أفكاره النشوى المجنونة

بير : بانج ! أطلقت عليه رصاصة . وقع الغزال بكل ثقله بين الأحجار . وفي غمضة عين كنت راكبا على كتفيه ، ممسكا بأذنه اليسرى . وإذا أنا موشك أن أعمد سكينى فى نحره — هى ! ، هب الوحش البغيض واقفا وصرخ ، ثم دفع برأسه فى الهواء وقذف بالسكين من يدى قذفا ، ثم اذا هو يستل قرونه ويخزنى بها حتى الصلب ، ويمسك برجلى فى قبضة من فولاذ . ثم انطلق مسرعا كالبرق ، بحذاء حافة جيندين .

آس : (دون وعى) يا اله السموات !
بير : أتعرفين الحافة ؟ تمتد نصف ميل من بدايتها حتى المنتهى ، حادة كأنها المنجل . والى أسفل ، وراء الثلجات ، خلف المنحدرات والوديان العميقة الشسهاة ، ترين على الجهتين ، على منخفض مقداره ألفا قدم وأكثر ، مياه البحيرات الصامتة المتأملمة . بحذاء هذه الحافة شققنا طريقنا فى كبد السماء ، آفا والغزال . يا لها من رحلة ، ويا له من جواد ! على البعد البعيد منا كانت الشمس تشرق على الثلجات وفى الفراغ المخيف الذى

بالأسابيع سعيًا وراء نزواتك الراقصة فى الجبال ، تسرق غزال الرنة فى الجليد ! غير أنك تعود وقد مزقت منك الثياب — فأين سيدك ؟ وأين سلاحك ؟ تظن أنك تستطيع خداعى بقصص للصيد سخيفة مخترعة ! قل لى أين رأيت هذا الغزال ؟

بير : قرب جيندين .
آس : (فى ضحكة هازئة) مقول هذا !
بير : كنت مختبئا فى دغل ، محتفيا به من ريح مثلجة . وكان هو راقدًا فى الجليد ، يبحث عن نبت يأكله .

آس : (نفس الهزة) لا يا شيخ !
بير : كنتم أنفاسى ، ووقفت أستمع ، فوصلنى صوت حوافره تآكل فى الجليد . ثم رأيت قرونه العظيمة ، فزحفت ببطىء على بطىء ، متجها الى أمام . كانت الأحجار الصغيرة الناعمة تغطينى . فأخرجت رأسى من مخبئه . يا له من غزال ! ناعم لماع ، مكتنز الشحم ! لم أكد أصدق عينى .

آس : لم تكذب !

انقمذ بيننا وبين تلك البحيرات المظلمة بدا لنا أن
نسورا مذهة تهيم في الهواء ثم تسقط مبتعدة
كأنها ذرات الغبار تسبح في ضوء الشمس .
وكانت هيرات الثلج تزجر وهي تسقط ، ولكن
صوتا ما لم يصلني ، فقد كان جن الجبل يمرقون
من حولنا ، راقصين ، مغنين ، دائرين سابحين ،
كانما هم سكارى ، فحجبوا عنى البصر والسمع
معا .

أس : (توشك أن يغى عليها) آه ، يا رب رحمتك !
بير : وفجأة هب طائر عظيم من طيور القطا ، ناهضا
في الجو من مخبئه الحافل بالخطر ، على شفا
صدع كبير في الجبل ، وتحت أقدام الغزال
تماما . هب مصوتا ، ضاربا الهواء بجناحيه
العظيمين ، فرعا . ودار الغزال حواله ، ونهض
برجليه الأماميتين ، ثم قفز قفزة فاذا بنا معا
مندفعان في الفضاء الخيف .

أس : (منبهة الأنفاس) بير ! ارحمنا يا رب ! أكمل
سريرا !

بير : والتقى الغزال القادم من الجو بالغزال الساكن
في الأعماق ، وارتطمنا في صوت عظيم ، ودفعا
بزبد الماء أميالا عديدة في دائرة كبيرة . وهكذا
وصلنا ، ونحن أقرب الى العرقى منا الى الأحياء .
ثم استطلعنا أخيرا أن نهروا الى الشاطيء
الشمالى . سبح الغزال وتعلقت أنا به بكل قواى
الى أن — ها أنذا !

أس : (تبعر أس وتمسك بجذع شجرة) . خلفنا
الحائط الجبلى العملاق ، وتحتنا هوة بلا قرار!
مررنا في سقوطننا بطبقات من السحاب ، ثم

أس : ولكن أين الغزال ؟

بير : الغزال ؟ ربما لا زال هناك .

بير : بل لى أنا أيضا . وما دام هو فعلها ، فلم لا أفعلمها
أنا ؟

آس : (مغضبة) آه ، شد ما تستطيع تجميل أكاذيبك ،
وظلاءها ، والباسها الزاهى من الثياب ، لتخفى
جلدها المتعفن وعظامها البارزة . فى هذا تنفق
وقتك ، تبني قصورا فى الهواء ، مخترعا ومتخيلا ،
راكبا جناح نسر ، أو مطلقا أكاذيبك بالشمال ،
وباليمين ، مهرفا بكل فارغ من الكلام حتى
ليختلط الأمر على مستمعيك ، فلا يعودون
يدرون حقيقة ما تقول أم خيالا .

بير : لو غيرك قال هذا ، لما أضعت وقتى فى التردد ،
إذا لالقيته على الأرض من فورى .

آس : (تبكى) آه يا ربى ، يا ليتنى مت قبل هذا ،
ووريت أعمق التراب ! حتى الدموع والصلوات
لا تترك فيه أثرا . أنت ملمون — هذا كل ما فى
الأمر .

بير : يا أعز الناس — يا أمى الصغيرة المليحة كل
ما تقولينه صحيح ، ولكن لم الأسى ؟ هونى
عليك !

(يفرغ بأصابعه ، ويدور على قدمه) .
حلالي بلالى^(١) ! اذهبى وانظرى بنفسك .

آس : ولكن كيف لم يدق عنقك ؟ رجلاك سليمان .
انك حتى لم تكسر عمودك الفقرى . لله الحمد !
لنسيح بحمد الله فى فرح ، فقد حمى ابنى العزيز !
سروالك ! .. انه حتى لم يتمزق ! ولكن هذه
قطعة فرعية ، ما دمت قد نجوت من شر ما كان
يتأتى من سقطه مخيفة كهذه !

(فجأة توقف ، وتحقق فيه مفتوحة العينين ،
والغم ، وقد انعقد لسانها ، ثم تصيح فجأة أيضا) .

آه ، أيها الكذاب ! آه ، أيها الشيطان ! آه ،
يا الهى ! يالها من أكاذيب ، يالها من أكاذيب !
تذكرتها الآن جميعا ! أسمعت هذه القصة أول
مرة عندما كنت فتاة عذراء . هذه القصة الخرافية
التي حكيتها لى الآن ، حدثت بحذافيرها لرجل
يدعى جوديراند جلسن ، ولم تحدث لك .

(١) تعبير دارج يقابل تماما العبارة الانجليزية الدارجة ،
findings keepings التي يستخدمها النص
ومعناه : حلال لى ان اتملك ما أجده صدقة . (المترجم) .

أس

: اسكت ! أهون على ؟ وكيف تأتيني السعادة ؟
ربيت خنزيرا ولم أرب ولدا . يا لها فضيحة
صارخة أبدية ، أن تضطر أرملة فقيرة عزلاء الى
الاطراق خجلا من أعمال ابن لها .
(تعود الى البكاء) .

بير

أس

ماذا بقي من المال الكبير الذى كان يملكه جدك
الغنى ؟ أين النقود السائلة التى تركها رازماس
جينت ؟ طارت ، اختفت ، بددت ، ذابت ! سألت
كالرمل خلال أصابع أيبك ذى اليد المبسوطة .
اشترى أرضا هنا ، وأرضا هناك ، وأرضا فى كل
مكان . وركب عربة مذهبة يجرها جوادان . أين
الآن ما أتفق فى تلك الوليمة المشهورة أقامها
ذات شتاء ، حين شرب المدعوون وألقوا وراءهم
الأقداح فتشمست على الحائط ؟

: أين ثلوج شتاء مضى ؟

بير

أس

: احفظ لسانك حين تتكلم أمك . انظر حواليك
الى منزلك البديع . نصف نوافذه لا يسدها
الا الخرق ، وأسواره وأخشابه المحيطة وأعشابها
كلها جاثية على الأرض . والمأشبية فى العراء دائما ،

هبت الريح أم سقطت المطر ، والمروج لا تمسها
يد العناية قط ، وكل شهر يقع على رأسنا حجز
جديد .

: كفى عن النواح والعيويل . أنت تعلمين أن
المصائب لا تأتى فرادى . قد أدبر الحظ عنا ولكنه
سيعود .

: والأرض التى كانت كثيرة الخصب ، أضحى الآن
ملحة . ولكنك تتبختر وتختال ، متألقا ، راضيا ،
رشيقا مثلما كنت يوم جاء ذلك القس من
كوبنهاجن وسألك عن الاسم الذى عمدت به ،
اذ ذلك أقسم القس أن أكثر أهل البلدة علمسا
خليقون أن يحسدونا على ابنتنا هذا اللامع
الذكاء . واستخف الطرب أباك فمنح القس
جوادا ثم عربة انزلاق ، تحية منه لتبأسه . فى
تلحم الأيام كان كل شيء على ما يرام . كان رجال
الكنيسة ورجال الجيش ، وكل ذى سمعة وجاه
يفشون بيتنا دواما ، يأكلون ويشربون حتى تكاد
تنشق منهم البطون . الفقر يزينا حقيقة الناس .
ما أن أعرضت عنا آلهة الحظ ، وولت أكياس
أموالها حتى أصبح هذا البيت قبرا مهجورا .

- بير : من ذا الذى أرجف لك بكل هذا ؟
آس : (فى انفعال) زوجة العامل الزراعى . لقد سمعت الصرخات .
بير : (يدلك كوعه) كنت أنا الذى صرخ .
آس : أنت ؟
بير : نعم ، أنا . أنا الذى ناله الضرب .
آس : ما هذا ؟
بير : هل شعرت بوطأة عضلاته ؟
آس : عضلات من ؟
بير : عضلاته . عضلات أسلاك . أنا شعرت بها !
آس : يا رحمة الله ! انك تحملنى على التقيؤ . هذا الكسول السكير ، الخبيث النظرات ، هذا العاطل المخمور المخبول ، هذه الكتلة اللحمية الفارغة العقل ، قد ضربك هكذا .
(تاخذ فى البكاء من جديد) .

قد تحملت بسبك العار واحتقار الناس ، ولكن هذه ، هذه ضربة أكبر من أن أحتمل . ويفرض

(تجفف عينها بمريلتها) .
وأنت أيها الفحل المغمم صحة ، كان من واجبك أن تكون لى عكازة أتوكأ عليها وأنا فى هذه السن الطاعنة . كان من حقى عليك أن تشتملك المزرعة ، وتشغلك عن نفسك ، وبهذا ترعى ميراثك وتحفظه .

(تعود الى البكاء) .

الله يعلم قلة ما تقدمه لى من عون ، أيها المتشرد ! حين تكون فى البيت تأخذ قلب نار المدفأة — هذا كل ما تفعل . تخيف من البنات من تلقاهن فى حفلات الجيران ، وتضحك علينا الناس ، وتعارك مع كل من يصادفك .

بير : (مبتعدا عنها) اسكتى ، يا أمى .
آس : (تتبعه) وفى ذلك العراك الأخير الذى شب فى لوند فى حفلة للتسابق على الشراب ، أصحيح أنك كنت قائد تلك الجساعة التى تنازعت كالكلاب ؟ أنتكر أنك أنت الذى كسرت ذراع الحداد « أسلاك » أو أنك — فى المليل — أصبته بخلع فى اصبعه .

وتنكس لك الرأس يوما ما . انتظري فقط حتى
آنى شيئا عظيما حقا ! .

: (فى احتقار) أنت ؟

: من يدرى ماذا يخبىء الغيب .

: لو أوتيت من العقل ما يعينك على رتق فتوك ،
لحمدت الله وشكرته .

: (فى انفعال) سأكون ملكا . سأصبح امبراطورا .

: يا اله السموات ، أوشك المسكين أن يفقد عقله
على قلته !

: أمهلينى قليلا فهذا كل ما أسأل .

: المثل يقول : لو أمهلتنى قليلا لطاولت السماء .

: مهلا ، يا أمى .

: اسكت ! أنت مجنون ! ولكنك كنت جديرا أن

تصبح شيئا مذكورا ، لو لم تضع الوقت بانيا
قصورا فى الهواء — فتاة هجستاد كانت تريدك ،

وكنت خليقا أن تظفر بها لو أحسنت التصرف .

: فظنين هذا ؟

: أبوها العجوز لا يقوى على مقاومة نزواتها . حزمه

لا يتعدى حدا معيناً ، بعده تحصل الفتاة على

أن عضلاته قوية ، هل يليق أن تبدو أنت رخوا
غيبا هكذا ؟

: أنت لا يهيك ضربت أم ضربنى الناس ، المهم
عندك أن تبكى . (يضحك) هونى عليك ،
يا أمى !

: كنت تكذب على ! هيه ؟

: نعم . هذه المرة كذبت . جفنى دمعك وكفى عن
البكاء .

(يقبض يده اليسرى) .

انظرى . بهذه الكماشة التى يشكلها ذراعى
أمسكت بالحداد وثنيته . كانت ذراعى اليمنى
مطرقتى الكبرى .

: يا وغد ! ستدفع بى الى القبر بأعمالك المجنونة
هذه .

: لا ، لا ! بل أنت تستأهلين مصيرا أحسن من
هذا ، أحسن منه عشرين ألف مرة ! جيبتى ،

أمى الصغيرة البسيطة ، أنت لا شك خليقة أن
تثقى بى . ستحنى لك الناحية كلها ، لأميال عدة ،

آس

بير

آس

بير

آس

بير

آس

بير

آس

بير

آس

بير

آس

بير

آس

بير

- بير : ايه ؟ هو ؟ ذلك المغفل ! ذلك الهرة !
آس : نعم ، هذا هو الرجل الذى ستتزوجه .
بير : انتظرى ، فسأذهب أعد المهرة والعربة .
(يتحرك) .
آس : افعد مكانك ، فالعرس يقام غدا .
بير : وأى بأس ! سأصل هناك الليلة .
آس : ستزيد الطين بلة . ستتناك الاهانة فوق ما أصابك
من جراح .
بير : هونى عليك ! الأمور ستسير وفق المرام . اعداد
المهرة يستغرق وقتا طويلا .
(يزق ويضحك فى آن واحد) .
على استعداد يا أمى ؟ سنترك العربة
جانبا .
(يمسكها بين يديه) .
آس : أنزلنى !
بير : لا ! سأحمل أمى الى حفل الزواج .
(يخوض بها الجدول) .
آس : النجدة ! آه ، ارحمنا يارب ! بير ! اننا نغرق !
بير : أنا لا أغرق ! ولدت لأموت ميتة مجيدة .

- ما تريد . وأيان تسير أنجريد ، ينقل أبوها وراءها
الخطو ، وهو حريص .
(تأخذ فى البكاء من جديد) .
آه ، يا بير ! انها تفرز ذهابا ! انها وارثة ! تصور
لو أنك كنت عقدت العزم ، لأصبحت الآن عريسا
ذا شأن ، بدلا من المتشرد القذر ذى الرائحة
الذى أنت هو الآن .
بير : (فى انتفاضة) هيا معى . سأجد فى طلبها من الآن .
آس : الى أين ؟
بير : الى هجستاد .
آس : يا ولدى المسكين . لم يعد الطريق خاليا الآن
للمحبين .
بير : ولم ؟
آس : آه ، يا الهى ، بى رغبة فى البكاء ! لقد ضاعت
منك الفرصة !
بير : ولم ؟
آس : وأنت تهيم فى طرقك الجلية ، وتركب الغزلان
صاعدا فى السماء جاء « مادس موين » وظفر
بالبقاتة !

- أس : صحيح ! سيهتر جسمك في عود المشتقة يوما
بير : الى حفل الزواج أولا ! أنت تحسنين الكلام ،
فحاوري هذا الرجل الأخرق ، قولى له أن
« مادم موين » من السكر لا يفيق .
أس : كفى عن انتمص . فالتقاع هنا زلق !
بير : يا حمار !
أس : قولى ما بدا لك . فما على الحديث حرج .
بير : لا العصى ولا الحجارة تنال منى أو تكسر لى
عظما . الآن ، الآن ، يصبح القاع أقل غورا !
أس : لا تنزلى !
بير : شيه ، حا ! هل نلعب لعبة بير والغزال ؟
أس : (يركض كالفرس) أنا الغزال وأنت بير .
أس : سيغى على . أين أنا ؟ يا الهى !
بير : الآن ، الآن . وصلنا الشط الآخر . (يصعد جانب
الشط) الآن أعطى الغزال قبلة طويلة أخرى ،
واشكره على هذه الركوبة اللطيفة .
أس : (تعرك أذنه) هذا هو الشكر الذى تستحقه
منى .
بير : آى ! يا له من جزاء لطيف .
أس : أنزلى !
بير : هيه ، هل تعدين .

سكون . لا تحركى ساقيك ، لا تنتقلى أنملة ،
لا تمزقى قش السقف ، والا وقعت ثم —

آس : أيها الوحش الفظيع !

آس : لا تضربى برجلك !

آس : وددت لو كانت العفاريت خطفتك ، كالتفلس

البديل ، من وجه الأرض .

آس : يا للعار !

آس : ياه !

آس : كان أجدر بك أن تمنخينى بركنك وأنا مقدم

على رحلة مجهدة كهذه . هل تفعلين ؟

آس : بل سأضربك كما يضرب الطفل ، وأنت كبير

وفحل هكذا .

آس : اذن ، وداعا ، يا أمى العزيزة . كونى صبورة !

لن أغيب طويلا !

(يروح عنها ، ولكنه يستدير ويرفع

أصبعه محذرا) .

تذكرى ! أهدهنى كما يهدأ الفأر فى جحره !

آس : بير ! يا رب ارحمنى ، لقد ذهب ! يا راكب

الغزلان ! يا كذاب ! هوه ! هل تصغى الى ؟

آس : لا ، بل سأذهب معك . سأشرح للحضور جميعا
حقيقة أمرك !

آس : اذن تبقين فى المكان الذى أختاره لك .

آس : أبدا ! بل أسير وراك .

آس : لا ، لا ، لن تفعلنى !

آس : وكيف تمنعنى ؟

آس : سأضعك فوق السقف .

(يضعها فوق سطح الطاحون . تصرخ

آس) .

آس : أنزلنى !

آس : تسمعين كلامى اذن ؟

آس : لا !

آس : أمى العزيزة ، اسمعى نصيحتى .

آس : (تلقى عليه حفنة من الحشائش) .

أنزلنى توا ، يا بير .

آس : لا أقدر ، لا أجرؤ ، والا لفلعت .

(يقترب) .

الآن ، اذكرى ، أرجوك ، ان عليك أن تقبعى فى

المعجوز الأولى : سمعتهم يلمحون لهذا مرارا . لا تقلقى ، فرعان
ما يصلك النبأ اليقين .

المعجوز الثانية : المعجوز قد فقدت عقلها . هذا واضح .

(تزعق حتى يبلغ صوتها التل) . أيفيند ،
أندريس ! هيه ، أقبلا !

(تزعق حتى يبلغ صوتها التل) . أيفيند ،
أندريس ! هيه ، أقبلا !

صوت دجل : ماذا جرى ؟

المعجوز الأولى : انظر ، بير جينت قذف بأمه الى السقف .

لا ، لقد ذهب ، راح عبر الحقول — (تصرخ)
أوشك أن يغمر على ! النجدة !

(تقترب من الطاحون عجوزتان تحملان
غراريتين على ظهريهما) .

المعجوز الأولى : من هذه التى تكاكي كالدجاج ؟

آس : أنا !

المعجوز الثانية : آس ! لقد ارتفع مقامك فى الدنيا !

آس : الدنيا ؟ بل سأصعد الى السماء قريبا !

المعجوز الأولى : رحلة طيبة !

آس : على بسلم ! انزلانى . ملك الأوغاد هذا ...

المعجوز الثانية : ابنك ذاك ؟

آس : قد رأيتما بأعينكما كيف يفعل بى .

المعجوز الأولى : سنشهد عليه .

آس : أعينانى على النزول . سأذهب الى هيجستاد من
فورى .

المعجوز الثانية : هل ذهب بير الى هناك ؟

المعجوز الأولى : اذن فستأخذين بشارك . ان الحداد سيحضر حفل
الزواج .

آس : (تعصر يديها) آه ، ارحمنى يارب ! يا لولدى
المسكين ! سينتهى الأمر بقتله .

جدا هو خير ما أسمى اليه ، واذ ذاك لن تفعل بي
سخرياتهم شيئا .

(يتلفت حواليه في انزعاج ، ثم يختبئ وراء
بعض الشجيرات . يمر به اناس يحملون
هدايا العرس ، متجهين الى المزرعة) .

: (محدثا غيره) قضى الشراب على أبيه ، أما أمه
فكلبة قدرة .

: لا غرو أن يكون الابن من هو .

(يمضيان . بعد قليل يخرج بير من مخبئه ،
تعلو وجهه حمرة الخجل . ينظروا وهما) .

: أنا الذى يعيان بهذا المديح ! (يهز كتفيه)
ليكن ! لا يهمنى ! لم أسمع قط عن رجل قتلته
الاشاعات .

(يرمى نفسه على العشب ويظل راقدًا على ظهره
بعض الوقت ، ويداه مشبكتان خلف رأسه ،
وهو ينظر الى السماء) . يا لها سحابة غريبة
الشكل ! تبدو كجواد منازل . وهذا رجل ممتط
صهوة الجواد ، وذلك سرج ولجام . ثم عجوز
طاغئة فى السن ، تضى وراءه راكبة مكسنة .

الفصل الأول : المشهد الثانى

المنظر : منحدر مغطى بالعشب والشجيرات . خلف المنحدر
ودراء سور ، يجرى الطريق العام . يظهر بيرجنت سائرا فى
الممر ، ثم يتجه الى السور مسرعا ، ويدقق النظر فى الأفق .

بير : هيجستاد أخيرا ! سرعان ما أصل . (يطوح

بأحدى ساقيه عبر السور ، ثم يتردد) . ترى هل
أنجريد بمفردها فى حجرتها ؟ (يحمى عينيه من

وهج الضوء بيده ويدقق النظر الى أمام) . لا !

بل سيهيمون حولها بهداياهم كما يهيمون الذباب .

بير خير لى أن أعود من حيث أتيت . (يسحب ساقه)

انهم سيضحكون منى من وراء ظهري ، وسوف
تسم همساتهم الحمى كما يسم الحديد المحمى
للحوم .

(يبتعد خطوة من السور ويهرش رأسه
مفكرا) .

ما حاجتى الحققة الا لشراب طيب قوى . ربما
استطعت أن أنزلق داخلا دون أن يرانى أحد !
من أسف أنهم يعرفوننى جميعا ! شراب قوى

(يتسم لنفسه) .

انها أمى ! انها تلوم وتصرخ : « أيها الوحش !
أنت هناك ، يا بير ! » .

(تنغمض عيناه تدريجيا) .

انها الآن تنكمش . يخيل لى أنها خائفة . فى
المقدمة يركب بير جينت ، وخلفه حشد هائل
من أعوانه . لجامه من الفضة ، وجواده يتتلع
الذهب . يلبس قفازين هائلين ويحمل سيفا
وغندا . أما عباته الفضفاضة فمزينة بعالى
الحرير . انهم كالأمراء رفعة شأن ، أولئك الذين
يسيرون فى ركابه ! ولكن أحدا منهم لا يمتطى
جواده فى نبل كما يفعل بير — ليس منهم من
يلتصع مثله فى ضوء الشمس . ومئات فوق مئات
من الناس يصطفون على جانبي الطريق ، يقذفون
بقبعاتهم فى الهواء من فرط الفرح . النساء
تنحنى محبيبات . فمن ذا الذى لا يعرف
الامبراطور بير جينت والآلاف المؤلفة من رجاله؟
انه ينثر الفضة على طول الطريق ، وقطع النقود
تنتشر هنالك كالزلط . وفى ثوان ، يصبح الكل

أغنياء كالنبلاء . ثم يركب بير جينت البحار
ويصعد الى السماء ، وعلى الشاطئ ينتظره أمير
انجلترا ، ومن حوله أجمل قنيات البلاد وكبار
رجال انجلترا ، وملك انجلترا العظيم ، يهبون
واقفين حين يهل عليهم بير جينت . ويخلع الملك
تاجه ويتحدث فى احترام :

(يظهر « أسلاك » الحداد ، ومعه آخرون ،
فى الناحية المقابلة من السور) .

الحداد : انظروا ! هذا بير جينت ! الخزير فاقد الوعى من
الشراب مرة أخرى !

بير : (يتنبه فجأة فرعا) يا صاحب الجلالة .

الحداد : (يتكئ على السور ويضحك) ألا تستطيع أن
تنهض ، يا بنى ؟

بير : اللعنة ! انه « أسلاك » ماذا تريد ؟

الحداد : (للأخريين) انها أعقاب حادثة لوند .

بير : (يقفز واقفا) انصرفوا !

الحداد : لا تخش شيئا . لن نبقى . ولكن أين كنت ،
يا رجل ، أين كنتمخبئا ؟ لقد غبت ستة أسابيع !
هل احتجزتك الجن ؟

(يتفحص ملابسه) .
سروالى ممزق ، وملابسى أسمال ! لو أنتى فقط
حصلت على بدلة جديدة !
(يخطب الأرض بقدمه) .
شد ما أنا مشوق الى أن أسن سكين جزار ثم
أقطع بها هذه السخريات من قلوبهم !
(ينظر حواليه فجأة) ما هذا ؟ من هناك ؟ سمعت
شخصا يضحك فى خفوت . أكاد أقسم أنتى
سمعت شيئا ! لا بد أنتى واهم . على أن أعود
الى أمى .

(يأخذ يصعد التل ، ثم يتوقف ثانية
ويصغى ، وهو مسدد أذنه فى اتجاه
المزرعة) .

الآن يبدأ الرقص .

(يضى عينيه وأذنيه تحديقا واصغاء ، ثم
يسير ببطء فى الطريق يسمح يديه فى
سرواله) .

بنات ، يا لهن بنات ! سبع أو ثمان لكل رجل !
اللعة ! سأذهب ، لا أقدر أن أضيع حفلة ! ولكن
أمى ستبقى معلقة فوق السقف .

پر : أنا نفسى مندهش مما فعلت هذه الأسابيع .

الحداد : (يغمز لمراقبيه) اذن حدثنا !

پر : لا فائدة ! لن تفهموا قط .

الحداد : (بعد فترة) ذاهب الى هيجستاد ؟

پر : لا .

الحداد : طالما قالوا ان انجريد بها أكثر من صبوة اليك .

پر : أيها الغراب العجوز القدر .

الحداد : (يوشك أن ينصرف) لا تفقد أعصابك . اذا

كانت أنجريد قد هجرتك فغيرها كثير . لا تنس

أنك ابن الثرى الأملئ . تعال معنا الى المزرعة

ستجد هناك بنات فى مرح الجمالان ، وأرامل

ناضجات ، ينتظرن القطف .

پر : اذهب الى الجحيم !

الحداد : ستجد واحدة أو أخرى ترضى بك . طاب مساؤك .

سأحمل تحياتك للعروس .

(ينصرفون ضاحكين متهامسين . يحدق

برجيت فىهم لحظة ، ثم يضرب برأسه

ويستدير نصف استدارة) .

پر : من جهتى أنا ، تستطيع أنجريد أن تتزوج من

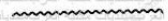
تريد . لا يهمنى هذا ببصلة !

(تهم عيانه في اتجاه المزرعة . بققز ويضحك

اصغ ! العشاء والسمر ! لقد أضفوا عليهما حياة
ومرحا ! وجوتوم موفق تماما في العزف على
كمانه ! ان نعماته تروق وتزأر كمياء الشلال . ثم
هاته البنات ، هاته البنات الرائعات ! اللعنة !
سأحضر الحفل ، لا يمكن أن تفوتني حفلة !

الفصل الأول : المشهد الثالث

المنظر : فناء في هيجستاد . المزرعة تبدو في الخلف . الفناء
يملؤه الضيوف ، والرقص يدور على الحشائش . عازف
الكمان يجلس على مائدة ، ومشرف الحفل يقف بالباب .
العداري يرحن ويجن بين الابنية . العجااز متحلقون يتناقلون
الاشاعات . احدى النساء تنضم الى جماعة تجلس على كومة
خشب .



المرأة : العروس ؟ انها طبعاً تبكي قليلا . ولكن منذا
الذي لاحظ هذا ؟

مشر العفل : (لجماعة أخرى) هيا ، يا سادة ، افرغوا
كؤوسكم . فما زال الكثير في الزجاجة .

رجل : شكرا ! ولكني أجد صعوبة في اللحاق بك !
الشباب : (ييرق أمام عازف الكمان ممسكا بيد فتاة)

واصل العزف بنفس الهمة يا جوتوروم ، أعزف
حتى تنفجر !

الفتاة : اعزف واعزف ، وخل التلال تردد نعماتك .

فتيات : (متحلقات حول فتى يرقص) انه بارع الرقص ،
أليس كذلك ؟

- الفتاة :** ساقاه طويلتان جدا !
- الشباب :** (وهو يرقص) ، وما الضرر ، والسقف عال
- الفتاة :** (للفتيات) تجاهلته ، يا بنات ، لو حاول التودد
ليكن .
- الفتاة :** (للأخريات) من جهتنا نحن ، هو لا وجود له !
- (يدخل بيرجيت متدفقا بالحياة . يقف
بازاء الجماعة ويفرك يديه) .
- بير :** من أيرع الراقصات هنا ؟ من منكن سريعة القدم؟
- الفتاة :** (وقد اقترب منها بير) غيرى .
- العريس :** أبى ، حاولت ، ولكنها لا تستجيب . انها متكبرة
- الوالد :** تستجيب لماذا ؟
- العريس :** لقد ذهبت فأغلقت وراءها الباب .
- الوالد :** ولماذا لا تذهب فتبحث عن المفتاح ؟
- العريس :** لا أدري أين أبحث .
- الوالد :** أنت مغفل كبير .
- (بلتفت للضيفين . العريس يسر تائها) .
- شباب :** (قادما من خلف المنزل) بير جينيت، قدم اتوه .
سيصبح الموقف مدعاة للتسلية .
- الحداد :** (وقد وصل من فورهِ) ولكن من الذى دعاه ؟
- المشرف :** هذا ما أود أن أعرفه !
- (يتجه صوب المنزل) .
- الحداد :** (للفتيات) تجاهلته ، يا بنات ، لو حاول التودد
ليكن .
- الفتاة :** (للأخريات) من جهتنا نحن ، هو لا وجود له !
- (يدخل بيرجيت متدفقا بالحياة . يقف
بازاء الجماعة ويفرك يديه) .
- بير :** من أيرع الراقصات هنا ؟ من منكن سريعة القدم؟
- الفتاة :** (وقد اقترب منها بير) غيرى .
- العريس :** أبى ، حاولت ، ولكنها لا تستجيب . انها متكبرة
- الوالد :** تستجيب لماذا ؟
- العريس :** لقد ذهبت فأغلقت وراءها الباب .
- الوالد :** ولماذا لا تذهب فتبحث عن المفتاح ؟
- العريس :** لا أدري أين أبحث .
- الوالد :** أنت مغفل كبير .
- (بلتفت للضيفين . العريس يسر تائها) .
- شباب :** (قادما من خلف المنزل) بير جينيت، قدم اتوه .
سيصبح الموقف مدعاة للتسلية .
- الحداد :** (وقد وصل من فورهِ) ولكن من الذى دعاه ؟
- المشرف :** هذا ما أود أن أعرفه !
- (يتجه صوب المنزل) .

(يقترب بيرجيت من القادمين ، ويشير
الى سولفيج ثم يسأل أباه) .

بير : تسمح بأن أراقص ابتك ؟

الرجل : (في هدوء) أجل ، بالتأكيد . ولكن ، لندخل
أولاً لنحیی صاحب الحفل .
(يدخلون) .

المشرف : (يعرض على بير شراباً) ما دمت قد جئت ،
فلا بأس أن تشرب شيئاً من هذا .

بير : (يسدد النظر خلف القادمين) لا . شكراً . لست
ظمآنآ . إنما جئت لأرقص .

(ينصرف المشرف . ينظر بير الى البنت
وبيتسم) .

كم هي مليحة ! لم أر أخرى في ملاحظتها ! عيناها
تغضآن النظر ومريلتها ناصعة البياض ! والطريقة
التي أمسكت بها ثوب أمها ! وحملها لكتاب
الصلاة في طيات منديلها ! لا بد أن أراها ثانية .

(يتجه ليدخل المنزل . يخرج من المنزل
عدد من الشبان) .

الشباب : ماذا ، أترحل هكذا سريعاً ؟

بير : (يلتفت مسرعاً الى رجل عجوز) أين تجلس
الفتيات ؟

الرجل : اذهب وتبين بنفسك .

(ينصرف الرجل . يفقد بيرجيت حيويته
فجأة . يرمق الجماعة في حجل ، مختلساً
النظر . الكل ينظر اليه ولكن لا أحد
يكلمه . يدنو من جماعات أخرى . الصمت
الحجري يقابله في كل مكان . وكلما غادر
مكاناً ابتسم الناس وتابعوه بالنظر)

بير : (في صوت خفيض) نظراتٌ سود ، وأجوية
حديآء ، وبسماتٌ تعال ! هزه ! انهم ينشزون ،
كما ينشز المبرد على سلاح منشار .

(ينكمش عند السور . تدخل سولفيج
بصحبة الصغيرة هيلجا ، ومع الأثنين
والدا سولفيج) .

رجل : (لرجل آخر قريب من بيرجيت) هؤلاء جيراننا
الجدد .

الرجل الثاني : القادمون من الغرب ؟

الرجل الأول : من هيدالين .

الرجل الثاني : آه . أجل . أنت على حق .

- بير** : لا .
- الشباب** : اذن قد فقدت الاتجاه .
(يمسك بكتفيه ويحمله على الاستدارة)
- بير** : دعنى أمضى .
- الشباب** : آه . فهمت ! أنت خائف من الحداد !
- بير** : أنا ؟ خائف ؟
- الشباب** : أجل ، ان حادثة لوند لم تنقض بعد .
(تضحك الجماعة ، ويتجه افرادها الى حلبة الرقص) .
- سولفيج** : (وهى بالبواب) أعلن انك أنت الذى طلبتني للرقص .
- بير** : طبعاً ! لا يمكن أن تكونى نسيتهى — هيه ! تعالى !
- سولفيج** : أمى قالت لى لا تذهبى بعيدا .
- بير** : أمى قالت ، أمى قالت ! انت ابنة الأمس ؟
- سولفيج** : تسخر منى !
- بير** : الظاهر انك ما زلت طفلة ! لم تكبرى بعد .
- سولفيج** : قد ثبت فى الربيع الماضى .
- بير** : أخبرينى باسمك ، ترتفع بيننا الكلفة .
- سولفيج** : اسمى سولفيج . وما اسمك ، من فضلك ؟
- بير** : أنا بير جينت .
- سولفيج** : (تسحب يدها) آه ، يا الهى !
- بير** : أى عيب فى هذا ؟
- سولفيج** : قد اتفك رباط جوربى . لا بد أن أعقده .
(تبتسم عنه) .
- العريس** : (يجذب اليه أمه) — حاولت ولكنها لا تريد —
- الأم** : لا تريد ماذا ؟
- العريس** : لا تريد ، يا أمى !
- الأم** : ماذا ؟
- العريس** : لا تريد أن تفتح الباب .
- الأب** : (فى صوت خفيض ، غاضب) الولد لا يصلح الا لاطعامه بالمعلقة !
- الأم** : لا تلم المسكين هكذا ، سرعان ما ينصلح حاله .
(ينصرفان . يقترب أحد الشبان من بير ومعه جمع من الناس) .
- الشباب** : براندى ، يا بير ؟
- بير** : لا ، شكراً !
- الشباب** : هيا ، هيا ، قليلاً فقط .
- بير** : (ينظر اليه فى تشكك) ألدريك براندى اذن ؟

الشاب : ربما نعم ، وربما لا !

عدد من الشبان : بل الآن

(يجذب زجاجة من جيبه ويشرب) يا له
من مذاق بيعت النشوة ، هيهه ! .

فتاة : هل تتقن السحر الأسود ؟

بير :

استحضرت العفريت المشهور !

وجمل :

جدتي فعلت هذا قبل أن أولد .

بير :

كذاب ! لا أحد سوى يتقن هذه اللعبة . قد
أدخلت الشيطان في بندقة ! بندقة أطلقها الدود .

الشاب الثاني : سخف ! ماذا حدث لك ؟ لم تكن أبداً تنبأطاً
هكذا في الشراب .

عدد من الشبان : آه ، هذا واضح !

بير :

أخذ الشيطان يلعن ، ويصرخ ، وحاول جاهداً أن
يرشونى بهذا وذاك —

بير : اذن جرعة واحدة ، لا أكثر (يترب ثانية) .

واحد من الجمع : وهل أكرهته على دخول البندقة ؟

بير :

طبعاً . ثم سددت الثقوب بدبوس يا الهى !
لو سمعتم كيف أزر وكيف هدر !

شباب ثالث : ومن ذا الذى لا يخافك ؟

شباب رابع : رأينا منك أشياء فى لوند . بدا منك ما فتح منا
العيون .

فتاة : كان يمتعنا أن نسمع ؟

بير :

طبعاً . كان كالنحلة الهائلة !

بير : أفعل أكثر من هذا ، اذا ما أردت .

فتاة : ولكن أين هو الآن ؟ ما زال داخل البندقة ؟

بير :

لا ، لا . استطاع الافلات من فورهِ . وهذا هو
الذى يجعل الحداد يكرهنى الى الآن .

عدد من الشبان : (يتخلقون حوله) هيا ، اجعلها قصة تشق

الجنوب ! قل لنا ما تستطيع أن تفعله .

شباب :

صحيح ؟

بير :

ذهبت للحداد وقلت له : دق لى هذه البندقة .

بير : غدا .

أصعد في الجو على ظهر جواد . عشرات من
الأشياء لا تحيط بها أفهامكم أستطيع أن آتيا .
(انفجارات اخرى بالضحك) .

احد العاصرين : هيا اذن ، واركب الهواء !
مدرس من الناس : هيا ، هيا ، أيها العزيز !
يسير : في الوقت الذي أحده أنا . فكفوا اذن عن
الرجاء والسؤال . سيأتي يوم أركب فيه ،
كدوامه الهواء ، فوق رؤوسكم جميعا ، واذ ذاك
ستسجدون بين يدي .

رجل عجوز : جنونه بين !
آخر : فتد عقله .
ثالث : المدعى !
رابع : الكذاب !
يسير : (مهيدا) عليكم بالانتظار ! وعوا كلامي !
رجل : (نصف سكران) احفظ أنت كلامي هكذا .
سأعطيك علة تدفيء سروالك .
مسيرون عليه : علة كبيرة ممتازة . وعينان سوداوان من
الضرب !

فقال على العين والرأس ! أمسك بالبنفقة
ليسحتها . ولما كان قبيح الحركة كدأبه دائما ،
فقد أرجح المطرقة في الهواء كما هي عادته .

صوت من بين
العاصرين : وهل قتل الشيطان ؟
يسير : هوى بالمطرقة كالمجنون ، ولكن الشيطان خرج
في عاصفة من اللهب — واخترق السقف
والحيطان .
جمع من الناس : والحداد ؟
يسير : فغرفاه ، وتحرق يدها كالروستيف ! ومن يومها
أصبحنا عدوين .

(الجميع يضحكون) .
جمع من الناس : قصة طريفة !
آخرون : من أحسن قصصه .
يسير : تلمحون الى أنني اخترعتها ؟
رجل : لا ، أبدا ! لا يمكن أن تكون اخترعتها . هذه
احدى قصص جدى التقليدية .
يسير : يا كذاب . لقد حدثت لى .
الرجل : لن نجادل اذن .
يسير : (ضاربا برأسه) ماذا تظنون ، اننى أستطيع أن

- پر : ولم ؟
سولفيج : كنت تشرب (تذهب مع هيلجا) .
پر : لماذا لم أشهر سكينى وأرشتها فيهم كلهم
— أجل — فيهم جميعا ؟
العريس : (بلكر بير بكوعه) يا ليتك تساعدنى على أن
أدخل حجرتها .
پر : (فى غياب ذهن) حجرة العروس ؟ أين هى ؟
العريس : فى العرفة العلوية .
پر : آه ، فهمت !
العريس : انها أهون أفعالك عليك . حاول .
پر : أن أدخل بعروك ؟ هذا شئ تفعله أنت بنفسك .
(فجأة ، تلمع فى رأسه فكرة . يتحدث
برقة ، ولكن بلهجة ذات مغزى) .
انجريد فى العرفة العلوية ! .
(يذهب الى سولفيج) .
هل غيرت رأيك ؟
سولفيج : تحاول سولفيج أن تذهب . يسد عليها
الطريق) .
أنت خجلانة منى ! أبدو كالمثرد !
سولفيج : لا أبدا . ليس صحيحا ! لم أفكر فى هذا قط .
- (ينصرف الجمع ، الكبار فى السن متهم
غاضبين ، والصفار ضاحكين أو
مستهزئين) .
العريس : (قرب بير) اسمع ، يا بير ! أضحيج انك تركب
الهواء ؟
پر : صحيح طبعا يا مادز . أستطيع أن أفعل الكثير .
العريس : أعتقد أن لديك ستره الاخفاء ؟
پر : تقصد طاقية الاخفاء . طبعا !
(يترك العريس . تقطع سولفيج الفناء ، وفى بعدها
هيلجا . يتجه بير اليهما . تبدو الحياة فى عينيه
أكثر تالقا)
ها قد عدت يا سولفيج ! أنا سعيد ! هيا نرقص .
(يمسك بمصمها) .
سأريك كم أنا رشيق الحركة .
سولفيج : دعنى أذهب من فضلك .
پر : أتركك تذهبين ؟
سولفيج : أنت حاد الطبع !
پر : كغزال الجبال حين يقبل الصيف ؟ هيا يا فتاة ،
ولا تكونى عنيدة .
سولفيج : (تجذب منه ذراعها) لا أقدر لا ، لا أجرؤ .

الى ذئب . سأعض منك الصلب وأعض منك
الظهر .

(فجة يستدير ويستعطفها) .

ارقصى معي ، يا سولفيج !

سولفيج : (تنظر اليه في استرابة)

لا ، لقد كنت فظيلا !

(تدخل البيت . يعود العريس هائما الى

بير) .

العريس : لك منى ثور لو ساعدتني .

بير : هيا بنا !

(يختفيان وراء البيت . في نفس الوقت

ياتى حششد من الناس قادمين من حلبة

الرقص . معظمهم سكارى . ضوضاء

وفوضى . تخرج سولفيج وهيلجا من البيت

ومعهما الوالدان وناس آخرون) .

المشرف : (للجداد الذى يقف في المقدمة) اخرس !

الجداد : (يخلع سترته) لا ، سنصفي الحساب الآن بصفة

نهائية . أما بير جينت واما أنا ، الآن أو أبدا .

بعض العصور : دعهما يصفيان الحساب .

آخرون : بل خلهما يتبارزان بالكلام .

بير : بل أنا أبدو كالمشرد فعلا . وأكثر من هذا ، أنا

سكران قليلا . كنت مغتاظا . لقد أغظتني . لهذا

شربت والآن هل .. ?

سولفيج : أنا خائفة . وحتى لو ..

بير : خائفة ؟ ممن ؟

سولفيج : من أبى قبل غيره .

بير : أبوك ؟ فهمت ! انه رجل مستقيم ! هل يحكم

البيت بعضا من حديد ؟ أجيبنى .

سولفيج : وماذا أقول ؟

بير : هل يعنى في فريق الانشاد الكنسى ؟ وأنت وأمك

كذلك ؟ هل أنتم جميعا سواء ؟ لماذا لا تجيبنى ؟

سولفيج : أرجوك أن تدعنى أذهب !

بير : (في صوت خفيض يتهدد) لا ، لن أفعل ! أستطيع

أن أحول نفسى الى جنى ! وعندما تدق الساعة

الثانية عشرة سأكون في غرفتك ، وستسمعين

صوتا غريبا ، صوت يفتح ويصق ، قرب سريرك ،

ولن يكون صادرا عن قطنك ، انما هو صوتى

أنا ! سأنزع دمك من عروقك وأفرغه في كأس ،

وسأخطف أختك وأكلها . فأنا في كل ليلة أتحوّل

أس : ماذا ؟ أنت تنهش ولدى بير ؟ حاول ان جرؤت !
أمه العجوز آس لها أسنان حامية ومخالب ! أين
هو (تدعوه) بير ! .
(يدخل العريس وهو يجرى) .
العريس : أبى ! أمى !
الوالد : ماذا جرى ؟
العريس : هل دريت ؟ بيرجيتت .
آس : (تصرخ) هل قتلته ؟
العريس : لا ، بير جيتت قد — انظرى — الى أعلى —
فوق التلال !
الجمع : بالعروس !
آس : (تسقط منها العصا) .
آد ، الحيوان !
الحداد : (مصعوقا) انها قمة شاهقة ! انه يصعدها !
يا الهى ، كأنه جدى !
العريس : (باكيا) انظروا كيف يحملها ! كأنها خنزير !
(آس تهز قبضتها مهددة بير) .
آس : يا رب يقع ! (تصرخ فى رعب) اتبه ! انها
خطوة خطيرة !

الحداد : الكلام ! يسقط الكلام ! اما اللكمات والا فلا .
والد سولفيج : اضبط نفسك ، يا رجل !
هيلجا : أهم يريدون أن يضربوه ؟
شاب : لماذا لا نطرحة أرضا من ساقه ، جزاء أكاذيب
العتيقة السخيفة ؟
شاب ثان : ارفسوه حتى يغادر المكان !
شاب ثالث : سأبصق فى وجهه .
شاب رابع : (للحداد) وأنت ، هل تنسحب ؟
الحداد : (يلتقى بالسترة جانبا) لا ، بل سأقتله .
والد سولفيج : (لسولفيج) الآن عرفت نظرة الناس اليه !
(تدخل آس وقى يدها عصا) .
آس : أهو هنا ؟ أين ولدى ؟ سأعطيه ما يستحق !
يا الهى ! يا لها من علة ينالها منى !
الحداد : (مشمرا عن ساعديه) وغد مثله ، الهراوة لطيفة
عليه .
اصوات : الحداد سيفرشه !
آخرون : سيهشبه !
الحداد : سأنهشه !
(يبصق على يديه ويهز راسه لاس) .

(يدخل والد انجريد عاري الرأس ، و قد ابيض وجهه من فرط الغضب) .

الفصل الثاني المشهد الأول

والله انجريد : قد هتك عرض فتاتي ! ساقته .
أس : ليعاقبني الله ان سمحت لك أن تمس شرة واحدة من رأسه .

النظر : مهر ضيق في اعالي الجبال . الصباح الباكر .
ير جينت تمنى ، وهو كثير العبوس . انجريد ، وهي في بقية من ملابس العرس ، تحاول أن تستيقه .

يسير : اغربني عنى !
انجريد (تبكى) ولكن أين اذهب ، بعد ما حدث ؟

يسير : اذهبي حيث تشائين .
انجريد (تنصير يديها) ايها المجرم !

يسير : احظي لسانك ! الآن تفتقر الى الأبد .
انجريد : الذكريات تربطنا الى الأبد .

يسير : لعنة الله على الذكريات جميعا ! ولعنته على النساء أيضا ، الا واحدة !
انجريد : ومن هي هذه الواحدة ؟

يسير : ليست أنت !
انجريد : فمن هي ، اذن ؟
يسير : اذهبي ! عودي الى بيتك ، ارجعي الى أبيك .

- انجريد** : يا أعز الأُجبة — !
پير : أوه ، بحق السماء !
انجريد : لا يمكن أن تعنى ما تقول .
پير : بل أعنى كل كلمة .
انجريد : تحصل على بغيّتك ، ثم تضعنى فى صرة وترمينى .
پير : قولى لى ماذا عندك تقدمينه .
انجريد : مزرعة هيجستاد ، وكثير غيرها .
پير : هل تضعين كتاب صلاتك فى طيات مندليك ؟ أين
ضفيرتك الذهبية ؟ هل تَعْضين الطرف وتَنْظرين
الى مريلتك ؟ أتراك تتعلقين بشوب أمك ؟ أجيبى !
انجريد : لا .
پير : هل تبتوك الربيع الماضى ؟
انجريد : لا ، ولكن اسمع يا بير —
پير : هل لعينيك ذلك الخضر العزيز ؟ أتستطيعين أن
ترفضينى اذا ما تولست ؟
انجريد : يا الهى ! قد جن الرجل !
پير : هل تهبط رحمة الله على من يراك ؟ أجيبينى !
انجريد : لا ، ولكن —
پير : هذا كل ما يهنى .
(يستدير ليذهب) .
- انجريد** : (تمنعه) سيشنقونك اذا ما تخلّيت عنى الآن .
پير : سأخاطر بعنقى لأهرب منك .
انجريد : ستنال الثروة والجاه اذا ما اتخذتنى —
پير : مستحيل .
انجريد : (تنفجر باكية) آه ، يا مخادع !
پير : كنت راغبة !
انجريد : كنت يائسة —
پير : كنت مغفلا .
انجريد : (مهددة) ستدفع الثمن غاليا !
پير : أغلى الأثمان سأجده بخسا .
انجريد : تصر على هذا ؟
پير : ثابت كالصخر .
انجريد : ليكن اذن ! سنرى مَنْ ينتصر !
(تهبط أنجريد عبر المنحدر) .
پير : (بعد برهة) لعنة الله على الذكريات جميعاً !
ولعنته على كل النساء .
انجريد : (تلتفت اليه وتهتف ساخرة) الا واحدة !
پير : الا واحدة .
(يذهبان كل فى طريق) .

هو — ! بى رغبة للضحك والبكاء فى آن ! كنا
على وفاق فى شقائنا وحاجتنا . لا بد قد بلغتك
سمعة زوجى السيئة — كيف أنه جاب الحى كله
يثر ماله كانما هو قاذورات، وكيف سكر وسب،
بينما أنا وبير قابعان فى البيت . فماذا كان فى
طوقنا الا أن نحاول النسيان؟ لم يكن لى قدرة
على أن أمسك الأمور بحزم . من المريع أن ترى
القدر يحدق فيك وأنت ساكنة . اذ ذلك تريدن
فى استبسال أن تلقى عنك الهموم . ولكن الفكر
لا يجلب الا الأسى والدموع ، ولذا فاما تسكرين
أو تجرين وراء الأوهام . وهكذا لجأنا الى قصص
الخرافة وحكايات الملوك والجان وغريب
الحيوان ، وأخرى عن عرائس يخطفهم الشبان .
فأنى لى أن أعلم أن القصص سثبت فى رأسه ؟
(يتابها الفرع ثانية) .

آه ، يا لها من صرخة ! أهو جان أم شيطان ! بير،
أهذا أنت ؟ هناك فوق التل ؟

(تجرى الى قمة المرتفع وتحقق من فوقها
فى البحيرة ، يتبعها والدا سولفيج) .

الفصل الثانى — المشهد الثانى

النظر : بحيرة جبلية تحفظها أرض فاحلة . عاصفة تنهياً
للهبوب . آس تصيح ، وتدقق النظر حوالها . تبدو باسنة
سولفيج تجسد صعوبة فى اللحاق بها . والدا سولفيج وهيلدا
يتبعونهما غير بعيد . آس تقبض راحتها وتمزق شعرها .

آس : الأشياء جميعا تتآمر ضدى مع قوات الشر ،
الضباب والمياه ، والجبال اللعينة ! الضباب
يسبل ستائرہ ليعميه ويضله . المياه الخائنة تنتظره
لتغرقه . الجبال ستفتح فاهها لتبلعه أو تهرسه .
والناس ! كلهم خرج يطلب حياته ! يا الهى ،
برحمتك احه ! لا حياة لى من بعده . المجرم !
يسمح للشيطان أن يعرفه !
(تلتفت الى سولفيج) .

لا أجدنى أصدق أن هذا قد حدث حقاً . هو
الذى لا يفعل شيئاً سوى الرقاد والانغماس فى
الأحلام ، هو الذى لا حول له الا قدرته على
التفأخر ، هو الذى لم يؤد عملاً حقيقياً يوماً ما ،

- لا أرى شيئا !
الزوج : (في هدوء) هذا من سوء حظه !
أس : (تصرخ) بالله لا —
الزوج : وجبل ملتف حول عنقه ، فقد تفتتح عيناه ، وربما شعر بالندم .
الزوج : (فزعة) انكما تدفعانني للجنون بكل هذا الكلام ! يجب أن نعثر عليه !
الزوج : لننقذ روحه !
أس : وجسمه ! ان كان سقط في بركة ، فلنجره منها الى الشط — وان كان الجان قد خطفوه فلندق الأجراس .
الزوج : انظري ، هذا أثر !
أس : الله يجزيك على ما تقدم من عون .
الزوج : انه واجبي كسيحي .
أس : غيرك من الناس وثني . ما من أحد منهم يريد أن يرفع اصبعاً في عوني !
الزوج : لأنهم يعرفون ابنك جيدا .
أس : بل هم لا يستحقونه بينهم .
(تعصر يديها) .
كلما فكرت — كلما فكرت أن حياته في خطر !
- الزوج : (في هدوء) هذا من سوء حظه !
أس : (تبكى) آه ، يا ولدى بير ! يا حلى الضائع المسكين !
الزوج : (يحنى رأسه في رقة) أصبت ، هو ضائع حقا .
أس : لا ، لا ، لا ! لا تقل هذا ! انه شديد المهارة . لا أحد يدانيه !
الزوج : تتحدثين لغوا من الكلام !
أس : أجل ، أجل ، أعلم هذا . قد أكون مغفلة ، ولكن ابني بخير !
الزوج : (مواصلا هدوءه وورقته) قد قسا قلبه ، وضاعت منه روحه !
أس : (في فزع) لا ، لا ! الله ربنا سيحيطه برحمته .
الزوج : قد أثقلته الذنوب . أتظنين أنه سيندم ؟
أس : لا ، ولكنه سيركب الجو على ظهر غزال !
الزوجة : الله أكبر ! مجنونة أنت ؟
الزوج : ما هذا الذى تقولين ؟
أس : لا شيء يعز عليه ، أقول لكما ! فقط انتظرا !
لو امتد به العمر فسيأتني شيئا عظيما .

الزوج : هذا أثر أقدام ! انظري !

أس من نبتيات : اذن فنحن على الطريق الصحيح .

الفصل الثاني : المشهد الثالث

الزوج : لتشرق اذن ، ولنحرب البحث في هذه الأرض

النظر : تلال صغيرة عارية ، تحت الهضبة الجبلية - على
العمد ترى قمم الجبال مغطاة باللوج . أو شك المساء أن
يهبط ، وظل الأشياء يزداد طولاً . يدخل به حنث وهو يجري
ويقف على المنحدر .

القاحلة الممتدة الى أسفل نبتيات مكتبة

(يواصل هو وزوجه السير) .

سولفيج :

(لآس) رجوتك أن تقولي لي المزيد .

آس :

(تمسح دمعها) عن ابني ؟

سولفيج :

أجل ، كل شيء !

آس :

(باسمه ورافعة رأسها) أقول لك كل شيء ، بل

بير : القرية كلها تجدد في أخرى . سلحوا أنفسهم
بالبنادق والعصى . وعجوز هيجتاد على رأسهم .
اسمعه الآن يعوي ! انتشر الخبز يقول أن بير
يطارده الناس . ليس الأمر هينا كعراكي مع
الحداد ! هي الحياة ! أنا قوى كذب .
(يقذف ذراعيه حوالية ، ويقفر في الهواء) .

سولفيج : بل تعين أنت من الكلام قبل أن أتعب أنا من

الانصات بوقت طويل .

سأسبح في التيار السريع ، سأزرع أشجار الصنوبر
من منابتها ! سأحطم ! سأقلب الدنيا كلها رأساً
على عقب ! هذه هي الحياة ! انها ترفع روحك
عالياً بالنشوة ، وتسلمها بالحديد ، وتقسها !
لتذهب الى الجحيم كل الأكاذيب الصغيرة !
(تظهر ثلاث من راعيات الأبقار ، يجرين عبر
أتل ، وهن يفنن في التمشاء .)

مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات

مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات

مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات

مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات

مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات

مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات

مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات

مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات

مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات مكتبة العرب منتديات

- داعيات الأبقار :** يا تروند فالقيلد ! يا بارد وكار . ناموا معنا
يا جان ، واسمعوا حكايتنا !
- بير :** على من ترعقن ؟
- الراعيات :** على الجان — كلهم أجمعين !
- الراعية الأولى :** تروند ، كن قويا !
- الراعية الثانية :** بارد ، كن رقيقا مخلصا .
- الراعية الثالثة :** على التبن في كوئنا مكان فسيح .
- الراعية الأولى :** القوة رقة !
- الراعية الثانية :** والرفقة قوية !
- الراعية الثالثة :** تنام مع الجان الليل بطوله !
- بير :** وأين رجالكن اذن ؟
- داعيات الأبقار :** (يضحكن في ابتذال) ذهبوا جميعا .
- الراعية الأولى :** رجلى كان يناديني يا حبوبة : يا معشوقة الفؤاد .
ثم مضى فتزوج شرسة في أواسط العمر !
- الراعية الثانية :** رجلى عثر بفجرية تنام في الأعشاب . والآن هما
أفاقان يجوبان معا الطرقات .
- الراعية الثالثة :** ورجلى قتل ابنا غير الشرعى ، وهو الآن يضحك
جالسا على خازوق ، مكفرا عن جريمته السخيفة .
- الراعيات :** تروند فالقيلد ! بارد وكار ! ناموا معنا ، يا جان ،
واسمعوا قصتنا !
- بير :** (يقفز بينهن) أنا جان ذو ثلاثة رؤوس ، وأنا
رجلكن اليوم .
- الراعيات :** إلى هذا الحد أنت قوى ؟
- بير :** ستعلمن نبأى بعد حين !
- الراعية الأولى :** إلى الكوخ ! لنذهب من فورنا !
- الراعية الثانية :** ادينا غسل مخمر !
- بير :** فليس في أجوافنا !
- الراعية الثالثة :** في كوئنا ، الليلة ، سيتغضن التبن .
- الراعية الثانية :** (تقبله) انه يبرق ويلتمع كالمعدن — تحسنا !
- الراعية الثالثة :** (تقبله) عينا طفل ، وأطراف كالفولاذ !
- بير :** (يرقص معهن) نذر كئيبة ، وأفكار سود
تستيقظ ، عينان تضحكان وقلب يتحطم !
- (الراعيات يضعن أصابعهن ، على أنوفهن
استهزاء بالرجال ، ويفغين في وحشية) .
- الراعيات :** تروند فالقيلد ، بارد وكار ! قد نتمم معنا
يا جان ، وعرفتم حكايتنا .
- (يرقصن على التلال ، مبتعدات ، بينهن
بير جينت) .

بحق الشيطان ، لا أدري من وضع ذلك الشريط
هناك .

(ينهار على الأرض) .

ركبت مرتفع جيندن ، وراء الأوهام الجميلة
وصغار الأكاذيب ! تسلفت أحد الصخور مع
العروس ، وسكرت يوما بطوله ، مطاردًا
الصقور والحدأة ، تهددني العفاريت والجان
وفظائع من نسوة مجنونات ، أحلام وأكاذيب
سخيفة ! .

(يحدق طويلا الى اعلى) .

نسران ذهبيان يطلقان ! الأوز البرى يطير جنوبا
وأنا أقل الخطو الثقيل وأنعثر في الطين والدنس
حتى الركبتين .

(يقفز واقفا) .

سأطير وراءها ! سأعسل ذنوبي في حمام من
أحد ما يهب من ريح ! سأحلق مرتفعا ، علوينا
ثم أفذف بنفسى عميقا في ماء هذا النبع المتألق
الظهور ، لأخرج ، وقد خلصت من كل الذنوب
سأطير فوق المروج ، سأطير حتى تطهر روحي

الفصل الثاني : المشهد الرابع

المنظر : بين جبال الروند الوقت : المغرب . القمم لحانما
تلتمع ، مغطاه بالثلوج ، ومحيطه بالمكان .

بير : (يدخل وحشى المنظر ، مضطرب التفكير)
القصر فوق القصر يرتفع ! انظر الى البوابة
اللامعة ! قفى ! هلا وقفت ! انها تتعد ، أكثر
وأكثر ! الديك على مؤشر الريح يرفع جناحيه
كأنه على أهبة العراك . هو يذوب في ضباب
أزرق ، والجبل يعلق وتقوم أمامه الأسوار
ما هذه الأشجار ونباتات الجبل التى تنمو فى
شقوق الصخور ؟ انها أقزام باقدام مالملة
الحزين ، وهى الأخرى تبته وتختفى . الهوائى
مخطط كأنه قوس قزح ، يتعب عينى وعقلى
على البعد أسمع أجراسا تدق ، وعيناي مثقلتان
بالرصاص . اللعنة ! شرايين رأسى تنبض كأنما
قد أُحيطَ بها بشريط من نار أوثق ربطه . ولكنى

فوق المحيط الأجاج ، معنا في الارتفاع فوذ
أمير انجلترا . أجل ، انظرن يا بنات ، ولكن
لا تظنن اننى قادم اليكن . لا تكلفن أنفسكن
مشقة الانتظار ! أو ، اعلى أفض هابطا عليكن
آه ، باللعنة ! هذان السران الدهيان ؟ قد
سرقهما الشيطان ! انظر ! هذه نهاية جدار مثلث
وثمة بيت يرتفع حجرا فوق حجر ، من بين هذه
الأقناض العفنة ! الآن ، ها هو ذا الباب مفتوح
على مصراعيه ! اذن فهذه هى المسألة ! انى
أعرفها ! هذه مروعة جدى العجوز ! قد ذهبت
الشرق التى تسد كسور النوافذ ، وأحشاب
السور جديدة لامعة ، وفي كل حجرة نار تأجج
للدفء ، وفى القاعة مأدبة تقام . اسمع القس
ينقر بسكينه على كأسه . والتقطان بلقى بزاجحة
فهبشم المرأة تهشما . خلهم يسفرون ويبدرون
أهذا هم ؟ أمى ، اهذى ! ان جون جينت الثرى
الأمل ، قد أقام وليمة . مرحى لبيت جينت
ما هذا الهرج والمرج كله ؟ لم كل هذه الضوضاء
التقطان يدعونى ، والتس يشرب فى صحى

- : وأنا أيضا ابنة ملك دوفر .
: لا يا شيخخة ! ، يا لها من مصادفة غريبة !
: وقصر والدي في أعماق الروند .
: أنا واثق ان قصر والدي أعظم من قصركم .
: هل تعرف أبى ؟ اسمه الملك بروس .
: هل تعرفين أمى ؟ اسمها الملكة آس .
: حينما يغضب أبى ، تصحو الرياح الأربع .
: وحين تغضب أمى ، تزلزل الأرض زلزالها .
: أبى يرفس برجله فيرفع الشئ الى عليين .
: أمى اذا شاءت طحنت الصخر فأحالته دقيقا .
: أليس لديك ما ترتديه سوى هذه الأسمال ؟
: انما يعم الرجل داخل الثوب .
: كل يوم أرتدى الحرير وقميصا من الذهب .
: انما يبدو لى ما ترتدينه غزلا وصدأ نحاس .
: آه ، اسمع ! عليك أن تذكر شيئا بذاته ، فى الروند ، ترى الأمور فى غير هذا الضوء ، فيبدو لكل شئ وجهان . حينما تدخل قاعة عرش أبى ، فقد تظنها كومة حقيرة من الأتقاض .
: غريب ! فعندنا نفس الحال ! فقد تنظرين الى

المرأة

يسر

المرأة

يسر

المرأة

يسر

المرأة

يسر

المرأة

يسر

المرأة

يسر

المرأة

يسر

المرأة

يسر

المرأة

يسر

المرأة

يسر

الفصل الثانى — المشهد الخامس

المنظر: منحدر جبلى عليه أشجار ضخمة . تصفر فيها الريح
النجوم تتألق خلال فريجات أوراق الشجر ، والطيور تغنى
على الأغصان . ترى امرأة فى ثياب خضر ، سائرة على جانب
الثلج . خلفها بيرجينت ، وهو يعبر بالحركة عن كل آيات التودد
الغرامى .. تقف المرأة وتستدير اليد .

المرأة : صحيح ؟

يسر : (يشير بأصبعه عبر حنجرتة) صحيح كما أننى

أنا نفسى بير جينت . صحيح مثلما أنت عطوف

وجميلة . أقبليتنى ؟ ستجديتنى رقيقا كل الرقة

لن تضطرى الى غزل أو نسيج ، أو رتق فتوق

طعامك سيكون وافرا ومصروفك كثيرا ، وأبدا

أبدا ، لن أشدك من الشعور .

المرأة : ولن تضربنى ؟

يسر : لا ، هذا يكون أمرا غير مألوف ! نحن أبناء

الملك لا نضرب نساءنا .

المرأة : أنت ابن ملك ؟

يسر : نعم .

الذهب فتجدينه معدنا خسيسا لا تقع فيه ، وقد
يدو لك زجاج النافذة اللامع حزمة من الجوارب
والقاذورات وحشيش الصخور .

الفصل الثاني : المشهد السادس

المنظر : القاعة الملكية في قصر ملك جبال دوفر . جمع كبير
من رجال بلاط الحان من كل عمر وحجم ووصف . المسك
جالس على عرشه تاجه فوق رأسه . وصولجانه في يده . بالقرب
منه اولاده وبخاصة أقاربه متحلقين . في مواجهته يقف
بيرجنت . بالقاعة ثورة كبيرة .

رجال البلاط : اقتاوه ! مسيحي تجاسر فخذع أجمل بنات ملك
دوفر !

جنى شاب : دعوني أقطع أصابعه شرائح !

جنى شاب آخر : خلوني أمزق شعر رأسه .

جنية شابة : اسحوا لي بأن أقطع قطعة كبرى من لحم ليته !

ساحرة : (ممسكة بمغرفة) هل تأكله ثريدا أم نضعه في
اناء الحساء ؟

ساحرة اخرى : (ممسكة شاطورا) نلتهمه مشوبا ، أم محمرا
على نار وسيخ ؟

الملك : اهدأوا ! (يشير الى المستشارين) آن الأوان
لكي تكف عن تملق أنفسنا . قد انحدرت في
الآونة الأخيرة أمورنا . ولا أحد يعلم هل تعود

المرأة : لشر يبدو خيرا ، والأسود يصبح أبيضاً .

بير : والكبير يرتد ضئيلا ، والسخيف لامع الذكاء .

المرأة : (تهوى على عنقه) أرى أننا خلقنا لبعضنا يا بير !

بير : كالمراويل للأرجل أو المشط للشعر !

المرأة : (تهتف عبر التلال) يا جواد زواجي ! هلهم إلى !

فستقفز على صهوتك !

(يدخل خنزير هائل وهو يدب . لجامه

من الخيط ، وسرجه من الخيش العتيق .

يقفز بيرجنت فيمططيه ، ويضع المرأة
أمامه .

بير : هي — هو ! عبر أبواب « الروند » نمضي !

شي حا ! يا خنزيري الأمين !

المرأة : (في وله) وأنا الذي كنت حزينه منذ قليل ! هذا

يريك أن عمدتنا هو القدر !

بير : (يضرب الخنزير ليستحثه فينطلق) انما تظهر

عظمة العظام من طريقة ركوبهم .

تجنب النهار وأموره ، ولا تمشى قط في الشمس .
بير : ما دمت سأصبح ملكا ، فان يكون هذا عسيرا .

الملك : ثانيا : الآن تريد أن تتبين ما لا تعرفه من أمور .
(يقف)

أعبر رجال البلاط : الآن نرى ما اذا كان ضرر العقل عندك يستطيع
من الجن أن يكسر بندق الألفاظ ويستخرج منها ثمار
الحكمة لدى رجل عجوز .

الملك : ما الفرق بين الجنى والانسان ؟
بير : لا فرق مطلقا فيما أرى . كبير السن بين الجن

يريد أن يشويني ، وصغير السن يود لو يسلخني .
ونحن البشر تفعل المثل لو جرؤنا .

الملك : هذا حق ! هناك تقط تشابه كثيرة . غير أن
الصباح هو الصباح والليل هو الليل ، والفرق

واضح اذا كان بصرك حديدا . الآن أقول لك
ما الفرق . هناك حيث البشر يعيشون تحت القبة

الزرقاء ، يمضى القول : « أيها الانسان ، لنفسك
كن مخلصا ! » أما في التلال فلسنا نأبه بمثل هذه

الأقوال المعظمة للذات . انما نحن نقول : « أيها
الجنى ، كفى بنفسك معينا » .

الى صعود ، أم تمضى فتصبح هشيما . لهذا
لا نملك أن نرفض العون ، مهما كان مصدره .

ثم ان الشاب لا عيب يذكر فيه . وهو — ان لم
أكن مخطئا — بادى الفحولة . صحيح أن له

رأسا واحدا فقط ، ولكن ابنتى نفسها بها هذا
العيب . الجان ذوو الثلاثة الرؤوس أصبحوا

مودة قديمة ! بل ان ذوى الرأسين قد أضحوا
نادرين . ومن واجبي أن أقول انهم ليسوا

أصحاب منظر جميل .
(مخاطبا ببير جينت) .

اذن فأنت تجرى وراء ابنتى ؟
بير : ابنتك ومملكتك معا ، كجزء من دوطتها .

الملك : سأعطيك نصف المملكة وأنا حى ، فاذا ما اقطع
نفسى فخذ الباقي .

بير : اتفاق عدل .
الملك : اصبر قليلا ، يا بنى . على أن آخذ منك بعض

الموائق . فاذا ما خرجت على أحدها صار اتفاقنا
لاغيا ، واذ ذاك لن تخرج من هنا حيا . عليك

أولا أن تمحو من ذاكرتك العالم خارج الروند .

بير : (متفكرا) هيه — يقولون ان علينا أن نبلع ما نكره ، ولا شك عندي في انتى سأعتاد هذا الطعم بمرور الوقت . الآن أشرب (يشرب) .

الملك : هذا قول حكيم ! أتبصق ؟

بير : كان هذا مجرد حكم العادة .

الملك : بعد هذا ، عليك أن تخلع ملابسك المسيحية . في هذا البلد ، يشرفنى أن أقول ان كل شيء هو من صنْع الجبال . لا شيء يأتينا من الوادى الا الذبول .

بير : (في غضب) أنا لا ذبل لى .

الملك : اذن أعطيك ذبلا . أيها الحاجب ، ألصق به أفتخر ذبولى .

بير : اياك أن تجسر ! أتم تسخرون منى !

الملك : لن تستجيب لك ابنتى وعجزك عاطل من الذيل!

بير : أتريدون أن تحيلوا البشر وحوشا !

الملك : يا ولدى ، أنت مخطيء ! انما أنا أحيلك فارسا غندورا . سنعطيك ذبلا أصفر فى لون اللهب وهذا تشريف ما بعده تشريف .

بير : (متفكرا) هيه — يقولون اننا ريش فى مهب

رجال البلاط : (مخاطبا بير) : أتفهم ؟

بير : تبدو لى المسألة غير واضحة .

الملك : « كفى بنفسك » عبارة شاملة يا بنى ، عليك أن تحفرها على شارتك .

بير : (يهرش وراء أذنه) ولكن —

الملك : هذا واجبك ، ما دمت ستصبح ملكا هنا !

بير : ما دام هذا واجبا فهو واجب . انه ليس أسوأ —

الملك : وبعد هذا ، عليك أن توائم ما بينك وبين أسلوبنا البيتى الصريح البسيط فى الحياة .

(يشير ، فيدخل جنيان لهما راسا خنزير ، يلبسان قطنسوتين بيضاوين ويحملان طعاما وشرابا) .

أبقارنا تلد فطائر وثيراننا تحلب العسل المخمر . لا تسأل ان كانت الفطائر والعسل حلوة أم مرة ، فالهمم أن الفطائر بيتية والعسل مخمر فى المنازل .

بير : (يدفع بها بعيدا عنه) اذهبوا للشيطان بشرابكم الغريب ! لن أعتاد قط أحوال بلدكم .

الملك : ان القصعة جزء من الشراب ، وهى من الذهب . فمن يأخذ القصعة يأخذ ابنتى أيضا .

رجل البلاط : أيمجيك هذا ؟
يسر : يعجبني !
الملك : قل رأيك بصراحة . ماذا ترى ؟
يسر : شيئاً لا يعقل ! بقرة تجذب وتترا بحافرها ،
وخنزير في جوارب قصيرة ، يرقص مضطرباً ،
على هذا النشاز .
رجال البلاط : كلوه !
الملك : اذكروا أن مقاييسه انسانية .
فتيات الجن : دعونا تقطع أذنيه ، ونخزق عينيه !
امراة في ثياب مخضر : (تبكي) بو — هو ! حرام أن تتحمل هذا كله ،
وأنا وأختي نرقص ونعزف بكل مهارة !
يسر : يا لسوء الحظ ! أهو أنت ؟ انما كنت أغيتك
فقط . في الحفلات كل ما يقال هذر .
المرأة في الثياب
الغفر : أقسم انك كنت تغيطنى ؟
يسر : كانت الموسيقى والرقص تخبب اللب . أقسم على
هذا .
الملك : شيء غريب ، هذه الطبيعة البشرية . تلتصق
بالانسان كأنها بشرته . فاذا ما أصيب في شجار ،
تركت فيها الاصابة أثراً . غير أن الجراح سرعان

الريح ، وان العادة والطريقة تحملاننا حملاً .
ليكن اذن ، امضوا قدماً !
الملك : أنت شاب حكيم .
رجل البلاط : انظر كيف تحرك ذلك في خيلاء .
يسر : (مغيظاً) أهناك شيء آخر يجب أن آتبه ؟ هل
أنزل عن عقيدتي المسيحية أيضاً ؟
الملك : بل تمسك بها اذا كان هذا يسرك . حرية المعتقد
هنا مكفولة . لا ضرائب عليها . انما يميز الجنى
طريقة تفصيل ثيابه . اذا ما اتفقنا على العادات
والملابس ، فأنت حر في أن تؤمن بما تشاء ،
ولو كان جديراً أن ينزل في قلوبنا الفزع .
يسر : بالرغم من الشروط التي تفرضونها ، فأنتم أكثر
اعتدالاً مما قدرت .
الملك : من أسف يا بنى ، انا نحن الجن لا تطابق
حقيقتنا سمعتنا . وهذا فارق آخر بيننا وبينكم .
على كل حال ، قد انتهى القسم الجاد من المسألة ،
والآن نمتع العين ، ونشنف الأذن . يا صاحب
القيثارة ، المس برفق أوتار قيثارتك ! أيها
الراقص ، ارقص بخفة على أرض قاعة دوفر .
(موسيقى ورقص)

- ما تلتئم . هذا زوج ابنتى أصبح مطواعا . خلع
عنه سراويله المسيحية ، وشرب ، مختارا ، عسلنا
المخمر ، ورضى أن نلتصق بمؤخرته ذيلا . فعل
كل هذا بمحض رغبته حتى لقد ظننت أن
الانسان المدرك فيه قد خرج الى الأبد ولكن كنت
واهما ! فما أسرع ما عاد اليه هذا « الانسان »
لهذا ، ترانى مضطرا ، يا بنى ، الى أن أشفيك
من انسانيته هذه .
- بير** : وكيف تفعل ؟
الملك : سأسئل عينك اليسرى حتى ترى كما نرى ،
ويصبح كل ما يقع عليه بصرك مدموغا بطابع
الامتياز . وبعدها سأكسر اللوح الزجاجى
الأيمن فى نافذتك —
- بير** : أنت سكران ؟
الملك : (يضع على المائدة بعض الآلات الحادة) هذه
أدوات الزجاج . سنروضك كما يروض الثور
الهائج ، واذا ذاك ستجد عروسك فاتنة . لن
تخدعك من بعد عينك فتخيل لك خنازير
مضطربة الخطى وأبقارا تعزف بحوافرها .
- بير** : هذا جنون .
امير رجال البلاط : هذا قرار ملك الجان . انه هو الحكيم وأنت
المجنون !
- الملك** : اذكر المتاعب التى ستنجو منها عبر السنين
ولا تنس أيضا أن العيون هى مصدر الدموع
المره الغاضبة .
- بير** : هذا حق ، والانجيل يقول : اذا ما أغضبتك
عينك اليمنى ، فاسملها . الآن قل لى ، متى يعود
بصرى الى سابق عهده ؟
- الملك** : لا يعود قط ، يا صديقى !
بير : ما دام الأمر كذلك فانى أقول : « لا ، أشكركم » .
الملك : وماذا تفعل اذن ؟
- بير** : أرحل على الفور !
الملك : صحيح ؟ من السهل الدخول الى مملكتى ، ولكن
أبواب قصرى لا تفتح الى الخارج .
- بير** : هل تبقوننى هنا قسرا ؟
الملك : اصغ الى ، أيها الأمير بير ، وحاول أن تكون
حكيمًا ! ان مواهبك تؤهلك لأن تكون جنيا

ولست أنا الذى يستهان به . أيها الحمار الطويل
الأرجل ! أتعلم من أنا ؟ أنت أولا قد تماريت
مع ابنتى —

: هذا كذب !

: وعليك أن تتزوجها !

: أتجرؤ أن تدعى — ؟

: أتتكبر أنك قد أحسست بالرغبة فيها ؟

: (يصفر) هذا ليس جرما كبيرا ، على كل حال .

: البشر كلهم سواء . أتمم تتحدثون وتحدثون .

وتتحدثون عن أرواحكم ، غير انكم انما تعنون

حقا بالجسد . واذن فأنت ترى أن الرغبة أمر غير

ذى بال . ليكن اذن ، فسرعان ما تبين انك واهم .

: لن تصيدنى بهذا الطعم من الأكاذيب .

: لا ينتهى العام حتى تصير والدا فخورا .

: اتركونى أخرج من هنا .

: سنرسل لك وليدك ملفوفا فى جلد عنزة .

: (يمسح العرق من جبهته) لو انى فقط أستيقظ !

: أنرسل الوليد الى قصرك ؟

: الى القرية .

ممتازا — أليس له طابع الجنى وهياته ؟ وأنت
تحب أن تكون جينا ، أليس كذلك ؟

: يعلم الله انى أريد ! ان كسب عروس جميلة ،

ومملكة نموذجية الى جوارها ، مسألة تستأهل

بعض التنازل . ولكن لكل شىء حدود . قد قبلت

الذيل ، هذا صحيح ، ولكن ما الذى يعنى أن

أخلعه ؟ وقد خلعت سراويلى ، وكانت قديمة

مزقة . ولكن ماذا يردنى عن ارتدائها من جديد ؟

أما حياة الجن هذه ، حياتكم ، فلتخطئى

الشياطين ان لم أستطع أن أنضوها عن نفسى .

إذا شئت أقسمت أن البقرة فتاة بكر ، فانى

أستطيع دائما أن أتحلل من القسم . ولكن أن

أفقد حريتى ، وأعلم انى لن أستردها من جديد ،

وانى حين أموت لن أدفن كما يدفن خيار الناس ،

وانى سأقضى بقية أيامى مع الجن فى الجبال ،

وكما تقول الأفاصيص لا أعود الى بيتى قط —

وهذه مسألة تلحون عليها كل اللاحاح — فأمرور

كلها غير مقبولة لدى .

: الآن ، بعزتى وجلالى ، أشعر أن صبرى ينفد ،

بير

بير

الملك

بير

الملك

بير

الملك

بير

الثرة فى الثياب
الفقر

بير

الملك

بير

الملك

بير

الملك

- الملك** : ليكن اذن ، أيها الأمير بير ، هذه مسألة تخصصك
ولكن شيئاً واحداً مؤكداً ، وهو أن ما كان قد
كان . وسيأخذك العجب حين ترى ابنك فان
الأولاد المخلطين يكبرون بسرعة هائلة .
- بير** : أيها العجوز ، أنت كالبلبل في عنادك . سيدتي
العزيزة ، هدئي نفسك ! فقد نستطيع الوصول
الى اتفاق . على أولاً أن أوضح اننى لا أنا أمير
ولا ثرى . ومهما تصوروننى فلن أكون مصدر
فخر لكم .
- الملك** : (ينظر اليه باحتقار ثم يقول) مزقوه اربا على
الصخور ، يا أولادى .
- شباب الجن** : ألا نلعب به أولاً لعبة النسور والبوم ؟ أو لعبة
الذئب ؟ أو لعبة الفأر الأشهب والقطعة ذات العين
الجهنمية ؟
- الملك** : أيها تشاهون ، ولكن اسرعوا ! فانى مغضب
نعسان . طاب مساؤكم !
(يخرج)
- بير** : (يطارده شباب الجن) اغربوا عنى ، أيها
الشياطين !
(يحاول الخروج من المدخنة) .
- شباب الجن** : أيها العفاريت ، يا صغار الشياطين ، عضوا جسمه
جميعاً .
- بير** : آى !
(يحاول الخروج من الباب السحرى الى
غرفة الكرار) .
- شباب الجن** : سدوا كل المنافذ .
كم ينعمون بهذه الدعابة ، هؤلاء الأعراء الصغار !
رجل البلاد
- بير** : (مناقلاً مع جنى صغير ملتصق بأذنه) اتركنى ،
أيها الدودة !
- رجل البلاد** : (يضربه خفيفاً على ركبتيه) اذكر انك تتحدث
مع أبناء الملك .
- بير** : حجر فأر ! (يندفع صوبه) .
- شباب الجن** : أيها العفاريت ، سدوا هذا الجحر !
- بير** : الملك العجوز كان جهنياً ، وهؤلاء الصغار
أسوأ منه .
- شباب الجن** : اسلخوا جلده !
- بير** : (يدور ويدور فى سرعة) لو اننى كنت فى حجم
الفأر —

شباب الجن : (يتجهرون حوله) أخطأوا به ! قد وقع في
أيدينا !

الفصل الثاني – المشهد السابع

المنظر : ظلام دامس . نسمع بيرجيت وهو يلهب شيئاً
يسوط من غصن الشجر .

يسر : (يخفى عن الأنظار وراء كتل الجن) النجدة
يا أمي ، انهم يقتلونني !

يسر : قل لي ! من أنت ؟
صوت في الظلام : أنا نثسي .

(تسمع أصوات أجراس الكنيسة عن
بهد) .

يسر : 'نخل عن الطريق .
الصوت : بل در أنت . في الجبال متبع .

حبيان الجن : أجراس في الجبال ! أبقار ذوى الملابس السود
(يهرب الجنان . ضوضاء وصيحات
متوحشة . تتداعى قاعة الملك يخفى كل
شيء) .

(بير يحاول ان يسير في اتجاه آخر ،
ولكنه يعظم « بالشيء ») .

يسر : من أنت ؟
الصوت : أنا نفسي . أنتستطيع أن تدعى انك تفسك ؟

يسر : أقول ما أريد ، وسيفي هذا يضرب شدة ! خذ
حذرك ، والا أوقمته على رأسك ! كان الملك

« سول » يذبح المئات ، أما بيرجيت فيقتل
الوفا . (يلهب بالسوط) من أنت ؟

الصوت : أنا نثسي !

: (يعود) الى الوراثة أو الى الأمام ، نفس المسافة .
بالداخل ، أو الخارج ، المرضيق . . انه هنا !
وهو هناك ! وهو في كل مكان يبدو أنتى
نجوت ! لا ! الدائرة السحرية اطبقت على . . من
أنت ؟ اظهر ! قل ماذا تكون !

الصوت : أنا البويج .

: (يتحسس على غير هدى) لا أنت ميت ولا حى .
لا شكل لك . غروى وضبابى . دبية تهمهم فى
غضب ، وهى نصف نائمة ، تتجه حولى
وتدوسنى . (يصرخ) اضرب ، ألا تستطيع ؟

الصوت : بويج ليس مجنوناً .

بير : اضرب !

الصوت : لا حاجة هناك .

بير : قاتل . يجب أن تقاتل !

الصوت : بويج العظيم سينتصر ، ولكنه لا يقاتل .

بير : هل من جنى صغير يقرصنى أو يغزنى ! ولو جنى

فى عامه الأول ! شىء اقتتل واياه ! وليس فراغاً !

آه ، انه يشخر ! بويج ؟

الصوت : نعم ؟

بير : رد يدل على غباء خله لنفسك . وكن أكثر
وضوحاً . من أنت ؟

الصوت : أنا الجنى بويج العظيم . .

بير : هذا رد أفضل قليلاً . لغزك قد أخذ يتكشف

الاسود فيه أصبح رمادياً . خل عن الطريق

يا بويج .

الصوت : بل در أنت ، يا بير .

بير : سأخترتك . (يقطع الهواء بضربة من الفصن)

ها قد سقط !

(يحاول التقدم ولكنه يصطدم بالشىء

من جديد) .

آه ! هذه « أشياء » أخرى !

الصوت : بل البويج ، يا بير جينت ! هناك واحد فقط .

البويج الذى لم ينله الأذى ، البويج الذى

جرح . البويج الذى مات ، البويج الذى هو حى .

(يلقى بير جينت الفصن جانباً) .

بير : لا جدوى من سيفى ؛ فلاعتمد على قبضتى .

(يلکم الهواء) .

الصوت : أعتد على قبضتك ؛ اجعل أملك فى قوتك .

ها ها ! انك جدير ، يا بير جينت أن تبلغ الذرى .

بير : أتدريين أيا كنت الليلة الماضية ؟ ابنة ملك دوفر
كانت تطاردني !

سولفيج : اذن فخيرنا فعلنا اذ قرعنا الأجراس .

بير : ليس بيرجيتت بالذى يؤخذ دون مجهود . هيه
قولى شيئا !

هيلجا : (باكية) آه ، انها تولى هاربة !
(تجرى وراءها) .

انتظري !

بير : (يسكها من ذراعها) انظري ماذا أحمله فى

جيبى ! زرار من الفضة ! سأهبك اياه لو قلت
كلمة طيبة فى حقى !

هيلجا : دعنى أذهب ، أرجوك !

بير : هذا هو .

هيلجا : دعنى أذهب . هذه هى السلة !

بير : اذا لم تفعلى ، فألله يرحمنى

هيلجا : أنت تؤلمنى ! اتركنى من فضلك .

بير : (فى هدوء ، يدعها) لم أقصد شرا ، أرجها أن
لا تنسانى .

(تفر هيلجا هاربة) .

الفصل الثانى — المشهد الثامن

المنظر : الفجر : جانب الجبل خارج كوخ آس . الباب
مغلق . السكان صامت مهجور . بير جيتت نائم ، الى جوار
الحائط . يصحو ، وينظر حواليه بعينين بليدتين ذهب منهما
البريق ، ثم يبصق .

بير : ما أشد ما تهفو نفسى الى الرنجة المخللة !

(يبصق ثانية . فى نفس الوقت يرى

هيلجا تقترب منه وفى يدها سلة بها
طعام) .

هوه ، يا صغيرة ، ماذا تفعلين هناك ؟

هيلجا : سولفيج —

بير : (يتنفض واقفا) أين هى ؟

هيلجا : وراء الكوخ .

سولفيج : (وهى مختبئة) اذا جئت الى ، فسأفر هاربة !

بير : (متوقفا) أما زلت تخشين أن أضمك الى
صدرى ؟

سولفيج : أنت لا حياء لك !

قطع الأخشاب ، ولكنه أكثر مشقة حين يخلطه
الماء بأحلام اليقظة . يجب أن تنتهي هذه
الشطحات العجيبة الى ما فوق السحاب ، الى
عالم اثيرى لم يوجد قط . أنت طريد ، خارج
على القانون ، يا فتى ، طريد في غاب .
(يقطع في سرعة كبيرة)

أجل ، هارب ! لا أم لك الآن تبسط المائدة
وتحضر لك الطعام . اذا أردت أن تأكل ، فاعمل
في سبيل القوت ، اصطد الوحوش في الغاب
أو السمك في جداول الماء ، اقطع الخشب الذى
تحتاج وأشعل النار للدفاء ، ابن بيتك بيديك
ورتبته بنفسك . تريد الملابس دثارا ؟ اقتل غزال
الرنه . تريد أن تبنتى بيتا ؟ اقطع بيديك الأحجار .
تحتاج عروقا من البلوط ؟ عليك أن تنشر الخشب
وتحملة الى البيت على كاهلك القوى العريض .
(ينزل بطلته ويحرق فيما أمامه) .

سأبنى لىفى بيتا ذا جمال ، له برج ، ومؤشر
للريح ، وعند نهاية الحائط سأحفر صورة لىورية
بذيل طويل تضرب به الماء . سأكسو مؤشر الريح

الفصل الثالث المشهد الأول

المنظر : في أعماق غابة صنوبر ، يوم داكن من أيام الخريف
الثلج يتساقط . يرى بروجيت وقد خلع سترته ، يقطع
أشجارا . ويسدد ضرباته الى شجرة شربين طويلة ، لها
انفصان ملتوية .

بير : آه ، أنت قوى يا صديقى العزيز ، ولكن قوتك
لن تجدى . ان أيامك معدودة (يقطع من جديد)
أعلم انك ترتدى درعا ولكن سأخرقه ، رغم
قوته . أجل ، حرك أذرعك الملتوية ، فانت
غاضب مغيط أنا فاهم . ولكنى سأجعلك تجشو
على ركبتيك — !

(يتوقف فجأة)

مزيد من الأكاذيب ! لا بطل هناك وراء الدرع ،
مزيد من الأكاذيب ! ليس البطل الا شجرة
عتيقة ، شجرة شربين لحاؤها مشقق . عمل شاق ،

يحدث فيما حوله . يضع يديه على غصن . ما الذي
يفعله الآن ؟ انه ساكت السكوت كله ، متوتر
تماما .. آه ، يا للفضاعة ! لقد بتر اصبعه ! بتره
تماما ! وهو ينزف الدم كالشور الذبيح . انه
يجرى هاربا وقد لف خرقة حول يده .

(يقترب من مكان الحادث) .

يا للشيطان ! اصبع ! بتره ! فعل هذا عن عمد .
آه ! الآن فهمت ! طريقة ناجعة للهرب من الخدمة
العسكرية . لا بد أن الأمر كذلك . أرادوا له أن
يحارب ، وهو يكره الحرب . ولكن ، يبتتر
اصبعه — يشوهه نفسه — ! فكر في هذا ،
نعم ، لديك الرغبة ، والنية . افعلها اذن ! لا !
هذا يفوق قدرتي .

(يهز رأسه ويستأنف العمل)

والاقفال كساء من النحاس . وقد أحصل على
زجاج للنوافذ وسيرى الأغراب البيت عن بعد .
فيفغرون الأفواه ويمجبون بجده وجلاله .
(يضحك في عدم ارتياح) .

أحلام وأكاذيب ! فعلتها ثانية . أنت تريد منبوذ .
(يستأنف العمل في لذة جديدة)

كوخ له سقف مناسب ، يمنع المطر والصقيع .
(ينظر الى الشجرة)

انه يتداعى . ضربة أخرى ! ها قد سقط ! ها قد
أنظرح على الأرض عند قدمي . الأشجار الشابة
ترتعد كلها حولى .

(يأخذ في تكسير الأغصان : وفجأة يتوقف
ويتسمع ، وفاسه مرفوعة) .

هذا شخص يطاردني . أليكون ذلك المعجوز من
هيجستاد جاء يجرب في الألعاب ؟

(يختبئ وراء شجرة وينظر امامه
باحتراس) .

صبي ! مجرد ولد ! يبدو خائفا . متسللا أيضا .
ما هذا الذى يخفيه تحت سترته ؟ منجلة ؟ انه

وتركوه خواء . ما نسيه هيجستاد ، أخذه
المحضرون . ولم يتركوا لي خرفة أستبر بها ظهري .
من المخجل أن يبلغ الناس هذا الحد من القسوة .
(تجلس على حافة الفراش) .

ذهبت المزرعة والأرض معا ، والى الأبد . كان
هيجستاد العجوز قابليا ، ولكن القانون أقسى
منه . لم يساعدني انسان . لم يظهر أحد عظفا
عليّ . وابني بير غائب ، وما من ناصح لي
أو معين .

: هذا البيت ملكك حتى يوافيك الأجل .

: آكل خبز الاحسان ، أنا وقطتي !

: الله في عونك ! كل هذا بسبب بير !

: بير ؟ أظن انك تخطئين الأمور ! قد عادت انجريد

الى بيتها سالمة في النهاية . لو كانوا عادوا باللائمة

على الشيطان لكانوا أكثر حكمة . انه هو الذي

أجرم ، ولا أحد غيره . ان أبا الأكاذيب قد غرر

بابني المسكين !

: أليس من الأوفق أن نرسل للقس ؟ قد تكون

حالتك أسوأ مما تقدرين .

الفصل الثالث : المشهد الثاني

المنظر : غرفة في بيت آس . الفوضى ضاربة اطنابها .
الصندوق فارغ . الملابس متناثرة في أرجاء الغرفة . على الفراش
ترقد تطة آس ، وزوجة أحد الفلاحين ، واسمها كاري ،
تحاولان جاهدتين ترتيب الغرفة .

آس : (تهرع الى أحد أركان الغرفة) . كاري ،
اسمعي !

كاري : ماذا هناك ؟

آس : (من أبعد أطراف الغرفة) أين هو ؟ اني لأعجب

أين — قولي لي . قولي لي أين — عم أبحث .

سأجن ! أين مفتاح الصندوق ؟

كاري : في الثقب .

آس : ما هذه الضوضاء ؟

كاري : هذا آخر حمل ينقل الى هيجستاد .

آس : (تبكي) يا ليتهم ينقلونني في نمشي الى القبر !

شد ما تتحمل نحن البشر المساكين من عناء !

ارحمنا يا رب ! قد أخذوا معهم متاع البيت كله .

أس

: ترسل للقص؟ أظن أن هذا واجب .

كاري

: اسرعي اذن ، فلا وقت أمامك .

أس

: حين انتهى من الرفو ، سأوى الى الفراش . انى

منهكة ، وأحس بالمرض يتقل على .

(فى ابتهاج)

انظرى يا كاري ! ، هذان قيصان ! نسوا أن

بأخذوها ! .

كاري

: فصلا !

أس

: هذا شيء من حسن الحظ ! أظن أنه يحق لى أن

أحتفظ بأحدهما . لا ! بل ليس ما يمنع أن أبقى

الاثنين . ان القيص الذى يلبسه قد أصبح

خيوطا .

كاري

: ولكن هذه خاطئة ، يا أس ، كما تعلمين .

أس

: أعلم هذا . وأعلم أيضا أن الندم يفقر الذنوب .

ليكن اذن ، سأندم !

١٢٠

١٢١

يسر : سولفيج ! لا ، لا يمكن — بل هي أنت فعلا
ولا تخافين أن تقرينني الى هذا الحد !

سولفيج : قد بعثت برسالة مع هيلجا الصغيرة ، وجاءت
رسائل أخرى مع الريح والصمت . وكانت كلمات
أمك محملة هي الأخرى برسائل ، وفي أحلامي
المزدحمة رأيت رسائل كذلك . قالت لي الليالي
الطويلة ، الطويلة ، وأيامي الفارغة : اذهبى اليه .
في الوادى ، نضب معين الفرح . عز على الضحك
والبكاء معا . لم أدر ماذا يدور في تفكك ولكنى
عرفت ما يجب أن أفعل .

يسر : وأبوك ؟

سولفيج : في هذه الدنيا العريضة الواسعة ، لا أعرف أحدا
أسميه أبى أو أمى . قد تركتهما الى الأبد .

يسر : سولفيج يا درتى ! . كل هذا لأجلى ؟

سولفيج : نعم . لأجلك وحدك . كن لي وحدى ، يا صاحبي
يا حياتي .

(تبكى) .

أسوأ ما عنيت فراق أختي الصغيرة . وأسوأ منه
فراق أبى ، وأشق منهما فراق من حملتني في

الفصل الثالث . المشهد الثالث

المنظر : خارج كوخ حديث البناء في الغابة . قرون غزلان
مبثثة على الباب . الثلج مترام في اكوام عالية . الوقت غسق
بيرجينت واقف بالباب يثبت رتاجا خشبيا كبيرا . بين الحين
والحين يتوقف ويضحك .

يسر : يجب أن أضع رتاجا . رتاجا يضمن لي أن يدرأ
الباب عني الجان ، والرجال والنساء . على أن
أضع رتاجا ، رتاجا يصد عني طائفة الشياطين
المسمومة الأنفاس . انها تهبط حين يأتي المساء .
تدق الباب وتخبط عليه ، وتصيح : افتح يا بير
اننا خفاف الحركة كالأفكار ! سنزحف تحت
الفراش ، وننكش في الرماد ، وننفخ في المدخنة
فتسقط كالتنين الملتهب . هي — هي —
يا بيرجينت ، أظن أن المسامير والأخشاب تمنع
عك الأفكار العفريتية ؟

(تدخل سولفيج على قبعتاب الانزلاق .
جاءت عبر الأرض الخلاء . تلبس شالا
وتحمل في يدها صرة) .

سولفيج : كلل الله عملك بالنجاح ! رجوتك ألا تطردنى .
لقد طلبتني وها قد جئت . والآن أنا ملك لك .

سولفيج : صغيرا كان أم كبيرا ، أنا أحبه ، فهو بيتك .
ما أروح أن ينسم المرء الهواء هنا في الجبل .
الوادى خائق . شعرت انى في قبر . من أجل
هذا جئت . أما هنا فانى أسمع نواح الصنوبر
— اسمع الصمت والغناء — هنا أنا في بيتى .

بير : وواثقة أنت من حبك ؟ هذا عمل لا رجعة فيه .
سولفيج : جئت اليك — ولا رجوع .

بير : فأنت اذن لى ! ادخلى ! أريد أن أراك داخل
البيت . ادخلى ! سأتى بحطب للنار . سرعان
ما يصبح المكان وثيرا ومنيرا ودافئا . سيكون
دائما أليفا . ولن تحسى قط ببرد .

(يفتح الباب . تدخل سولفيج . يظل
واقفا لحظة . ثم يضحك ويقفز من
الفرح) .

ابنة الملك ! وجدتها ، كستها أخيرا ! والآن
يقوم في هذا المكان قصر ملك .

(يلتقط بلطته وياخذ في مغادرة المكان .
تظهر عجوز تلبس أسملا خضرا . وتقترب
من غابة الصنوبر . ولد قبيح المنظر ومعه
قنينة يقفز على رجل واحدة ورائها ،
ممسكا بثوبها) .

المرأة : طاب مساؤك يا بير ، خفيف الرجل .
بير : ماذا ؟ من أنتما ؟

ذراعيها وعلى صدرها . لا ، غفر الله لى ، بل
الأشيق فعلا هو ألم فراقهم جميعا — أجل جميعا .
بير : تدرين بالحكم الذى صدر على ؟ كيف صادروا
تركى ؟

سولفيج : ما من أجل متاعك ومنقولاتك تركت من أحبهم
كل هذا الحب .

بير : وتعلمين الباقى ؟ حياتى في خطر لو عثر على أحد
خارج هذه الغابة .

سولفيج : جئت على حذاء الانزلاق . سألت عن الطريق .
قالوا لى : « الى أين تقصدين » قلت : « بيتى » .

بير : لتذهب اذن المسامير والألواح والقضبان ! مابى
حاجة لرتاج يمينى من أفكار العفاريت .

ما دمت جسرت على أن تقيى معى هنا ، فمقدس
هذا الكوخ . خلينى أنظر اليك يا سولفيج ! لا ،
لا تقتربى هكذا ! دعينى أديم النظر فيك فأنت
نقية ، وجميلة ! دعينى أحملك ، فأنت رشيقة ،
مجنحة ! هل أحملك يا سولفيج ؟ لن أتعب قط !
لن تتسخى للمسى . سأحملك بعيدا عنى . أنت
مليحة دافئة ! . من كان يظن أنى أجعلك
تهويننى ؟ شد ما طال اليك بالليل والنهار حنينى !
انظرى ! قد بنيت هذا ! قطعت الخشب ، أيضا .
انه ينهار ! انه ضئيل وحقير —

- المراة** : صديقان قديمان ، يا بيرجيت ! بيتي قرب .
نحن جيران .
- بير** : صحيح ؟ لم أكن أعلم .
- المراة** : حينما بنيت كوخك ارتفع كوخى الى جواره .
- بير** : (محاوولا الذهاب) أنا فى عجلة —
- المراة** : كنت كذلك دائما . ولكنى سأقل خطوى الثقيل ،
ولا أزال أتبعك .
- بير** : أنت مخطئة .
- المراة** : لا ، أبدا ! أخطأت مرة .. حين بذلت وعودك
الفاتنة .
- بير** : وعود ؟ أنا ؟ ماذا تعنين بحق الجحيم ؟
- المراة** : ذلك المساء الذى زرت فيه أبى وشريتما معا —
هل نسيت ؟
- بير** : نسيت ما لم يحدث قط ! ما هذا ؟ متى التقينا
آخر مرة ؟
- المراة** : آخر مرة كانت أول مرة .
(للصبى) .
- أبوك ظمآن . أعطه شرابا .
- بير** : أبوك ؟ أنت سكرانه ؟ أتريدين أن تقولى —
- المراة** : لن ترانى أفعل !
- المراة** : يعرف الخنزير من جلده ! أين عينك ؟ ألا ترى
أنه معوج الساقين كما أنك معوج العقل ؟
- بير** : تريدين —
- المراة** : تريد أن تملص ؟
- بير** : هذا الشقى الطويل الساقين —
- المراة** : قد كبر سريعا .
- بير** : أيتها الساحرة العجوز ، هل تجسرين على أن
تقولى —
- المراة** : اسمع ، يا بيرجيت ، أنت وحشى كالثور ! .
(تبكى) .
- أهو ذنبى اتنى لم أعد على جمالى الذى عهدته
يوم غررت بى فى التلال ؟ فى الخريف الماضى ،
حين جاءنى المخاض ، كان الشيطان طبيبى
الوحيد . لا غرو أن ذهب جمالى . اذا شئت أن
ترانى جميلة كعهدك بى فاطرد هذه الفتاة .
اطردها من عقلك ومن بصرك ، أفعل هذا ،
يا حبيبى ، وسبعود الى الجمال .
- بير** : امشى من هنا ، أيتها الكركوبة !
- المراة** : لن ترانى أفعل !

بير : (يقبض راحتيه) وكل هذا —
المرأة : ثمرة أفكار وشهوات . الأمر قاس عليك ، يا بير!
بير : هو عليها أشد قسوة ! سولفيج ! يا أجمل ،
يا أنقى نزار !
المرأة : آه ، أجل ! انما يقاسى من الناس الأبرياء . هكذا
قال الشيطان حينما ضربته أمه لأن أباه عاد اليها
وهو بين السكر !
(تخفتى وراء الشجيرات مع الولد ، الذى
يقذف القنينة فيصيب بها رأس بير) .
بير : (بعد قليل) .

در مكانك . هكذا قال بويج . وهذا ما يجب أن
أفعل . قد تهاوى قصرى الملكى . كنا جد قريبين .
والآن أحاطت بها الأسوار . والجمال والفرح
ذهبا الى الأبد .

در مكانك . ليس ثم طريق مستقيم بينى وبينها .
مستقيم ؟ هيه .. ربما .. ربما كان هناك طريق .
أظن أن بالانجيل شيئا عن الندم . ولكن ما هو؟
ليس معنى انجيل . قد نسيت . ليس فى هذا الغاب
من يدلى على الطريق . الندم ؟ قد تضى
سنوات وسنوات قبل أن أكسب اليها الطريق !

بير : سأفلق رأسك .
المرأة : جرب ، ان جسرت ! لا ، لا يا بيرجيت ، انى
أتحمل شديد الضربات . سأنى هنا كل يوم .
سأفتح الباب وأتلصص عليكما . وحين تجلسان
فى وهج النار ، وتهفو نفسك الى حبا ، وتحن
الى قبلات وعناق ، ستجدنى الى جانبك فى
مكانى الشرعى . سننالمك . سننالمك . سننالمك فى
فراشك . وداعا ، يا عزيزى بير ، الآن اذهب
وتزوج !

بير : أينها الشيطانة من الجحيم !
المرأة : يا لله — كدت أنسى ! عليك أن تربي ابنك ، أيها
الشقى ! ، اذهب ، أيها الشيطان الصغير ، اذهب
الى أبيك .

الوالد : (ييصق) سأحطم رأسك ببلطتى . اصبر !
اصبر على .

المرأة : (تقبل الولد) يا للفرحة ! يا له من ولد ممتاز !
ستكون صنو أبيك حين تكبر ويشتد منك العود!
بير : (يدق الأرض بقدمه) ليت دونكما من البعد .
المرأة : مثلما ما بيننا من قرب ؟

أدخل بعد هذا ؟ وأنا خيبت الرائحة ملوث
هكذا ؟ أدخل ومعى هذه الحاشية من الجن ؟
أتحدث فلا أقطع السكون ، وأعترف ولا أظهر
الخبىء ؟ .

(يلقي بطنه جانبا) .

هذا يوم مقدس . فان ذهبت اليها الآن على هذه
الحال ، فقد دنست القداسة .

سولفيج : (فى العتبة) ألا تدخل ؟

بير : (كأنما لنفسه) در مكانك .

سولفيج : ماذا ؟

بير : عليك بالانتظار . الدنيا غلام هنا ، وعلى حمل
ثقيل .

سولفيج : انتظر ! بل أعاونك ! سأتى وأشاطرك الحمل .

بير : لا ، ابقى حيث أنت . سأتولاه بنفسى .

سولفيج : اذن ، لا تتأخر .

بير : كونى صبورة يا حبيبتى ، مهما طال غيابى —

سولفيج : (تطرق) سأنتظر .

(يدلف الى الغاب . تظل سولفيج واقفة

بالباب وهو نصف مفتوح .) .

وخلال هذه السنين تكون الحياة خواء ، ويهلك
الانقياء ذوو الجمال . أمستطيع أنا أن أقيم
المتداعى بالقطع والشظايا ؟

قد ترقع الكمان ولكنك لا ترقع الساعة . اذا
أردت لحقلك أن يظل أخضر ، فلا تدسه بالأقدام .

على كل حال ، فقد كانت الساحرة العجوز
تكذب ! قد غابت عن بصرى بأفكارها التنتة ،

نعم ، غابت عن بصرى ، ولكنها لم تغب عن
عقلى . ستعقبها أفكار دساسة . انجريد ! والنسوة

الثلاث اللاتى رقصن وصرخن على التلال !
أيأتين ويلمن ويسخرن ، ويطلبن أن أهصرهن فى

عناق كما فعلت هذه ؟ أو أن يحملن فى حنان على
ذراعين ممتدتين ترحيبا ؟ در مكانك ! لا ، لا ، لو

أن ذراعى كانت طويلة كعصن الصنوبر ، وكجزع
شجرة الشربين ، لضممتها قريبا الى ، ثم وضعتها

على الأرض ثانية كأبقى ما كانت . لا ، لا ، لا بد
من أن أجد طريقى الدائرى . ليس بحثا عن كسب

أو خسارة وانما لأظهر نفسى من أشياء خير لى
أن أنساها .

(يخطو خطوات ثم يقف)

بير : تتركينى ؟ ما هذا الذى تقولين ؟ أين اذن
تذهبين ؟

آس : آه ، يا بير ، قد دنت ساعتى . لم يعد يبقى فى
عمرى الكثير .

بير : (يوليها ظهره ويقطع الغرفة ماشيا) هيه ! ظننت
اننى أهرب الى هنا من المتاعب . ظننت أن هنا ،
على الأقل ، مكانا أجد فيه حريتى . هل تحسبن
بردا ؟ فى قديمك ؟ فى يديك ؟

آس : نعم ، يا بير . أضحت ساعتى قريبة . حينما ترى
عينى أظلمتا ، اقلهما فى رقة كبيرة . ثم تكفل
بعد هذا بالتابوت . لا بد أن يكون جيد النوع ،
يا حبیبى . لا ، بالطبع ليس —

بير : اسكتى أرجوك ! سیتسع الوقت من بعد لكل
هذا .

آس : نعم ، نعم . (تنظر حوالىها فى الغرفة بقلق)
أرأيت هذا القليل الذى تركوه لنا ؟ عملوا على
شاكلتهم .

بير : (يستدير فى حدة) عدت لهذا الحديث ! (فى

الفصل الثالث — المشهد الرابع

المنظر : غرفة آس . مساء — نار المدفأة تضىء الغرفة .
القطعة راقدة على الكرسي عند الفراش . آس فى الفراش تجذب
الأغطية فى قلق .

آس : يا الهى ؟ أن يعود قط ؟ الساعات تزحف ببطء
ولا تنتهى . حتى الرسائل لا أملك أن أبعث بها .
ولدى كثير أقوله . لم أعد أملك أن أضيع دقيقة
واحدة . هكذا سريعا ! أيجىء الموت هكذا
سريعا ! أشد ما أود لو اقتنعت بأننى لم أكن سمع
قاسية .

بير : (داخلا) مساء الخير !

آس : أهذا هو بير ؟ الحمد لله ! أنت هنا أخيرا ، يا بنى
العزیز ! أنت تخاطر مخاطرة فظيعة ، وحياتك
هنا مهددة .

بير : حياتى ؟ وما تمم حياتى ؟ أحسست برغبة فى
رؤياك على الفور .

آس : ها قد كذبت كارى . الآن أتركك فى سلام .

آس : يقولون ان انجريد لا تعير دموع والديها
ولا توسلاتهم أذنا صاغية . اذهب وزرهم فقد
تقدم لهم بعض العون .

آس : والحداد ؟ ماذا يفعل « أسلاك » ؟

آس : لا تذكر هذا الحداد التتن . من الخير أن أذكر
لك اسمها . الفتاة هي — أنت تعلم — اسمها —

آس : لنجعل حديثنا العذب الطويل عن هذا وذاك من
الأمور ، ولنترك كل ما هو حزين ومؤلم . أنت
ظمآنة ؟ سأتيك بماء . أليديك يراح من الفراش

آس : لتمدى أطرافك ؟ هذا السرير يبدو صغيراً
عليك . الله ! لا بد أنه سريري وأنا طفل صغير .

آس : كل مساء كنت تجلسين على حافة الفراش
وتدسينيني تحت الأغطية ، وتغنين لي أغنيات
الأطفال . وأحياناً كنت تنادين على الماشية لتعود .

آس : أتذكرين ؟

آس : نعم . نعم . وهل تذكر أنت كيف كنا نلعب لعبة
الزحافات ، حين يخرج أبوك ؟ كنا نتخذ من
الملاءة زحافة ، ومن الأرض برزخاً تحاصره
الثلوج .

آس : خشونة ! أعلم أن هذا كله بسببي . فلا تذكريني
به .

آس : أنت ! لا ، انما المسئول تلك الخمر اللعينة . انها
أس البلوى . كنت سكرانا يا بني ، يا بني العزيز .

آس : لم تدر ماذا كنت تفعل . وهذا الذي فعلته من
ركوب الغزال ! لا غرو أن بدت أحوالك غريبة !

آس : نعم ، نعم ، فلننس كل هذا الهراء . لننس المسألة
اللعينة كلها . لنخزن أحزاننا جميعاً ولنبقها لقابل
الأيام .

(يجلس على حافة الفراش) .

آس : الآن ، خلينا نتحدث حديثاً طويلاً عذبا في هذا
وذاك . لننس الحزن والألم . انظري هذه قطنتنا
العزيزة ! لا تزال حية ! بعد كل ما جرى !

آس : باللبل تصيح كثيرة القلق . تعرف معنى هذا ،
أليس كذلك ؟

آس : (يغير الموضوع) هل من اشاعة جديدة هنا ؟

آس : (تبسم) يقولون ان في الحي فتاة ، تتشوف
للمرتعات —

آس : (بسرعة) ومادز موين . هل استقرت به الأحوال ؟

- آس : نعم ، نعم ، ولكن هل تذكرين ما هو أمتع ..
كل هذا جميعا ؟ جيانا العربية النارية الحماس ..
- آس : كأن في مقدوري أن أنساها ! كانت هذه الجياد
قطة كاري استعراها ، ووضعناها عالية فوق
كرسى —
- بير : وجعلنا نسوقها صاعدين التلال وهابطين الى
الوديان ، لنصل الى قصر سوريا موريا ، القصر
الذي يقع غرب القمر وشرق الشمس . وجعلت
من عصا وجدتيها في ركن من الصوان سوطا
تحثين به الجياد .
- آس : جلست في المقدمة كالسائق .
- بير : نعم ، وتركت الأعنة تتراخي ، واستدرت الى
ونحن نمضي تسألينني : هل أحس البرد . بارك
الله فيك أيتها العجوز القبيحة الجميلة ، فقد
كنت دائما محبة عطوفا — لم تنوحين ؟
- آس : ظهري ، يا حبيبي ، يؤلمني على هذه الألواح
الخشنة .
- بير : انهضى اذن ، ودعيني أمسك بك .. هكذا ! هذا
يريحك أكثر .
- آس : (في قلق) أريد الله أن يختارني ، يا بير .
- بير : يختارك ؟
- آس : أشتاق الخلاص .
- بير : نفى نفسك في أغطية الفراش . سأجلس على حافة
السرير ولتقض المساء في سمر . سأغنى لك مثلما
كنت لى تغنين . وسأنادى الماشية .
- آس : رجوتك يا بير أن تعطيني كتاب صلاتي . ان
روحي قلقة .
- بير : في قصر سوريا موريا ، أولم الملك والأمير
وليمة . فارقدي الآن على وسادتك وسأخذك
الى هناك في عربتي .
- آس : ولكن ، هل أنا مدعوة يا بير ؟
- بير : نعم ، كلانا بين المدعويين .
- (يلقي قطعة من الخيط حول مقعد القطة ،
ويمسك بعضا في يده ، ويجلس على حافة
الفراش) .
- شى — ! أرنا همتك يا بلاكي ! أمي ، هل تحسبن
بيرد ؟ آه ! الآن تتقدم والفرسة جرين في مألوف
خطوها السريع .

- آس : حبيبي بير ، اسمع أجراسا تقرر .
بير : انها أجراس الزحافة اللامعة ، يا حبيبتى !
آس : انه قرع أجوف كالأشباح .
بير : نحن نمر فوق « برزخ » .
آس : بير ، انى فزعة . ما هذا الذى يتنهد ؟ وما هذا
الهمس المخيف ؟
بير : انها أشجار الصنوبر ، يا أمى ، تتمم على التلال .
آس : الأنوار تلتسع على المدى . أتعرف من أين يأتى
النور ؟
بير : من نوافذ القصر . أسمعنيهم يرقصون ؟
آس : نعم .
بير : وهذا القديس بطرس ، يقف ، حارسا ، خارج
القصر . انه يدعوك للدخول فورا .
آس : هل هو يحيينى ؟
بير : نعم . تحية الشرف ، ويقدم لك التبيذ الطلو .
آس : ومعه فطير يقدمه مع التبيذ ؟
بير : نعم ! طبق منه لمى . وزوجة القس تصنع لك
القهوة ، ومعها الحلوى .
آس : آه ، يا الهى ! وهل حتم أن أقابلها ؟
- بير : ان أردت ، يا حبيبتى ، بالطبع .
آس : أنت تسوق أمك العجوز المسكينة الى حفلة
جميلة يا بير .
بير : (يفرقع بسوطه) شى ! أسرع يا بلاكى !
آس : أنت واثق اننا على الطريق الصحيح ؟
بير : (يفرقع بالسوط ثانية) هو طريق مريح
آس : ولكن الرحلة طويلة ومتعبة .
بير : القصر باد ، قريب . سرعان ما ندخل .
آس : سأرقد الآن ، وأغمض عيني ، واثقة فيك ، يا بنى
الحبيب .
بير : أسرعى الخطو ، يا جرين . ثمت جمع هائل حول
القصر . انهم يتجمهرون عند المدخل . بيرجيتت
وأمه هنا ! ماذا قلت أيها السيد القديس بطرس ؟
أمى لا تدخل ؟ أملا الدنيا بحثا ، طولا وعرضا ،
فلن تجد مثلها نبل روح . لن أذكر نفسى ، فانى
أستطيع أن أعود من حيث أتيت . اذا دعوتنى ،
فسأبقى طبعاً . وان لم تفعل فأنا راض . قد كذبت
على الناس عدد ما كذب أبو الأكاذيب . سميت
أمى دجاجة ، لأنها كانت تزعق وتكأكى ، ولكن

كاري : (داخلة) من؟ بير؟ اذن قد أنهيت حزنها، وألها.
يا الهى العزيز، انها تنام بعمق — أم هي — ؟
پير : هس! هس! لقد ماتت. (كارى تبكى بجوار
الجثة. بير يذرع الغرفة وقتنا طويلا. ثم يتوقف
عند الفراش). ادفيها دفنة كريمة. على أن
أرحل الآن.

كاري : أتذهب بعيدا؟

پير : نعم، أركب البحر.

كاري : تمنعني في البعد هكذا؟

پير : نعم، وأبعد.

عليك أن تقدرها وتسبغ عليها أمارات الشرف،
وتسرها وتسعدها. لن تجد من هي خير منها
في هذه الأثناء وفي هذه الأيام. هو، هو، هذا
هو الرب! يا قديس بطرس، الآن ينالك التقريع.
(في صوت عميق).

«لا تكن متكبرا مصعرا الخد هكذا. الأم آس
تدخل على الرب والسعة». (يضحك ويلتفت
لأمه) أسهعت! ألم أقل لك؟ القديس بطرس
انكمش وتضائل. (في قلق) أمي؟ ماذا جرى
قولى لى، هل جنت؟ (يذهب الى مقدمة
الفراش) لا تحدقنى فيّ هكذا، يا أمى قولى
شيئا أنا بير، ابنك الحبيب!

(يتحسس جبهتها ويديها في حنان. ثم
يلقى بالخط على المقعد ويقول في صوت
خفيض).

الآن، استريحى يا جرين. قد بلغنا نهاية الطريق.
(يغمض عينها وينحنى فوقها) شكرا لله،
يا حبيبتى لكل ما وهبتنى. الضرب والتقبلات
معا. والآن اشكرينى أنا أيضا. (يضغط خده
على فمها) هذا كان أجرك على الرحلة.

بالون : مسيو ، ان لك ذوقا وورنة ترحيب نادرا ما نلقاها
هذه الأيام من عزاب يعيشون en garçon
هناك شيء لا أدري كيف أصفه .

فون ايير كوف: انه يتمثل في اشارة يديه ! هو مرآة التحرر ،
والتأمل الروحي ، والاتناء الى العالم كله . له
رؤيا تخترق السحب من فرط النفاذ ، وعقل خال
من التحيز ، وان اصطبغ بصبغة النقد الأعلى^(١) ،
وله ميزة ال Ur-natur ومعرفة حقة بالحياة ،
هذه الصفات الرائعة جميعا ملتحة في كل واحد
يشمل سائر الأشياء أليس هذا ما عنيت ، مسيو؟
بالون : نعم . محتمل تماما . ولو أن عبارتي الفرنسية أقل
من هذا فخامة وطنظة .

فون ايير كوف: (٢) Ei was ان لسانكم محدود . ولكننا كنا
نبحث عن سبب هذه الظاهرة .

پير : قد عرف هذا السبب . أيها السادة ، اننى لم
أتزوج ، وهذا يفسر كل شيء . اذ ، ما هو واجب
الانسان ؟ باختصار : هو أن يكون نفسه ، وأن

(١) الطبيعة الاولى .

(٢) لا يا شيخ .

الفصل الرابع

المشهد الأول

« الشاطئ الجنوبي الغربى فى مراكش »

المنظر : مائدة معدة للعشاء بين غابة من النخيل ، وتحت
مظلة من القماش . على الأرض بسساط من لحاء النخيل
المجدول . والى الخلف اسرة معلقة مصنوعة من الجبال . فى
البناء يخث بخارى ، يرفع العلمين النرويجى والأمريكى . على
الشط يرى زوارق من زوارق خدمة السفن . الوقت قرب
مغيب الشمس . يبدو بير جينت جميل المنظر ، وهو الآن فى
منتصف العمر ، ويرتدى بذلة رشيقة للسفر ، مثبت فى سترتها
منظار محلى بالذهب . بيرجنت على رأس المائدة ومعه مستر
كوتون ، ومسيو بالون ، وهرفون ايير كوف ، وهر
ترامبيتارستال ، والجميع يتناولون العشاء .

پير : اشربوا ، يا سادة ! ما دام المرء مخلوقا للمتعة ،
فليشرب منها حتى يرتوى . يقولون ان ما فات
فات . والماضى أبدا لا يعود . ماذا تشربون ؟

ترامبيتارستال : أنت أمير المضيفين ، أيها الأخ العزيز جينت —

پير : فلتشارك أموالى الطباخ والساقى فى هذا الشرف

كوتون : ليكن اذن ! نشرب نخبنا نحن الأربعة !

العكس . : **بير**

آه ! : **بالون**

(في برود) آه ، ستبتسمون الآن ! تطورت

الأمر حتى أصبح من الحكمة أن تزوج من فورنا . ولكنني ، بصراحة ، وجدت المسألة من أولها لآخرها ، كرهية الطعم . وأنا من عدة وجوه مبالغ في التدقيق . وأحب دائما أن أقف بفضل ساقى ، وليس بعون الآخرين . ولذا ، فحينما أخذ أبوها يلمح الى طلبات يراها معقولة وعادلة ، من أمثال : ضرورة أن أتنازل عن اسمي ومركزى الاجتماعى وأنضم الى الفريق الذى يمثله ، ثم عدد آخر من الطلبات لم أجدنى قادرا ولا راغبا فى قبولها ، رفضت انذاره التهاى ، وانسحبت بالكبرياء المطلوب ، وأحلت عروسى المتفتحة من التزامات العقد .

(ينقر على المائدة ويتظاهر بالتقوى) .

نعم ، نعم ، ان القدر هو الذى يقود خطواتنا . وعلى الانسانية أن تعتمد عليه . بل أن فى هذا راحة ، صدقونى .

يكرس نفسه لنفسه ، ولما يخصه ، يفعل هذا

دائما وبلا حدود . وانى له أن يفعل هذا ، اذا كان

كالجبل ، يحمل على ظهره أفراس غيره وأتراحهم؟

فون ابير كوف : ولكن — ميزة أن تكون كل شىء لنفسك —

لا شك أنك كافحت من أجل كسبها ؟

بير : فى سبيلها لم ينقطع لى كفاح ، ولكنى دائما كنت

أوفى فى الخروج من المعركة موفور الشرف ،

ولو أئنى فى مناسبة واحدة كدت أنزلق . كنت

اذ ذاك شابا مرحا ، متلافا ، وكانت السيدة التى

أحببت من أسرة ملكية .

بالون : ملكية ؟

بير : (بلا احتفاء) واحدة من أولئك الأسر — لا ريب

انكم عرفتم بعضها —

ترامبيتارستال : (ينقر على المائدة) مغفلون ذوو دم أزرق —

بير : (يهز كتفيه) لهم أنساب لا محل لها اليوم ، كل

همهم أن يحفظوا حسب أسرهم من أن تلوثة

بصمات الرعاع .

كوتون : وماذا حدث ؟ هل فشلت الزيجة ؟

بالون : عارضت الأسرة القران ؟

بالون

: وهل انتهت المسألة عند هذا الحد ؟

بير

: لا ، أبدا ، بل تعدته بكثير ، تدخل غيرنا في الموضوع ، وقام هياج شديد ، وطالب الشبان من أسرة العروس برد شرف . وكان أن بارزت من لا يقل عن سبعة منهم . سأظل اذكر هذا حتى أموت . غير أنني ، مرة أخرى ، خرجت محتفظا بكرامتي ، سألت دماء طبعاً ، ولكن هذه الدماء نفسها حفظت على سمعتي ، وأكدت ما أوضحته لكم وهو أن القدر هو دائما بجانبنا يقود خطواتنا .

فون ابير مويف :

ان نظرتك الى الحياة قد رفعتك الى مصاف كبار المفكرين . وبينما معظم الناس يرون مناظر الحياة مجزأة منظرا منظرا ، ومنفصلة عن الكل الذي يصنع البانوراما ، تراها أنت بمنظار محيط . ان نظرتك تسع كل شيء ، وأسس الحياة عندك كأنها الأشعة تصدر عن شمس مركزية ، هي لب تأملك العميق . ومع هذا تقول لنا انك لم تشقف . : أنا ، كما قلت لكم من قبل ، انسان بسيط ، علم نفسه بنفسه . لم يكن تحصيلي على مناج .

بير

ولكنني فكرت ، وقرأت كثيرا في معظم الموضوعات ومن سوء الحظ انني لم أبدأ التحصيل قبل أن يتقدم بي العمر ، واتعدى مرحلة الشباب ! ومعنى هذا انني كنت أشق طريقتي بصعوبة ، صفحة وراء صفحة ، محاولا استيعاب كل شيء . ولقد قرأت التاريخ في نوبات متقطعة . لم يكن لدى وقت للدراسة المركزة . ولما كنا محتاجين الى ملاذ نهرع اليه حين لا نتجح مشروعاتنا ، فقد أخذت أتشرب الدين . وعلى هذا النحو ، أصبح أيسر لى أن أبتلع المكاره ، كما نبتلع حبوب الدواء المغطاة بالسكر . ليس ثم فائدة في ادمان القراءة ، بل الواجب أن يلتقط المرء ما يمكن الاستفادة منه — وحسب .

كوتون : هذا ، على الاقل اتجاه عملي .

يشعل سيجارة

(يشعل سيجارا)

بير

: أيها الأصدقاء — تأملوا مجرى حياتي . حينما رحلت الى الغرب ، كنت معدما . صفر اليدين ، وكنت ملزما بالعمل لكسب قوتي . صدقوني أنه كان أمرا عسيرا . ولكن الحياة حلوة ، والموت

تجارتى أضحت بغيضة في نظري . غير اننى كنت قد بدأت ، وأؤكد لكم أن انهاها لم يكن سهلا . وعلى كل حال فإن تصفية تجارة في مثل هذا الحجم الهائل وتتناول الآلاف ، أمر لا يمكن أن يتم دون أن يجلب كارثة . وقد كنت دائما أبعض تصفية الأشياء . ومن جهة أخرى فأنا دوما حفي بما نسميه النتائج ، وعندما اضطر الى خرق القانون ، تجدوننى شقيا . ثم اننى كنت أتقدم في السن ، ويزداد اقترابى من الخمسينات ، وكان شعرى يتحول عنه السواد . كانت صحتى طيبة ، ولكن فكرة واحدة لم تزل تتردد في نفسى :

« من يدري متى تحين ساعتك ؟ من يعلم متى يحق عليك القول ، ويحل حسابك ؟ » فماذا كنت فاعلا ؟ لم يكن سييل الى ايقاف تجارتى مع الصين . وسرعان ما وجدت الحل !

فقد نظمت نوعا آخر من التجارة مع تلك البلاد . واصلت ارسال الأصنام لها كل ربيع ، ولكنى فى الخريف كنت أرسل اليها المبشرين مجهزين بكل

مر ! ثم واتانى الحظ ، وكان القدر بى حفيا . تعلمت فقد كنت قابلا للتعليم . وسارت الأمور على ما يرام ، ثم تحسنت وزادت تحسنا ، وفى عشرة أعوام أصبحت كالملك كروسس ^(١) بين أهل تشارلستون ، طار صيتى من ميناء لميناء ، وسارت سفنى بشيرا بطالع السعد .

كوتون : وفيه كنت تتجر
بير . العاج الاسود ! كنت اشحن العبيد لكاورلينا ، والاصنام للصين .

بالون : ^(١) Fi donci
ترامبتارستال : انت تمزح ، يا عم جينت !
بير : انتم ولا شك ترون المسألة قد تأرجحت شيئا ما على حدود ما هو مشروع . لقد خالجنى نفس الشعور ، وأحسسته بقوة . بل الواقع أن

(١) يضرب به المثل فى الثراء . كان ملك ليديا بين الأعوام ٥٦٠ - ٥٤٦ ق . م . وأصاب من الثروة ما جعله واسع الجاه ، فقصده بلاطه الحكماء والعلماء من أنحاء اليونان كافة . (المترجم) .
ويسميه العرب ملك قارون « المراجع » .
(٢) بئس هذا .

وأعمل كى تكفر عن ذنبك » . وهكذا ، اشترت أرضا فى الجنوب ، واحتفظت لنفسى بأخر شحنة آدمية ، وكانت من نوع فاخر ، ثم أنزلتهم الى البر فى أرضى ، وجعلتهم يستقرون هناك ، وسرعان ما ازدهروا ، وسمنوا وحلت عليهم النعمة ، وأصبحوا مصدر فخر لى ولأنفسهم . بل انى لا أفاخر بنفسى حين أقول ، اننى كنت بمثابة الأب لهم جميعا وحققت ربحا طيبا . فبنيت لهم المدارس حتى تظل روحهم المعنوية فى أعلى قمم الامتياز . وفرضت عليهم رقابة صارمة ، حتى لا يرتدوا من بعد . ثم حدث أن انصرفت عن هذا اللون من النشاط ، فبعثت المزرعة بقضها وقضيضها ، ثم تقدمت اليهم بهدية الوداع ، فكلت لكل شيئا من الشراب ، قدمته مجانا ، فشرب الرجال والنساء حتى ارتووا . أما الأرامل منهم ، فقد نال كل شيئا من الشوق الى جوار الشراب . وهكذا ، وبكل اخلاص أقول لكم اننى أومن بالنص الذى يقول ان من لا يفعل الشر انما يفعل بهذا بعض الخير . ان

ما يلزم عملية التبشير من جوارب وأناجيل وروم وأرز .

كوتون : بأرباح طيبة !

يسير : طبعاً ! وأكثر من هذا ، فقد نجح مشروعى . فقد بذل المبشرون أقصى الجهد . وفى مقابل كل صنم كنت أبيعها ، كان واحد من الكادحين يتحول الى الدين المسيحى . أجهد المبشرون أنفسهم . وأمكن القول أن مكاسبهم قد عادلت أصنامى . ولم يكف المبشرون قط عن محاولة اللحاق بالأعداد الكبرى من الأصنام التى كنا نبيعها .

نوتون

: وماذا جرى لتجارة العبيد ؟

يسير : مرة أخرى تغلب على حبى للأخلاق الكريمة . كنت أدرك أنها ليست تجارة من يتقدم بهم العمر . فمن يدرى متى يموت المرء . والى جوار هذا كنت أحسب حساب آلاف الشباك التى ينصبها فى طريقى دعاة الانسانية الأعزاء . فقد تقع سفنى فى الأسر دونما انذار . الى جوار أخطار الرياح وتقلب الجو . ومثل هذه الأفكار جعلتنى أعقد العزم . قلت لنفسى : « يا بير ، لم شرعك ،

آخر أيامه ، مبقيا جبرا سليما يعبره ليصل الى دار أكثر أمنا . هذه الخطة قد أبتت علىّ حتى الآن ، ولونت أفعالي . انها أرث تخلصت الى من الأسرة ، وتسلمت من طفولتي الباكورة .

: أنت نوروجي ، أليس كذلك ؟

بالون

: بالميلاد ، ولكن عالمي مزاجا . أما النجاح الذي أصبته فمرده أمريكا ، ومكتبتي العامرة مؤلفوها أكثر الألمان عصرية . واتخذت من فرنسا أنماط ملابسي ، ومنها كذلك سلوكي وفكاهتي الذكية . أما انجلترا فقد أمدتني بالنشاط العملي ، وأسبغت عليّ احساسا مرهفا بما هو في صالحه . وعلمتني اليهود الصبر ، وفي ايطاليا لقت حب الـ (1) dolce for niente . ومرة وقعت في مأزق خطير ، فأقذت نفسي منه بسيف من الصلب السويدي .

بسير

: ترامبيناستال : (رافعا كأسه) نعم ، الصلب السويدي !

فون ايبير موبف : فلنتقدم بالتحية للرجل الذي يحرك سيفه بكل هذا النجاح .

هذا القول ليس خداعا كله . وأظنني مستطيعا أن أقول وأنا أكثر قربا من الحق من معظم الناس ، ان حسناتي تعدل سيئاتي .

فون ايبير موبف : (يرن معه الكأس) انه لمن الباعث على الموعظة حقا أن نسمع هذا العرض لخطة حياة عملية ، لا تعوقها النظريات الغامضة ، ولا تقض مضجعها مظاهر القلق الخارجى .

(خلال حديثه الأخير هذا ، كان يبرجيتت يعب بنشاط من زجاجته) .

: نحن أهل الشمال تعلمنا من زمان ألا نركن لأنصاف الحلول . ان مفتاح الحياة يكمن في الحكمة التالية : صم أذنيك عن سماع فجيح الحية القتالة .

بسير

: آية حية تعنى ، يا صديقي العزيز ؟

: تلك التي تغريك بأن تفعل ما لا رجوع فيه . (يشرب ثانية) .

كوتون

بسير

كل منا يملك أن يعمل في شجاعة ، ويكون ثابت الجنان ، طالما هو يناضل ليتجنب شرارك الحياة الكثيرة ، يناضل وهو يعلم أن يوم القتال ليس

(1) الحياة الحلوة بلا مقابل من عمل .

بـير : بقوة الذهب ! فكرة الامبراطور هذه ليست جديدة على . قد كانت مصدر الهامى طوال حياتى . كنت وأنا صبى أحلم وأحلق فوق المحيطات على جناح من السحب . كنت أطمير مزدانا بالحريير والذهب ثم أهوى من بعد بكل ثقلى على الأرض. غير أن الهدف، أيها الأصدقاء، ما كان يغيب قط عن ناظرى . قال فيلسوف أو آخر ، لا أدرى فى أى كتاب ، ومن أسف أننى لا أدرى أى كتاب ، انك اذا كسبت العالم كله وفقدت نفسك ، أصبح كسبك تاجا على جمجمة مفتوحة الشدقين . هذا ما قاله ذلك الفيلسوف — أو هو قال شيئا شبيها به . وهذه — أقول لكم — كلمات غير جوفاء .

فون ابير مويف : قل لى ، ما هى النفس الجنتية ؟
بـير : هى ذلك العالم هنا ، داخل رأسى . العالم الذى يجعلنى من أنا ، وليس شخصا آخر ، مثلما لا يمكن أن يصبح الاله شيطانا .
تراميتارستال : الآن أتبين ما ترمى اليه .
بائون : مفكر رفيع الشأن !

(يقرعون الكئوس ويشربون . يحمر وجه بيرجينت من فرط الشراب)

كوتون : ما قلته الى الآن يخلب اللب . ولكنى ، يا سيدى ، أود لو علمت ماذا تنوى أن تفعل بكل هذا المال .
بـير : هيه ؟ افعل به ؟

الأربعة : (يقتربون) نعم ، قل لنا !
بـير : أولا ، وقبل كل شيء ، سأسافر . من أجل هذا صحبتكم فى سفينتى من جبل طارق . أنا محتاج لرفقاء سفر . كهنة يقومون على خدمة الهيكل الذى أعبد فيه العجل الذهبى .

فون ابير مويف : يا لك رجلا لامع الذكاء !
كوتون : ولكن المرء لا يسافر من أجل الرحلة فقط . لاريب أن لك من وراء السفر غرضا هو .. ؟

بـير : ان أصبح امبراطورا !
الأربعة معا : ماذا ؟
بـير : (يهز رأسه) امبراطورا .
الأربعة معا : امبراطور من ؟
بـير : العالم كله .
بائون : ولكن كيف ، يا صديقى ؟

بير : أرى أن الفرصة قد واتتني ونحن نرسو على الشط . هذا المساء ، تنجّه شمالا . قد حمل لي ما رفع الي على ظهر السفينة من صحف أبناء هامة .

(ينهض ويرفع كاسه) .

هذا يثبت أن الحظ انما يعين من يعين نفسه .

الأربعة معا : ماذا ؟ ماذا جرى ؟

بير : اليونان في هياج .

الأربعة معا : من ؟ اليونان ؟

بير : نعم ، قد ثاروا .

الأربعة معا : مرحي !

بير : والأتراك في حيرة من أمرهم .

(يفرغ كاسه في جوفه) .

بالون : الى اليونان ! هنالك طريقة المجد ! ساعين

اليونان بسيف فرنسا !

فون ايبير موف : سأحثهم على السير — ولكن على مبعده !

كوتون : سأحثهم على السير — بمقد كبير أبرمه .

فون ايبير موف : شاعر عظيم !

بير : (في انفعال متزايد) النفس الجنتية — هي جيش من الأمانى ، والمساعي والرغبات . النفس الجنتية — هي بحر من الخيالات والأشواق والأوامر . انها كل ما يفور داخل صدري . هي كل ما يجعلني أحيا الحياة التي أحيا . انها كل ما يجعلني من أنا . ولكن ، كما خلق الله الأرض ليكون لها الها ، أجدني أنا ، بيرجيت ، محتاجا للذهب أجعل به من نسي امبراطورا .

بالون : ولكنك الآن تتقلب في الذهب .

بير : ما لدى يكفي لييعنني دوقا على طريقة ليب — ديتمولد ، يوما أو يومين — لا غير . لا . بل يجب أن أحقق ذاتي بجماعها . أريد أن أكون جيتت في كل مكان . السيد بيرجيتت من الرأس حتى أخمص القدم .

بالون : (منتشيا) وتملك أجمل ما في العالم من كنوز .

فون ايبير موف : أقبية خمور جوهانزبرج ذات المائة عام .

ترامبتارستال : وكل ما ملك شارل الثاني عشر من سلاح .

كوتون : وقبل كل شيء ، فرصة المزيد من الريح .

- ترايبستال : الى الامام ! في « بيندر » سأعثر على مهماز
شارل الثاني عشر الطائر الصيت .
- بالون : (يهجم على بير ليعاقله) يا صديقي ، عفوك .
أسأت الظن بعض الوقت بأهدافك .
- فون ايير مويف : (يشد على يده) ، وأنا ، كالأحمق ، ظننتك
وغدا .
- كوتون : هذا كلام غليظ . أما أنا فما ظننت بك
الا الغباء .
- ترايبستال : (محاولا تقيله) وأنا ، يا عمي ، ظننت اني
احطت بك حين قلت لنفسى : انه أحقر صنوف
اليانكى .
- فون ايير مويف : كنا جميعا مخطفين .
- بير : لست أفهمكم .
- فون ايير مويف : الآن تتبين عظمة ذلك الجيش الجينتى من
الأمانى والأشواق والرغبات .
- بالون : (فى اعجاب) مسيو جينت ! هذا ما قصدت !
- فون ايير مويف : (معجبا هو الآخر) هذا جينت شريف !
- بير : ولكن قولوا لى — ؟
- بالون : ألا تفهم ؟
- بير : أفهم ؟ على اللعنة ان كنت فاهما .
- بالون : ستساعد اليونان بالمال وأسطولك من السفن !
- بير : (يصفر) لا ، شكرا لكم . أنا أؤمن بأن القوة
هى الحق . سأقترض الأتراك أموالى .
- بالون : لا يمكن !
- فون ايير مويف : طريف ! نكتة طيبة .
- (يصمت بيرجينت برهة ، ثم يتكىء على
كرسى ، ويتخذ سمت العظيم السامى .)
- بير : اسمعوا ، أيها السادة ، الآن يذوب آخر
ما يربطنى بكم من صداقة . من الخير لنا أن
نفترق من فورنا . انما يقامر بالثىء من لا يملك
شيئا يخسره . اذا كان ما تملك من أرض
لا يتعدى طول ظلك ، قمصيرك الواضح أن
تصبح وقودا للدفاع . أما ان كنت ميسورا
كما أنا ميسور ، فخطر القمار اذ ذلك أكبر .
تريدون الذهاب الى اليونان ! سأحملكم اليها
بلا مقابل . سأزلكم الى البر موفورى السلاح .
وكلما نجحتم فى اشعال نار الحرب كلما رضيت
عنكم . اضربوا بشدة من أجل الحرية ومن أجل

يا للعتة ! أوشك أن أبكى من فرط الغضب !
رأيت نفسى مالكا لجبل أوليب . فلو كان هذا
الجبل جديرا حقا بما له من شهرة لوجب أن
أجد فيه كنزا من النحاس يطلب من يستخرجه .
وهذا النهر الذى يكثر الناس الحديث عنه —
نهر كاستال ، انهم لا يعلمون أن مساقط المياه
فيه قادرة على توليد ألف حصان من طاقة
الكهرباء .

تراميتارستال : سأذهب برغم كل العقبات . ان سيفى

السويدي أغلى كثيرا من ذهب ذلك الياكى ..

كوتون : ربما ، ولكننا حين ننضم الى صفوف المحاربين

العاديين — ولا مفر من هذا — فسنضيع فى

زحمة الجمهرة ، واذا ذلك أنى لنا أن نحصل

على ربح ؟

بالون : ما أشد ما قربنا من النجاح ، وشد الآن ما بعدنا

عنه !

كوتون : (مهددا اليخت بقبضة يده) .

ان ذهب ذلك النحاس الغنى مقبور فى تلك

السفينة التابوت !

الحق ! الى الامام ! قدما ! قدما ! أذيقوا الكفار
طعم النار ! وودعوا الحياة مجدين ، مرفوعة
رؤوسكم على حراب الانكشارية ! ثم ، قدموا
من أجلى الأعدار !
(يضرب جيبه) .

المال ! نفسى ! السيد بيرجيت !

(يفتح مظله ويذهب الى حرجة النخيل)

حيث ترى السور المعلقة .) .

تراميتارستال : الخنزير !

بالون : أين ذهب احساسه بالشرف ؟

كوتون : مالنا وللشرف ! اذكروا ما يمكن أن نحقق من

أرباح لو أن اليونان حصلت على استقلالها .

بالون : رأيت نفسى غازيا متوجا ، تقوم على خدمتى

الحسان من أهل اليونان .

تراميتارستال : رأيت ذلك المهماز الشهير وقد استقر مطمئنا

فى يدي السويديتين .

فون بيير كوف : رأيت « الكولتور » الألمانية تزحف على البر

والبحر .

كوتون : بل الخسارة المادية أكبر من كل ما عداها

الفصل الرابع : المشهد الثاني

المنظر : مكان آخر من الشاطئ . ضوء القمر منتشر ، والسحب تمضي سراعا . اليخت منطلق بعيدا في البحر بسرعة كاملة بيرجنت يجرى على طول الشاطئ . يقرص ذراعه ، ثم يتطلع الى البحر محققا فيه .

بير : كابوس ! أوهام ! لن ألبث أن أستيقظ !

السفينة تبحر ! بأقصى سرعة ، أيضا ! انى

أحلم ! أنا نائم ! أنا مجنون ! أنا سكران !

(يعض يديه) .

لا أريد أن أموت هنا ! مستحيل !

(يمزق شعره) .

هذا حلم ! انى أقرر انه حلم . أمر مخيف !

ولكن ، يا للأسى ، انها الحقيقة ! هؤلاء

الأصدقاء الثعابين الذين اتخذتهم ! اسمع

دعاى ، يا الهى ! أنت حكيم . أنت عادل ! ثم

احكم بيننا !

(نائرا ذراعيه) .

فون ابير كويف : فكرة رائعة ! اسرعوا ، اسرعوا ! الآن أوشكت

امبراطوريته أن تتداعى ! مرحى !

بالون : ماذا تقول ؟

فون ابير كويف : استولوا على السفينة . سنرشوا البحارة .

لن يكون هذا عسيرا ! اركبوا ! استولوا على

اليخت .

كوتون : لا تستطيعون !

فون ابير كويف : سنسرق هذه البخرة اللعينة !

(يذهب الى الزورق) .

كوتون : فى هذه الحال ، تملى على مصالحي أن أسرق

شيئا أنا الآخر .

ترامبيتاستال : هذا الرجل اص !

بالون : ياله من اجرام ! Enfin⁽¹⁾

(يتبعان الآخرين) .

ترامبيتاستال : ليكن اذن . سأنبعهم ، ولكنى أولا أحتج أشد

الاحتجاج أمام ساحة العالم أجمع .

(يتبعهم) .

(1) نهايته !

يا الهى ! يا له من قضاء ! الى القاع بما عليها
من بحارة ، وركاب وفيران ! لك الشكر ،
الشكر أبدا ، على أن أنجيتنى !
(فى عاطفة)

أكانت مجرد نجاة ؟ بل أكثر بكثير ! أن أبقى
أنا ويفرقون ! الحمد كله لله الذى نجاني ورعاني
على ما بى من عيوب .
(يجذب نفسا عميقا)

يا له من شعور رائع بالأمن والسلام تحسه
حين تدرك ان رعاية خاصة تحوطك وتحفظك .
ولكننى فى الصحراء ! من أين لى بالطعام
والشراب ؟ لا بأس ، فرعان ما أجد شيئا
يقيمنى ، ولا شك . سيكون الأمر على ما يرام .
(فى صوت عال متودد)

لن يسمح المولى بأن يهلك عصفور صغير مثلى .
سأخفض له جناح الذل ، وسأصبر حتى
يعيننى . على أن أثق بالله . انتى ملء بالايمان .
(يقفز واقفا فى رعب) .

أهذا أسد يزأر بين الشجيرات ؟
(تصطك أسنانه)

انه أنا الذى يدعوك ! بيرجيت ! سألتك أن
تسمع دعائى ، يا الهى ! أعنى ، أيها المولى ،
والا هلكت ! اجعلهم يعودون بالسفينة !
اجعلهم ينزلون الزورق ! اقتبضوا على اللصوص !
أصعبهم يعطب ما ! اسمعنى ! انس غيرى من
الناس ! Pro tem ⁽¹⁾ . العالم يستطيع
أن يدبر أموره بنفسه برهة ! لا . الله
لا يسمعى ! انه قد ازداد صمما ! يا لها من
حال ! اله لا يقدر على العون !
(يشير الى السماء) .

اسمع ! لقد تنازلت عن مزرعة العبيد !
وأرسلت المبشرين الى آسيا ! هل جزء الاحسان
الا الاحسان ! أعنى على ركوب السفينة !

(يرتفع لسان من اللهب يشق السماء ،
صاعدا من اليخت ، تليه سحابة ثقيلة من
الدخان . يطلق بيرجيت صيحة ويهوى على
الرمل . يتزائل الدخان تدريجيا . السفينة
دمرت عن آخرها . يبدو بيرجيت شاحبا .
منكسرا .)

(1) مؤقتا .

لا يمكن أن يكون ..

(يتماسك)

أظنه كان أسدا ! يقولون ان الحيوانات الضارية تتجنب البشر . قد تعلمت ألا تعض من هم أرقى منها . ان لها غريزة . انها تحس — وهي محقة في احساسها — ان اللعب بالنار خطر ومع كل هذا ، فلا بد أن أبحث عن شجرة ، هناك نخيل وشجر سنط . لو تسلفتها لكنت آمنا ، وخاصة لو كنت أعرف مزامير أرددها .

(يتسلق الشجر) .

« الصباح صباح والليل ليل » هذه آية توزن دائما وتناقش .

(يستقر في مكانه مستريحا)

ما أروع أن يحس المرء روحه تسمو ! الأفكار النبيلة أئمن من الملك والذهب . علينا فقط أن نثق بالله . هو وحده يعلم كم من كنوس الشقاء أقوى على شربها . انه لى بمثابة الأب .
(ينظر تجاه البحر ويتنهد) .
ولا أحد بوسعه أن يقول انه قد بخل بالعون .

الفصل الرابع : المشهد الثالث

النظر : بالليل — معسكر مراكشي عند حافة الصحراء . المحاربون يستريحون قرب نار المعسكر . يجري أحد العبيد وهو يمزق شعره .

العبد : قد اختفى حصان الامبراطور الأبيض .
(عبد آخر يمزق ثيابه)

العبد الثاني : قد سرق ثوب الامبراطور المقدس .
كبيرالحصيان : مائة ضربة بالخيزان ، لكل من يعجز عن

الامسك باللص !

(المحاربون يمتطون جيادهم ويركضون في كل اتجاه) .

من هم البشر؟ مجرد ريشات في مهب الريح .
علينا أن نتشكل بالبيئة . مزيد من القردة !
انها في كل مكان . وصفيقة أيضا ! أيتها
الشياطين ! هس ! انها تتصرف كالمجانين !
وددت لو ربط ذبلا في مؤخرتي ! أو شيئا
يجعلنى أبدو كالقرد ! ما هذا؟ شيء يخرفش
فوق رأسى !

(ينظر الى أعلى) .

انه القرد العجوز . وقبضته مليئة بالروث .

(ينكمش بير جالسا ، وهو متذرع بالهدوء .
يأتى القرد بحركة تهديد . يأخذ بير جنيت
بلاطفه ويحادثه كما لو كان كلبا) .

آه ، هذا أنت ! أنت شخص لطيف ! ولد ماهر ،
أليس كذلك ؟ يعرف الأصول ! لا يمكن
أن يلقي القاذورات على الناس إلا ، أنا ، وأثق
من هذا ! هذا أنا ، ألا تعرفنى ! هاللو ! نحن
صديقان ، هه ؟ بو — وو ! سمعت هذا ؟
أستطيع أن أتكلم لغتك ! بل اننا أولاد عم ،
يا شيخ ! غدا ، أعطيك قطعة سكر . الحيوان !

الفصل الرابع : المشهد الرابع

المنظر : الفجر . نفس الأشجار السابقة . بير جنيت
لا يزال فوق شجرته . يضرب فيما حوله بغصن يرد به عن
نفسه رهطاً من قردة البربر يهاجمه (.

بير : فظيع ! ليلة بالغة الازعاج !

(يضرب) .

ها قد عادت ! اللعنة عليها جميعا ! ها هي
ذى تقذفنى بالفاكهة . لا ، بل بشيء آخر !
حيوان كرية ، القرد !
يقولون : « خل عينيك مفتوحتين وقاتل » .
ولكن هذا هو بالضبط ما لا أستطيعه . انتى
منهاك .

(تهاجمه القردة ثانية . يفقد صبره) .

على أن أضع حدا لهذا ، حدا نهائيا . سأقبض
على واحد منها وأشنقه وأسلخه ثم أكسو
جسدى بجلده الكثيف الشعر هذا قدر
ما أستطيع . اذ ذلك تظن القردة انى واحد منها .

قذف بحمل عربية من الروث على رأسى ! قطع !

أو لعل ما قذف طعام ! مذاقه غير عادى . ولكن

التذوق ، على كل حال ، مائة تكتب . من

من الفلاسفة قال : « ابصق واعتمد على حكم

العادة ؟ » ها قد جاءت القردة الصغار !

(يأتى بحركات سريعة ويضرب حوله) .

أليس من المؤسى ان الإنسان ، وهو سيد

الخلقة ، مضطر الى — النجدة ! يقتلونى!

النجدة ! القرد العجوز كان جنيا ، ولكن

الصغار أشد منه هولاً .

الفصل الرابع : المشهد الخامس

المنظر : الصباح الباكر . مكان صحرى يطل على الصحراء .

على أحد الجوانب صدرع فى الصخور وكهف . ويرى لص وتاجر

مسروقات وقد اختبئا فى الصدرع ، ومعهما ملابس الامبراطور

وجواهره . الحمان ، وعليه نفسه السروج ، مربوط الى

صخرة . على البعد اناس على ظهور الخيل .

اللص :

انصال الرياح ترقق وتتألق . انظر ، انظر !

تاجر المسروقات : رأس سرعان ما يطاح به الى الرمال . ويلوى !

ويلى !

اللص :

(يعقد ذراعيه) أبى سرق ، كذلك الآن أسرق .

تاجر المسروقات : أبى تاجر فى المسروق ، وأنا مثله أتاجر .

اللص :

عليك أن تحمل مصيرك . عليك أن تكون

نفسك .

التساجريا : خطوات تقترب ! اجر ! اجر ! ولكن الى أين ؟

اللص :

القبور واسع ، والنهى كريم .

(يفران تاهكين وراءهما الغنيمة . يختفى

رئاب الخيل فى حلقية المنظر . يظهر

ببر جيتت ، وهو يصنع من البسوس

مزماراً) .

: آه ، يا له من صباح بديع ! الخنفساء تقلب
مسرورة في الرمل ، والحلزونة تخرج من
قوقعتها . الصباح ! أجل ، انه أسى من الذهب
بكثير ! ما أروع ما فعلته الطبيعة اذ أضفت
على النهار هذه القوى السحرية . المرء يشعر
فيه بالطمأنينة ، ويحس شجاعته تنمو وترداد .
انه ليتقدم طواعية فيجر ثورا وحشيا من قرونة
طلبا للنزال . يا للدعة ! آه ، الريف ! انظر ورائي
فلا أكاد أصدق اننى هجرته لأحبس نفسى في
مدينة مزدحمة ، ليخزننى بالشوك الناس من كل
لون وصف . بالله انظر الى هذه السحالى
تروح وتجيء مسرعة ، أو تستلقى في الشمس
ولا تبالى ! كم هى بريئة ، هذه الأحياء ! كل
منها يحقق ذاته وهو يلعب أو يتعارك ، هو هو
كما كان يوم الخليقة .
(يلبس منظاره) .

ضفدع ! هنا ، فى هذه الكومة من الحجر
الرملى ، نصف مختبئ ، لا يظهر منه
الا رأسه . ها هو ذا يجلس ، ويحدث فى العالم ،

كأنما ينظر من نافذة . هو لذاته فيه الكفاية .
كفاية ! كن نفسك ! اين قرأت هذا ؟ فى الانجيل
على ما اظن . أو ترى كان فى كتاب الدعاء ؟
أم أنه ضمن كتاب الأمثال ؟ غريب ! كلما مرت
السنون ساء ذكرى للتواريخ والاسماء .

(يجلس فى الظل) .

هاهنا مكان رطيب . سأرتاح هنا وامد رجلى .
انظر ، هذا نبات له جذور تؤكل .
(يقضم واحدا) .

هذا طعام الحيوان . غير ان المثل يقول « عالج
نفسك حتى تحب ما تكره » . ومثل آخر
يقول : « الكبر يسبق السقوط » وثالث يقول :
« من تواضع له الرفة » (بقلق) الرفة ؟
أجل ، هذا ما سوف يجرى لى . لا أرى لى
طريقا آخر . سينجبنى القدر من هذا المكان ،
ويعيدنى الى طريق الفلاح . هذه ساعة الامتحان .
وسأكون من الناجين ، لو مد لى الله يد العون .
(يدفع بهذه الأفكار جانبا ، ويشعل سيجاروا ،
ويمد جسده مسترخيا وهو يحدث فى الصحراء) .

فيها القوافل . وتهب النسائم الرقيقة فتهبط
بدرجة الحرارة ، وينزل الندى من السماء ، وتظهر
المدائن في كل مكان ، وينمو الحشيش حول
كل متسائلة من النخيل ، والى جنوب الصحارى
يخرج الى الوجود بلد جديد موفور الصحة ،
له موانئ واسعة ، ويدير البخار مصانع
تيمبكتو ، ويمتد العمران سريعا الى بورنو ،
ويسافر الرحالة المستكشف بالقطار من هايس
الى أعالي النيل ، وفي واحة خصبة قابعة في
بحارى ، ساكر جنسى النورويجى . ان دم
أهل الوديان يقرب أن يكون ملكيا ، وامتزاجه
بالدم العربى سيتكفل بالباقي . وحول بحيرة
قليلة الماء سأقيم عاصمتي! سأسميها يوروبوليس!
« العالم راحت عليه » ! اليوم جاء دور
جينيتانا ، دولتي الناشئة !

(يقفز واقفا)

اعطوني المال ! التنفيذ ممكن ! مفتاح من الذهب
لباب المحيط ! حملة صليبية على الموت ! هذا
النخيل الشره العجوز حتم أن ينزل عن غنائمه .

ياله من خراب هائل بلا حدود ! على مدى
البصر نعامة تجرى . ترى ما هي حكمة الله في
خلق هذا الفراغ الهائل المهجور ؟ هذه الصحراء
التي تنقصها أسس الحياة ؟ هذه الارض الجافة
العاطلة ، هذه الجثة التي لم تشكر الله يوما ما ،
منذ الخليقة حتى الآن ؟ الطبيعة مبذرة . أهذا
هو البحر يبدو في الشرق ؟ مستحيل ؟ لا بد أنه
سراب . البحر في الغرب . هو ورائي . وهذا
التل هو الجسر الذى يحجزه .

(تخطر له فكرة)

جسر ! آه ، ليكن اذن — ! انه ليس تلا كبيرا .
جسر !. تقوم ببعض التفجير ! ثم نحفر قناة !
تصبح كأنها نهر الحياة ، تدفع بالماء في جوانبها ؛
تفترق الصحراء . وسرعان ما يصبح هذا
الجحيم المتصاعد الدخان رطيبا كالبحر المتماوج
وتظهر الواحات كالجزر ، وتسمى جبال الأطلس
خضراء كشواطئنا في الشمال ، وتسرع السفن
متجهة صوب الجنوب ، كالطيور تعود الى
الأوكار ، في مسالك كانت من قبل دروبا تمشي

كل البلاد الآن تصيح طالبة الحرية . وأنا بدوري ، كالحمار في فلك نوح ، سأطلق صيحتي مدوية لتدور حول العالم . ان مولد الحرية قريب ! سأذهب الآن الى هاته الشيطان الوليدة البديعة الموشكة على العمل . سأجمع المال في الشرق والغرب ! الى الأمام ! الى الأمام ! ملكي كله — لا ، نصف ملكي فقط ، مقابل جواد !

(يسهل الحصان في الوادي)

حصان ! وملابس ! وجواهر ! وسيف ! مستحيل ! بل هي فعلا موجودة ! نعم ، حقا ! قرآن في كتاب ما ان الايمان يحرك الجبال ، ولكن هذا لا يعنى أنه يحرك الحصان أيضا ! ولكن الواقع واقع ! هذا هو الحصان !

Ab esse ad posse (1) الخ .. الخ .

(يلبس الثياب ويتأمل نفسه) . أنت الآن السيد پير وعظيم تركي من الرأس الى القدم ! تيقظ يا جرين ، يا حصاني الأثير !

(1) « القدرة اساس التكليف » أو « كل ميسر لما خلق له » .

مهمازان من الذهب أيضا ، ليمسكا قدمي ! هذا يثبت أن القدر وحده عليه العول . يمتاز العظمة من طريقة الركوب !

(يعادو بالحصان مترغلا في الصحراء)

الفصل الرابع : المشهد السادس

النظر : خيمة كبيرة لرئيس قبيلة عربى وسسط واحة .
بيرجنت ، فى ثياب شرقية ، مسترخ على وسائد ، يشرب القهوة
ويدخن النارجيلة . أنيترا وبعض الراقصات يرفهن عنه بالرقص
وبالغناء .

تورس

ووراءه سادت ظلمات الليل ، والجفاف وريح
السوم . ها قد جاء ، ذو الروعة ، عبر
الصحراء ، فى ثوبه الأرضى . والبيت ، البيت
وراءه خلاه . ها قد تحدث ، الحكيم المحيط .
: انفضخوا فى الناي ، ودقوا الطبول ، فالنبيء ،
النبيء جاء !

(يرقصن على موسيقى رقيقة) .

بير

: قرأت فى الكتب — وصحيح لابد ما قرأت —
أن لا كرامة لنبيء فى وطنه . هذه حياة أبهج
كثيرا من حياتى هناك تاجرا فى تشارلستون .
كان ثم شيء من خواء يشوب تلك الحياة —
شيء غريب عنى ، بل قل شيء من فساد . لم أك
قط مرتاحا لحياتى ، ولم أنجح أبدا فى أن أكون
رجل دنيا . ماذا قذف بى الى تلك الجيزة ؟
ما الذى جعلنى أقف فى بؤرة التجارة هذه ؟
أتأمل المسألة ولكن النور لا يشرق على . قد
حدث ما حدث ، وهذا كل شيء ! أن يحقق
الانسان ذاته على قاعدة الذهب يساوى بالضبط
أن يبنى بيتا على الرمال . اذا التمع خاتمك

تورس : جاء النبيء ! النبيء ، سيد الأرض جميعا ، الينا
جاء السيد ، راكبا بحار الرمال . النبيء ،
السيد ، الحكيم المحيط ، الينا جاء السيد
راكبا بحار الرمال . انفضخوا فى الناي ، ودقوا
الطبول ، فالنبيء ، النبيء جاء .
انيترا : جواده أبيض كاللبن يجرى فى أنهار الجنة .
اركعوا ! اركعوا حتى تلامسوا الأرض !
اركعوا حتى توشكوا على السجود ! عيناه
الحائتان نجمتان تستطيعان العبوس . ما من
بشرى يصمد أمام نور السماء تشعه هاتان
العينان . عبر الصحراء جاء النبيء ، محلى
صدره بالؤلؤ والذهب . الينا سار فجاء بالنور .

الرحيل ، جوادى على استعداد . باختصار ،
أنا سيد الموقف .

: (مقتربة) أيها النبىء والسيد !

: ماذا تريد جارىتى ؟

: أبناء الصحراء منتظرون بالباب ، يرجون السماح
لهم بإجتلاء طلعتك .

: كفى ! قولى لهم يصفطوا على البعد فلن أسمح

بأن يرونى عن كتب . قولى أيضا انى لن أذع

أحدا منهم يدخل هنا . الناس ، يا ابنتى العزيزة ،

طغمة من الفاسدين . بل هم فى الواقع خنازير

قدرة . أنيترا ، لو انك عرفت كيف خدعونى

بصفاقه ، أقصد كيف أذنبوا فى حقى ، يا طفلى !

لا يهم ! كفانى ما لقيت منهم ! ارقصى لى ،

يا ابنتى . النبىء يريد أن ينسى آلامه .

: (يرقصن) .

النبىء طيب ، النبىء حزين لما ارتكب بنو آدم

من آثام . النبىء عطف ، يستأهل الحمد

عطفه ! للمذنبين يفتح جنته !

: (تتابع عيناه أنيترا وهى ترقص على اللحن) .

وساعتك وغلث ثيابك ، زحف أمامك الناس

ولمقوا حذاءك ، انهم يرفعون القبعات تحية

للدبوس الماسى . غير ان الخاتم والدبوس ليسا

الانسان . نبىء ! هذا يجعل وضعى واضحا .

أنا على الأقل ، قد وجدت لى مهنة . اذا مدحنى

الناس الآن فلأننى من أنا ، وليس لأن حسابى فى

البنك كبير . انما نحن ما أودع ما فى نفوسنا

من أشياء ! لا تتفلسف ، لا تستند الى الحظ

أو الظروف ، لا تعتمد على براءات الاختراع ،

أو الرخص أو المنح . نبىء ! أجل ، هذا يوافقنى

تماما . وانى لأجد نفسى فى زمرة الأنبياء

بمحض الصدفة ، لمجرد انى تمخطرت على

الرمال ، وصادفت أبناء الطبيعة هؤلاء . قيل ،

النبىء جاء ! . فكان فى هذا الكفاية لهم .

لم أقصد أن أغشهم . لا أبدا ! ان النبوات

ليست أكاذيب ، بكل تأكيد . وعلى كل حال ،

يسعنى دائما أن أستقبل . لست مقيدا فى

شئ . ما أنا فيه خير من كثير غيره من مواقف .

انها مسألة خاصة تماما . وكما جئت أستطيع

انيترا : (تقترب) سمعا لك وطاعة .
بير : أنت فاتنة ، يا ابنتى . قد شغل بك النبىء .
اذا لم تصدقينى ، فهالك الدليل — سأجعلك
حورية فى الجنة !
انيترا : مستحيل ، يا مولاي .
بير : تظنين اننى أكذب ؟ بل أنا جاد كل الجد ،
وحياتى !
انيترا : ولكنى لا روح لى .
بير : سأمنحك روحا !
انيترا : وكيف ، يا مولاي ؟
بير : اتركى لى تدبير هذا ! سأجعل همى فى تعليمك .
لا روح لك ! أنت بلا شك عبيطة شيئا ما ،
هذا واضح ، وقد آلمنى قليلا ، غير أن فيك
متسعا لروح من الحجم الصغير . تعالى !
دعيني أقيس دماغك ، أيتها العزيرة . هنا
متسع ! متسع كبير ! قد كنت واثقا من هذا !
صحيح ان روحك هذه لن تذهب بك بعيدا ،
ولكن عليك أن تقنعى بما أعطيك ! سيكون
لك من الروح ما يكفيك مؤونة الخجل .

ساقاها تتحركان فى سرعة عصى النقرزان . قطعة
من اللحم الشهى ، هذه الوقاح . فى أجزاء
من جسمها مبالغة فى التكور . ما أبعد هذا
عن فكرة الجمال فى الشمال ! ولكن ما هو
الجمال ؟ مجرد عرف ! لا أكثر ! عملة تسك
وثبتت قيمتها فى أماكن بعينها ولمناسبات
بالذات . الرجل الذى قضى حياته معرضا عن
الشراب لا يعرف قط لذات السكر . أجل ،
لا يجتذب الطعام المفرط فى اللذة الا من طال
أكله للعادى من الطعام . والشئ العادى
لا يكون قط مقبولا . اذا كانت المرأة غير
مفرطة فى السمنة قالوا : همى كيس عظام ، فاذا
لم تكن جد صغيرة قالوا : احدى قدميها فى
القبر . فان كانت لا صغيرة ولا كبيرة قالوا :
سخيفة العقل . لا ! ان العادى من الأثنياء
كالح ، متعب . قدماها — نعم ليست بالعتى
النظافة ، ولا ذراعاها — أو احداهما على
الأقل ، ولكن من يابه بصغائر كهذه ؟ بل انى
أعتبرها مزايأ . أنيترا ، اسمى .

انيترا : النبي بالغ العطف .
بير : لماذا تردددين ؟ تكلمى !
انيترا : افضل أن تعطينى
بير : أفضى ، يا ابنتى — لا تتعلمى .
انيترا : لا رغبة قوية لى فى أن أحصل على روح .
انيترا : أفضل كثيرا لو أعطيتنى —

بير : ماذا ؟
انيترا : (مشيرة الى عماتمه) هذه البيضاوية البديعة !
بير : (يغطيها الجوهرة . وقد استبد به السرور)
انيترا : أنت ابنة حواء حقا وصدقا ! أنت
 تجذبينى المغايبى فأنا رجل . وكما قال
 كاتب طائر الصيت : “Das ewig Weibliche“ (1)
Ziehet uns en.”

انيترا : ماذا ؟
انيترا : (مشيرة الى عماتمه) هذه البيضاوية البديعة !
بير : (يغطيها الجوهرة . وقد استبد به السرور)
انيترا : أنت ابنة حواء حقا وصدقا ! أنت
 تجذبينى المغايبى فأنا رجل . وكما قال
 كاتب طائر الصيت : “Das ewig Weibliche“ (1)
Ziehet uns en.”

انيترا : ماذا ؟
انيترا : (مشيرة الى عماتمه) هذه البيضاوية البديعة !
بير : (يغطيها الجوهرة . وقد استبد به السرور)
انيترا : أنت ابنة حواء حقا وصدقا ! أنت
 تجذبينى المغايبى فأنا رجل . وكما قال
 كاتب طائر الصيت : “Das ewig Weibliche“ (1)
Ziehet uns en.”

انيترا : ماذا ؟
انيترا : (مشيرة الى عماتمه) هذه البيضاوية البديعة !
بير : (يغطيها الجوهرة . وقد استبد به السرور)
انيترا : أنت ابنة حواء حقا وصدقا ! أنت
 تجذبينى المغايبى فأنا رجل . وكما قال
 كاتب طائر الصيت : “Das ewig Weibliche“ (1)
Ziehet uns en.”

انيترا : ماذا ؟
انيترا : (مشيرة الى عماتمه) هذه البيضاوية البديعة !
بير : (يغطيها الجوهرة . وقد استبد به السرور)
انيترا : أنت ابنة حواء حقا وصدقا ! أنت
 تجذبينى المغايبى فأنا رجل . وكما قال
 كاتب طائر الصيت : “Das ewig Weibliche“ (1)
Ziehet uns en.”

انيترا : ماذا ؟
انيترا : (مشيرة الى عماتمه) هذه البيضاوية البديعة !
بير : (يغطيها الجوهرة . وقد استبد به السرور)
انيترا : أنت ابنة حواء حقا وصدقا ! أنت
 تجذبينى المغايبى فأنا رجل . وكما قال
 كاتب طائر الصيت : “Das ewig Weibliche“ (1)
Ziehet uns en.”

انيترا : ماذا ؟
انيترا : (مشيرة الى عماتمه) هذه البيضاوية البديعة !
بير : (يغطيها الجوهرة . وقد استبد به السرور)
انيترا : أنت ابنة حواء حقا وصدقا ! أنت
 تجذبينى المغايبى فأنا رجل . وكما قال
 كاتب طائر الصيت : “Das ewig Weibliche“ (1)
Ziehet uns en.”

انيترا : ماذا ؟
انيترا : (مشيرة الى عماتمه) هذه البيضاوية البديعة !
بير : (يغطيها الجوهرة . وقد استبد به السرور)
انيترا : أنت ابنة حواء حقا وصدقا ! أنت
 تجذبينى المغايبى فأنا رجل . وكما قال
 كاتب طائر الصيت : “Das ewig Weibliche“ (1)
Ziehet uns en.”

انيترا : ماذا ؟
انيترا : (مشيرة الى عماتمه) هذه البيضاوية البديعة !
بير : (يغطيها الجوهرة . وقد استبد به السرور)
انيترا : أنت ابنة حواء حقا وصدقا ! أنت
 تجذبينى المغايبى فأنا رجل . وكما قال
 كاتب طائر الصيت : “Das ewig Weibliche“ (1)
Ziehet uns en.”

بالموسيقى القلوب الغضة النابضة . هذا الليل
الطيب قد خلق للغناء . الموسيقى ملكنا
المشترك . الغناء يجعلنا ، بيرجيت والبلبل ،
من نحن . كما أن نومها هو قمة نعيمى
بالغرام .. أشعر كأن شفتى قد مستا الكأس
وتركتنا شراب الآلهة فيه دون مذاق .. بل هذى
هى ! من الخير أن تظهر لى بنفسها .

انيترا : (من داخل الخيمة) هل ينادينى مولاى فى
الليل ؟

بير : أجل ، مولاك قد دعا . وهو فى النداء لا يزال .
أيقظتنى القطط بعراك مربع .

انيترا : لا تظن أنها كانت تتعارك . بل الأمر من هذا
أسوأ .

بير : ماذا اذن ؟

انيترا : ارحمنى من الجواب !

بير : قولى .

انيترا : الخجل يعملونى !

بير : (مقتربا) لعله نفس ما شملنى من شعور حين
أعطيتك الجوهرة البديعة .

طائر مهاجر ، أنا ! سو ، سو !

هكذا أزفرق على شجرة .

أنيترا ، أنت لبن نخيل

سأذوقه من فوري

جبن ماعز الأنجورا شهى

ولكنه لا يدانيك ، أيتها العزيزة

فى لذعتك ونكهتك .

(يعلق عوده فى كتفه ويقرب)

صمتا ! ترى هل تسمع جميلتى ؟ هل سمعتنى

أنوح بأعذب الألحان ؟ هل تنظر خلل الأستار ،

وقد نضت عنها القناع وما أشبه ؟ هس !

صوت أشبه بسدادة تنزع بعنف من زجاجة !

ها هو ذا يعود ! زفرات الحب ؟ أنشودة

غرام ؟ لا ، بل شخير واضح ! موسيقى الهمة !

أنيترا نائمة . أيها البلبل كف عن الغناء !

ستصيبك ألوان شتى من الطاعون لو جسرت

على التحدى بالمناعة وخير النعم — على

رسلك اذن ، امض فى الغناء ! القدر جعل

البلبل مغنيا كما جعلنى . هو ، مثلى ، يكسب

الظل ! سأهمن لك وتبسمين ، ثم نعود
فتتبادل الأدوار ، تهمس شفطاك الورديتان
كلمات الهوى ، وأفنع أنا بالابتسام .

انبتروا : (تجلس عند قدميه) .

كلماتك كلها أغان عذاب ، ولو أنها تملو على
فهمي . قل لي ، أيها النبيء ، أنتستطيع ابتسك
أن تفوز بروح بمجرد الانصات ؟

بير : روح ، هي نور الحياة والمعرفة ! نعم ، تحصلين

على روح قريبا . حينما يكتب الشرق ، بقلم
من نار : « النهار يطلع » ، سأبدأ معك الدروس .

سنجعل منك سيدة صغيرة . غير أن من الغفلة
أن آخذ سمت المعلم وأفرض عليك حكمتي
المتآكلة في ساعات الليل الصامتة . لنحذر أن
تكون الروح شغلنا الشاغل . بل القلب أجدر
أن يكون في المقدمة .

انبتروا : تحدث ، اذن ، يا مولاي ، فحين تتكلم أرى

ومضات من جواهر آخر !

بير : الافراط في العلم يسلم الى الغفلة ، وبرعم

الجبن ينشق عن القسوة . الحقيقة ، ان بالغنا

انبتروا : (منزعة) .

يا كزى ، كيف تقرن بين نبيء ووقظ أجرب .

بير : عند المحب لا شيء يفرق بين نبيء وهر عجوز ،

انبتروا : النكات ، أيها السيد ، تسيل من شفطيك

كالعسل .

بير : صديقتي الصغيرة العزيزة ، أنت ، كغيرك من

العذارى ، تحكمن على عظماء الرجال من

ظواهرهم . أنا في أعماقي انسان مرح ، خاصة

حينما أفرد بك . وضعي يحتم على أن ألبس

قناعا من الجد الثقيل . المضمون العالمي لشغلي

اليومي ، القرارات الخطيرة ، النقاط المعقدة التي

ترحف على يوما بعد يوم ، تجعل مني نبينا

قليل الكلام . ولكن هذا هو السطح مني .

حينما انفرد بك لا أكون هكذا . أنا مجرد بير

البيسط ، منطلقا بلا تعقيد . واحد ، اتين ،

ها قد اختفى النبيء ! ونفسى الصافية تمثل

أمامك .

(يجلس تحت شجرة ويجذبها اليه) .

تعالى ، يا أنبترا ، تحت هذه النخلة الوارفة

العجائز من النساء ، الكهولة تجعل أيدى عجائز
ابخلاء معروقة ، وواحد بعد آخر ، تحف منهم
الأرواح . الشباب ! سلطانا يجب أن أكون ،
ناريا بفضل الشباب ، وغير مقتر على في
العافية . أحكم ، ليس في سهول جينيتانا في
ظل النخيل والكروم المتسلقة ، وانما في حقول
أكثر من هذا خضرة وأشد نضرة ، حقول
أفكار عذراء تراود احدى الصبايا . فأنت ترين
اذن لماذا أنا حتى بك ، ولم اتخذت قلبك
وجعلت فيه قدس أقداس خلافتي . بى شوق
لأن أعرف كل حنين يرادك ، وأن أكون طاغية
حبك ! يجب أن تكونى لى وحدى ، أن
تصبحى سجينتى ، موثوقة الى كما توثق
الجواهر فى سلاسل الذهب . فاذا افترقتنا ،
انتهت الحياة ، حياتك أنت ، أذكرى جيدا ، من
فضلك . وكل عصب فيك ، كل خلية وكل مسم ،
لا بد أن يقر سلطاني ، ويدخل فى خدمة ارادتى .
وخصلات شعرك ، أشد سوادا من منتصف
الليل ، وجمالك ، وكل ما يفتن فيك ، سوف

فيها ، أضحت عمود الحكمة مقلوبا . نعم ،
يا بنيتى ، فى الدنيا أناس غارقون فى ذواتهم
حتى أن أبصارهم لتفتقد الصورة الصحيحة .
ان لم يكن هذا حقا ، فلا كنت ! عرفت انسانا
هذا شأنه . بدا لى كالجوهرة فى الوحل ،
الكلمات الرائعة كانت تتساقط من فمه ، على
أنه ، على المدى ، ضل الطريق فى غابة فصاحته .
انظرى الى الصحراء الهائلة تحيط هذه الواحة
لو قد أدرت عماتى قليلا لجاءت المحيطات
الخمس الكبرى فابتلعت كل شق وزاوية فيها .
ولكن لم أتعب فى خلق قارات ومحيطات الآن ؟
انها لعبة المعتوه ، لا أكثر . أتعرفين ما هى
الحياة ، يا بنتى ؟

أنتيرا : لا ، علمنى ، رجوتك .

پر : أن نطفو ، ولا نبتل ، فوق جدول الحياة ،
ونكون أنفسنا . هذه ، هذه ، هى الحياة . فى
الشباب والرجولة فقط أكون حقا من أنا . الكهولة
تجعل النسور تسقط ريشها ، الكهولة تصيب
كبار السن بالروماتيزم ، الكهولة تسقط أسنان

الفصل الرابع: المشهد الثامن

المنظر: طريق القوافل . ترى الواحة عن مبعدة كبيرة .
بير جينت راكبا جواده الأبيض يركض به عبر الصحراء ، وأمامه
انيترا .

انيترا : دعنى ! سأعضك !

بير : أيتها الوقاح الصغيرة !

انيترا : ماذا تريد ؟

بير : أريد ؟ أن ألبعة الصقر والحمامة ! أن
أهرب بك وأتى أشد الأفعال جنونا ونزقا .

انيترا : عار عليك ! وأنت نبيء عجوز !

بير : كلام فارغ . لست عجوزا الى هذا الحد ،

يا حمقاء ! أركوبى الحصان دون سرج دليل
الكهولة ؟

انيترا : اتركنى ! أريد أن أعود الى بيتى !

بير : أيتها المجرمة الصغيرة ! بيتك ، بيتك ! تقصدين

أن تردى لى حقوق المجرم المدنية ! هى فكرة ،
مع ذلك ! ولكن الطيور التى نجت مرة من

يجذبني ، أنا سلطانك ، الى مكان للقليا أشد
جمالا من حدائق بابل المعلقة . لهذا أعده من
حسن الطالع انك غرة لطيفة هكذا . من يملك
روحا من الناس يبدد نفسه فى تأمل ذاته .
والآن ، ما دمنا دخلنا فى الموضوع ، خذى
هذا الخلخال الذهبى زينى به رسغ قدمك
البديع . فى هذا رضا لكلينا . لن تملكك روح ،
بل أنا الآن الذى سيملكك . والا — يستمر
الوضع الراهن .

(يسمع شخير انيترا)

نامت ! جمال كلماتى الذى لا يقاوم قد انساب
وتعداها ، لا ، بل هذا يثبت أن سلطانى ثابت
قوى . لقد سبحت الى عالم الأحلام على خير
أغنيتى الصافية .

(يقف ويضع جواهر فى حجرها) .

هاك ، اذن . جواهر ! وأخرى ! وثالثة !

واصلى النوم ، يا أنيترا ! احلمى ببير ! نامى !

فانك بالنوم قد توجنتى امبراطورا ! الليلة ،

بفضل شخصيته فقط ، حقق بيرجنت أعظم

اتصاراته .

أقل وراءك الخطو في الرمال ، حتى تضربني
الشمس وأرقد عند قدميك . أنا شاب ،
يا أنيترا ، اذكرى هذا ! لا تحكى على دعاياتي
بالحكم القاسى . انما يعرف الشباب بما يأتون
من عبث . ولو لم تكونى حمقاء هكذا لقدرت ،
يا زهرة سم الفأر العذبة^(١) ، انه ما دام حبيك
مليئا بالعبث ، فهو اذن شاب !

انيترا : نعم . أنت شاب . ألدك خواتم أخرى ؟

يسير : طبعاً أنا شاب . أترين ! أستطيع القفز كالغزال

النضير ! ولو كان عندك أوراق عنب ، لوضعتها

فوق رأسى كالاكليل . أجل ، أنا شاب .

انظرى ، هاأنذا أرقص أمامك .

(يفتى ويرقص) .

أنا ديك فصيح ،

القربنى ، يا فرختى الصغيرة .

كوكو كوكو كوكو !

أنا ديك فصيح .

انيترا : العرق يسيل منك ، أيها النبىء ، أخشى أن

(١) سم الفأر نبات عشبي دائم الخضرة وسام (المترجم)

القفص تحرص كل الحرص على ألا تعود اليه .
ثم ان المرء يا نبىتى ، يجب أن لا يبقى طويلاً
فى مكان ما . لأنه يفقد من احترام الناس له
بقدر ما يكسب من معرفة بهم ، خاصة اذا كان
نبىثا . على المرء أن يأتى وروح ، كالتصيد
الجميلة . آن لزيارتى أن تنتهى . أبناء الصحراء
هؤلاء بهم نزق ! لم يعد يأتينى منهم البخور
والصلوات .

انيترا : ولكنك نبىء ؟

يسير : أنا امبراطورك !

(يحاول تقميلها) .

انظروا كم هى ظريفة هذه العصفورة الجارحة .

انيترا : أعطنى هذا الخاتم الذى فى أصبعك .

يسير : أنيترا ، حبيبتى ، خذى كل ما أملك .

انيترا : كلماتك موسيقى . كم تظن فى أذنى جلييلة !

يسير : يا لفرحتى ، اذ أجدك تحبيننى الى هذا الحد !

هيا بنا ! سأقود جوادك كأنى عبد .

(يعطيها السوط وينزل) .

هكذا ، هكذا ، يا وردتى ، يا زهرتى النادرة ،

قلوب المحيين . حين فصل الى قصرى ،
يا أنيترا —
انيترا : جنتك ! أهى بعيد ؟
پير : ألف ميل أو —
انيترا : بعيدة جدا ! جدا !
پير : هناك ستحصلين على الروح التى وعدتك —
انيترا : لا ، شكرا ! لا حاجة بى الى روح . كنت
متشوقا للعذاب .
پير : (ينهض) أجل ، والضنى ! عذاب رائع ،
طارىء ، بنوبات !
انيترا : أنيترا تجيب النبىء الى طلبه ! وداعا !
(تضربه بالسوط على ركبتيه ، وتركض
بالجواد بأقصى سرعة عبر الصحراء) .
پير : (مشدوها) اللعنة — !

تذوب . تخفف من هذا الشئ الثقيل على
حزامك .
پير : يا له من حرص على رقيق ! طبعاً ، أدعك
تسكين لى كيسى . الأجابة لا يحرصون على
الذهب .
(يغنى ويرقص ثانية) .
الشاب پير مجنون ، مجنون !
لا يعرف نفسه من حبيته المصون !
ظظ ، ظظ ، يقول پير ، بى بى
فالشاب پير ، مجنون مجنون !
انيترا : أهنالك أبدع من نبىء يرقص ؟
پير : الى الجحيم بنبوتى ! دعينا تتبادل الملابس !
هيا بسرعة !
انيترا : برنسك طويل على ، وحزامك واسع ، وجوربك
قصير .
پير : (1) Eh bien .
(يركع) .
اذن عذيبنى واضنى فؤادى ، فعذب أن تشقى

(1) وبعد .. !

وأنا بشرى ، ولست عفريتاً . حمداً لله على
النجاة ! لو ان هذه الدعابة طالت لبدوت
سخيفاً للناظرين . قد أخطأت — هذا حق !
غير أن ما يريحني اننى أخطأت بالنيابة .
لم أكن أنا الذى سقط وانما النبىء ، حرم
على بوصفى نبياً أن آتون شيطا ، فواسيت
النفس بهذه الأفعال المؤسسة الخالية من الذوق .
حياة النبىء قاسية . عليه أن يعتزل الناس ،
ويعيش فى السحاب . لو أظهر بارقة من الرغبة
فى الدنيا ، فسرعان ما يخرجها الناس من
اعتبارهم . ظننت اننى نجحت حين غازلت هذه
الحقماة ! ومع هذا ، ورغم كل شيء —
(ينفجر ضاحكا) .

تصوروا ! ظننت اننى أوقف الزمن بالرقص
والغناء والزفرات والنواح السخيف ! ماذا
كانت النهاية ؟ أصبحت فرخة متتوفة ! حتى
أصحاب القداسة لهم خطاياهم ! أجل ، تنفت
تماما ! يا الهى ، كيف نزعت عنى الريش ! من
حسن حظى أنى أثبتت شيئاً للاحتياط ، فى

الفصل الرابع : المشهد التاسع

المنظر : نفس السابق — بعد ساعة . يرى بير وقد تظهر
وبدا متفكراً ، وهو يخلع رداءه الشرقى . أخيراً يخرج من
جيبه قلنسوة صغيرة للسفر ويضعها على رأسه فيبدو فى ثياب
أوربية مرة أخرى . يلقى بعمامته الى أبعد ما يستطيع .

بير : هنا يرقد التركي ، وهنا أقف أنا ! عادات
هؤلاء الكفار لا يمكن أن تفيدنا بشيء . من
حسن الحظ أن هذه ستذهب مع الملابس .
وانها لم تنقش نقشا على لحمى . ما الذى دفع
بى الى هذه الجيرة ؟ أنا مسيحي ! أهنالك خير
من هذا ؟ بعدا لهذه المظاهر الطاووسية ! كن مع
القانون ، كن أخلاقيا ، هذه هى الحياة الحققة
يجب أن أكون نفسى ، وأضمن لنفسى عظة تلقى
على قبرى ، وزهورا توضع على تابوتى .
(يخطو خطوات الى الامام) .

خذ مثلا هذه الجريئة — لقد نجوت من قفتنها
فى آخر لحظة . أتى لى أن أعرف ماذا قفتنى فيها .

ما أريد ! ما أريد بالضبط . في شبابه كان يلد
لى أن أمعن النظر في الوثائق القديمة . التاريخ
والبشرية كانا دائماً يجتذبانى . سأدرسهما
الآن . سأطوف ، كالريشة ، فوق نهر الزمن
الذى لا ينتهى ، وأعيش الماضى من جديد ،
كما لو كنت فى حلم ، وأرى الأبطال يخوضون
المعارك دفاعاً عن قضايا مجيدة . سأكون مجرد
متفرج ، من مسافة تضمن لى السلامة . سأرى
المفكرين يعذبون ، والشهداء ينفون الدم ،
والعروش تنهوى والامبراطوريات تبيد ،
سأرى الأشياء العظيمة تنمو من بدايات
متواضعة ، وباختصار سأقشط قشدة التاريخ .
سأحصل على نسخة من بيكر ، وأرحل من
مكان الى مكان حسب تتابع الزمن . أعلم ان
أساسى الفكرى ليس قويا ، وان التاريخ شىء
عويص ، غير ان أشد التجارب بساطة كثيراً
ما تمخضت عن نتائج مذهلة . انه لعظيم أن
تحدد لنفسك رسالة ، وتصر على الأسنان ،
وتسلح أعصابك بالحديد ، ثم تصل الى هدفك .

جيبى شىء ، وشىء آخر لى فى أمريكا ، واذن
فلست على الحديدية . طبقة وسطى ! أجل ،
هذا ما يجب أن أكون ! ليس لى سائق وعربة
بحصانين ، وما على أن أحرص على حقائبي
وتقلها ، فأنا بعد سيد الموقف . أمامى طرق
كثيرة . فأيتها أختار ؟ يعرف الحكيم كيف يفصل
القمح من النخالة . قد انتهت حياتى كرجل
أعمال . كذلك انقضت غرامياتى . ولست أريد
أن أعود من حيث أتيت . « الى الخلف أو الى
الأمام ، نفس المسافة ، للداخل أو للخارج ،
الطريق ضيق » . هذا ما يقوله كتاب أو آخر
من الكتب المقدسة . على أن أفكر وأخرج بشىء
جديد ، شىء يكسب النفس النبيل ، شىء
يستأهل العمل والنقود . هل أكتب قصة
حياتى ، دون حذف ، ليهتدى بها الأبرياء ، لا ،
انتظر ! ما دام أمامى وقت طويل ، فلم لا أعطى
لنفسى Carte blanche (١) كيما أسافر
وأدرس الانسانية عبر القرون ؟ أجل ، هذا

(١) مطلق الحرية .

(منائرا ، وانما يتماسك) .

وأن تحطم القيود التي تعوق تفكك ، وتترك وراءك الأهل والوطن وأعز الأصدقاء ، وتبذر أموالك بذرا ، وبضائع هذه الدنيا ، ولا تلقى بالا الى دعاء الحب ، كل هذا في سبيل قضية الحقيقية العليا .

(يمسح دموعه من عينه) .

هذه هي طريقة رجل العلم ! أجل ! قا. حلت لغز حياتي وما ينبغي أن أعمل ، والآن أنا سعيد بلا حدود . سأخوض السهل والصعب ، فإذا ما نجحت في أن أرفع رأسي ، فكل ما عدا هذا مغفور . قد وجدت نفسي ، الانسان ، بيرجينت ، امبراطور الانسانية ! سيصبح الماضي مكانى المفضل ، أترك العصرى ، والحي يمر بى مرا ، لن أصرف طاقة ما على شؤون اليوم ، ليس في رجل اليوم ايمان ولا همة ، روحه يتقصها النور ، وأعماله لا وزن لها .

(يهز كنفه) .

أما المرأة — يا عدم العقدة ، انما أنت امرأة ! (١)
(يذهب) .

(١) يردد بير عبارة هامليت المشهورة في وصف اوفيليا (المترجم) .

الفصل الرابع : المشهد العاشر

المنظر : كوخ في غابة كبيرة في شمال النرويج . باب مفتوح ذو رتاج خشبي كبير . على الباب قرون غزال الرنة . قرب الكوخ قطع من الماعز . يوم مشرق من ايام الصيف . سولفيج ، وقد أصبحت الآن شقراء مليحة في اواسط العمر ، تجلس في الشمس تغزل . تحدد في المشى وهى تغنى :

سولفيج : قد يأتي شتاء وراءه ربيع .

ويهل الصيف بل العام الطويل

ويمضى الجميع ..

ولكنك يوما ستعود لى

وسأنتظرك كما قطعت العهد .

(تنادى الماعز ، ثم تأخذ تغزل وتغنى من جديد) .

رعاك الله حيثما تكون

ان كنت على الأرض أو في رحمته

سأنتظرك في الدنيا حتى تعود ،

فان كنت في الأخرى فالى لقاء .

قبر الملك بوتيفار^(١) . ومن ثم ، الى آسيا !
في بابل سأسعى الى الحدائق المعلقة ،
والمحيطات — العلامات الأولى للحضارة .
ومن هناك مشيا على الأقدام حتى أسوار
طروادة ، ومن طروادة رأسا بالبحر الى أثينا
العتيقة المجيدة . هناك ، وعلى الموقع ، سأفحص
حجرابعدحجر ، المر الذي حماه ليونيداس^(٢) .
وسأدرس الفلاسفة الكبار ، وأسعى الى السجن
الذي استشهد فيه سقراط . ولكن ، مهلا ،
انى أنسى ! هناك حرب مشتعلة فلنترك الهلينية
جانبا .

(ينظر فى ساعته) .

غريبا جدا — هذا الوقت الطويل الذى تنفقه
الشمس حتى تطلع ! أزف الوقت . آه ، نعم ،
من طروادة — كنت قد وقفت هنا —

(١) زوج زليخة ، التى فتنت بيوسف الصديق .
(المترجم) .

(٢) ماركو بوزاريس ليونيداس ، القائد اليونانى الذى
استطاع فى عام ١٨٢٣ أن يكتسح ، عن طريق رجاله الألف
ومايتين ٤٠٠٠ مقاتل تركى والبانى . (المترجم) .

الفصل الرابع : المشهد الحادى عشر

المنظر : فى مصر . يرى تمثال ممنون وسط الصحراء .
الوقت فجر . يظهر بير جينت وهو ينظر حوالبه .

بير : هنا أستطيع فى يسر أن أبدأ أسفارى . هذه
المرّة سأصبح مصرىا . ولكن على أساس النفس
الجينتية ، ومن ثم اتخذ طريقى الى آشور ،
ولكن لن أترجع عبر القرون ، الى البداية ،
فهذا لن يؤدى الا الى ارتباك . لا ، سأكتفى
بزمان الانجيل . أنا واثق اننى سأجد بعضا
من آثاره ، ولكنى لن أنغمس فيها بعمق ، هذا
ليس فى مقدورى ولا فى برنامجى .

(يجلس على صخرة)

الآن ، أجلس هنا وأستريح ، وأتتظر فى أناة
حتى يعنى التمثال أغنية الصباح . وبعد الإفطار
أتسلق الهرم ، واذا تبقى لى وقت فتشته من
الداخل . ثم أسير فى طريق البر حول الشاطيء
الشمالى للبحر الأحمر ، قد أعر هناك على

(يقف ويتسمع) .

ما هذا الصوت الغريب الهامس ؟

(تشرق الشمس) .

تمثال ممنون (يعنى) .

من رماد نصف الاله الذى ولد من جديد

قامت طيور وأنشأت تغنى

زيوس ، العالم بكل شيء

خلق طيوراً جارحة .

وبوما للحكمة الباقية ،

أين ينام طيرى ؟

اذن حل هذه الأغنية

أو مت !

بير : أجزم ان صوتا قد خرج من التمثال . انه

موسيقى الماضى . من الصخر يعلو ويخفت .

سأسجل ما سمعت . فليتأمل العلماء .

(يكتب في دفتر مذكرات) .

« غنى التمثال . سمعته بوضوح ، ولكننى

لم أتبين ما هية الكلمات . لا بد انه كان وهما .

لم ألاحظ شيئاً آخر هاما اليوم » .

(يخرج) .

الفصل الرابع : المشهد الثالث عشر

النظر : قرب قرية الجزيرة . يرى أبو الهول العظيم ، وعلى المدى البعيد مآذن مساجد القاهرة وأبراجها . يدخل بير جينت . يفحص أبا الهول ، ثم يلبس منظاره ويواصل التحديق ، تارة من وراء المنظار ، وأخرى وهو واضح يديه مكورتين على عينيه .

بير : أين رأيت هذا الشيء من قبل ؟ هذه الصورة

الخفيفة تذكرنى بشيء . أنا قطعاً رأيتها في

الشمال أو في الجنوب . ساذا كان ؟ أكان رجلاً ؟

من هو ؟ يخيل الى أن تمثال ممنون يشبه من

يسمى ملك دوفر ، كان الملك يجلس هكذا

تماماً ، متصلباً ومستقيماً ، وعجزه ثابت على

مقعده الحجرى . ولكن هذه الفظيعة الغريبة

المولدة ، هذه الفتلة ، هذا النهجين بين الأسد

والمرأة ، هل رأيتها في شطحات خيالى ، أم هى

ذكرى لشيء وقع ؟ انسان أعرفه ؟ ها ! الآن

أذكر . انه البويج ، طبعاً ، الذى حطمت رأسه ،

(يكتب في دفتره) .

« صدى صوت الألمانية . لهجة برلينية » .

(يخرج من وراء أبي الهول بيجريفينفيلدت)

بيجر بيغيفيلدت : رجل !

أظن أنه هو الذى كان يتحدث .

(يكتب من جديد) .

« غيرت رأيي فيما بعد » .

بيجريف : (فى تأثر كبير) : Mein Herr (1) ، أرجو

عفوك — !

! Eine Lebensfrage (2) قل لى من فضلك

ما الذى جاء بك اليوم .

بيجر : جئت أزور صديق الطفولة .

بيجريف : أبو الهول ؟

بيجر : نعم . عرفته فى الماضى طيب المعرفة .

بيجريف : ! Feimos وبعد ليلة قلقه كهذه ، أيضا !

رأسى يوشك أن يتفجر . تعرفه ، ! mein herr

اذن قل لى ، ماذا هو ؟

أو فى القليل حلمت اتنى حطمته . كنت اذا ذاك
أهرف من وطأة الحمى .

(يقترب) .

نفس العينين ، نفس الفم ، هذا أقل كسلا وأشد
دهاء . وفيما عدا هذا هو شديد الشبه . هيه ،
هذا أنت أيها البويج ، تبدو من خلف كالأسد
فى ضوء النهار ! ألا زلت تتحدث بالألغاز ؟
لنحسب ربك اذن . أترارك لا زلت تردد نفس
الاجابات !

(يهتف بأبى الهول) .

الصوت : (من خلف أبى الهول) (1) Ach Sphlinx, wer
bist du ؟

بيجر : ما هذا ؟ صدى بالألمانية ؟ من سمع بهذا من
قبل !

الصوت : Wer bist du؟ (2)

بيجر : تتكلم الألمانية كأهلها ! ملاحظة جديدة ، من
عندى تماما .

(1) يا ابا الهول ، من أنت ؟

(2) من أنت ؟

(1) سيدى .

(2) سؤال هام جدا .

يسر : ماذا هو؟ أمر بسيط ! هو نفسه !

بيجريف : (يقفز) فهتت ! قد ومض الأمر أمام عيني

كالبرق ! لغز الحياة قد حل . شيء واحد

مؤكد ! هو نفسه !

يسر : هذا ، على الأقل ، ما يقوله هو .

بيجريف : نفسه ! قد أشرق يوم المعرفة .

(يخلع قبعته) .

واسمك mein herr

يسر : عمدوني باسم بيرجيتت .

بيجريف : (في اعجاب متحفظ) بيرجيتت ! اسم رمزي !

هذا ما ظننت بيرجيتت ! بعبارة أخرى : الواحد

المجهول ! المهدي الذي كشف لي عن مقدمه .

يسر : ولكن — حقا — أجنث هنا لتقابل — ؟

بيجريف : بيرجيتت ! عسيق ، مليء بالأسرار ، بعيد الغور !

كل كلمة منج من الأفكار ما زال يكرأ . فمن

أت ؟

يسر : (في تواضع) حاولت دائما أن أكون نفسي .

ومع هذا فهناك جواز سفرى .

مرة أخرى هذه الكلمة الملهمة !

الى القاهرة ! وجدت امبراطور الوحي .

يسر : الامبراطور ؟

بيجريف : تعال !

يسر : أيعرفوننى هنا ؟

بيجريف : (يجر يير معه) امبراطور الوحي القائم على

الذات !

سبعون دارسا ، هم حلقة المفسرين . قد أضيف إليهم أخيرا مائة وستون .
(ينادى الحراس) .

ميكيل ، شلينجبرج ، شافمان ، فوخس ،
أدخلوا الأقفاس فورا !

الحراس : نحن ؟

بيجريف : ومن غيركم ؟ هيا ! اسرعوا ! العالم مقلوب رأسا على عقب ، وكذلك نحن .
(يدفع الحراس الى الأقفاس) .

بير العظيم جاءنا اليوم ، افهموا من هذا ما تشاءون . لن أزيد .

(يفلق الأقفاس بالأقفال ، ويلقى بالمفاتيح في بشر) .

بير : Herr Doktor, Heur Director⁽¹⁾

بيجريف : أنا لا هذا ، ولا ذاك ؟ كنت في السابق أما الآن فلا — هر بير ، أتتكم السر ؟ أريد أن أبوح

بمكنون صدري لشخص ما .

بير : (يتزايد شعوره بالهرج) .

(1) سيدى الدكتور ، سيدى المدير .

الفصل الرابع : المشهد الثالث عشر

النظر : القاهرة ، مستشفى للمجاذيب . فناء كبير تسوره حيطان عالية ، وتحفه مبان . نوافذ ذات قضبان وزنازين من حديد . يرى ثلاثة من الحراس ، ويدخل رابع .

الحراس الرابع : شافمان ، قل لى أين المدير ؟

حارس : خرج اليوم قبل طلوع الشمس .

الحارس الرابع : لا بد أن شيئا ضايقه . أظن ، ان ليلة أمس —

آخر : أصمت . هذا هو الباب !

(يدخل بيجريف ومعه بير . يفلق الباب

ويضع المفتاح في جيبه) .

بير : (لنفسه) .

هو لا شك رجل بالغ الموهبة ، فأنا لا أفهم شيئا

مما يقول .

(يحدق فيما حوله) .

اذن هذا هو نادى الدارسين ، هيه ؟

بيجريف : نعم ، ستجدهم جميعا هنا . كل واحد فيهم .

عن اهابه كما حدث لثعلب مونخهاوزن ، أحد مواطني .

بير : عن اذنك لحظة .

بيجريف : (يمسك به) كان زلعا كثعبان البحر ، ولم يكن ثعلبا . دبوس في عينه ، واذا به يتلوى على الحائط مبتعدا —

بير : ماذا أفعل لأتقذ نفسي ؟

بيجريف : وشق حول رقبتك ثم — وجد نفسه خارج جلده !

بير : جنون مطبق !

بيجريف : واضح تماما ان هذا « الخروج عن الذات » لا يمكن أن ينتج الا عن ثورة تعم العالم كله . من كان يظن انهم مجانين أصبحوا عقلاء في الحادية عشرة من الليلة الماضية ، متابعة لهذه المرحلة الجديدة من مراحل العقل . وأكثر من هذا ، فمن وجهة النظر الجديدة هذه ، أصبح واضحا ان من كنا نظنهم عقلاء قد فقدوا جميعا عقولهم في هذه الساعة نفسها .

بير : بمناسبة الزمن ، أنا في عجلة كبرى —

ما هو سر ك ؟

بيجريف : عدني أنه لن يعنى عليك .

بير : سأبذل كل جهدي .

بيجريف : (يجذبه الى ركن ويهمس) .

العقل المطلق مات الليلة الماضية في الحادية عشرة .

بير : يا اللهى !

بيجريف : نعم ، شيء يدعو الى أشد الأسى . وفي حالتى أنا يتضاعف الأسى . حتى الآن كان هذا المكان مستشفى للمجانين .

بير : للمجانين ؟

بيجريف : ليس الآن .

بير : (يشحب لونه ويخفض صوته) .

أخذت أفهم . الرجل مجنون ولا أحد يدري ! (يتعمد) .

بيجريف : (يتبعه) .

الآن ، آمل انك ترى الأمور بوضوح . عندما أقول انه مات فأنا لا أهرف . لقد جن . خرج

كل الأشياء . أما هنا فالظاهر ان على المرأ أن يخرج من عقله ، ويجن .

بيجريف : يخرج ؟ لا ، أبدا ! أنت مخطيء بشكل محزن .

هنا نحن نحقق ذواتنا منذ أن يقال لنا : «هيا»!

نحن ذواتنا ولا شيء غير ذواتنا . نظير والشراع

ملء ونحن ذواتنا ، نحن أنفسنا في دن الذات ،

نظهو أنفسنا في رحيق ذواتنا ، ونسد على

أنفسنا بسدادة الذات ، ونروح ننضج وتتبل

في بئر الذات . أبدا لا تفكر في غير أنفسنا .

لا أفكار هنالك ولا أحزان خارج أفكارنا

وأحزاننا ، نحن أنفسنا في الفكر والقول ،

أنفسنا حتى أبعد الحدود وأشدها تناهيا ،

ولذا ، وما دمنا في حاجة الى امبراطور ، فقد

وضح لنا انك أنت من نحتاج .

لو ان الشيطان فقط —

بيجريف : الآن لا تفقد شجاعتك . كل عمل جديد لا بد

له من بداية . « الذات » . هيا ، دعنا نبحث

عن أمثلة . فلنخاطر باختيار مثال حيشما اتفق .

(مخاطبا شخصا ، مكتئبا يقف قريبا منه)

بيجريف : زمك أنت ؟ كذا ! تقطع على جبل أفكارى .

(يفتح بابا ويصيح) .

اخرجوا ! قد حانت ساعة الميلاد من جديد !

العقل مات ! يحييا بيرجينت — !

يسير : ولكن ، أيها العزيز —

(يخرج المجانين واحدا وراء الآخر الى

الفساء) .

بيجريف : تحية لهذا الصباح السعيد ! حيوا فجر يوم

الخلاص ! امبراطوركم قد جاء !

يسير : امبراطور ؟

بيجريف : امبراطور !

يسير : ولكنه شرف لا أستحقه — انه يتعدى —

بيجريف : في مناسبة كبرى كهذه لا تسمح لنفسك بأن

يقهرها التواضع الزائف .

يسير : امهلنى ! أنا لا أصلح ، قدم ملك قلبى الذهول .

بيجريف : الذهول ؟ أنت ؟ الرجل الذى حل لغز

أبى الهول ! الرجل الذى حقق ذاته !

يسير : هذه هى النقطة بالضبط . قد حققت ذاتى في

الغاب عذريتها الأولى . ران على جنس القروذ
غلام ليل طويل مقداره أربعمائة عام . وليل
كهذا يقتل كل تقدم ، لم تعد أصوات الغابة
القديمة البدائية تتردد . لا أحد يهدر بالصوت ،
حين نبعي التعبير عن أفكارنا نستخدم الكلمات .
يا له من قيد ! نال الأذى البرتغالي والهولندي ،
والملاباري والأوروبي — الآسيوي ، على حد
سواء . حاولت أن أدخل المعصنة دفاعا عن لغتنا
الأصلية ، لغة الغاب ، جاهدت كي أرد إلى
جثتها الحياة ، ساندت حق الشعب في أن
يرطن ، رطنت أنا نفسى وبينت حاجتنا جميعا إلى
الرطانة ، عن طريق الأغنية ولكن جهادى كله
ذهب بددا . الآن تعرف لم أنا مرير هكذا .
شكرا لاصفاك . ان كان لك مقترحات ،
يسرنى أن أسمعها .

بير (لنفسه) يقول المثل ، اذا خرجت الذئاب
تعوى ، فاعو معها ، ذلك أدنى إلى سلامتك .
(بصوت عال) يا صديقى العزيز ، اذا لم نخنى
الذاكرة فئمة قبيلة من الأورانج — أوتانج

طاب يومك ، يا هوهو ! كيف حالك يا رجل ،
أما زات مثقلا بأحزانك الكبرى ؟
هوهو : أنى لى أن يتغير حالى ، وأسراب من الناس
تموت وليس من يفهمها ؟
(مخاطبا بير) .
أنت غريب عنا . نخل أحكى لك ؟
بير (ينحنى) بالتأكيد .

هوهو : اصغ ، اذن . فى الشرق تقبع شيطان مالابار ،
كأنما هى تيجان من الزهور . وأهل البرتغال
وهولندا يبذرون هناك بذور الثقافة ، غير
أنه إلى جوارهم توجد قبائل من أهل مالابار ،
قد خلطوا فى لغتهم حتى أضحت غير مفهومة ،
وان كانوا هم السادة . ومن قرون خلت ، كان
قرد الأورانج — أوتانج هو سيد الغابة غير
منازع ، وحاكمها المطلق . كان يقاتل ويرطن
ملءى حرثته ، يضحك ويفرغ فاه ما شاءت رغبته ،
كما قدرت له الطبيعة . كان يكشر عن أنيابه
بكل حرية ، وكان الملك فى قصره ، ولكن ،
سرعا ما جاء الغزو الأجنبى ، وفقدت لغة

حالتك . ولكن اذا أخذتك بمسلكك قلت —

الفلاح : أنت الآخر تكذب .

بيجريف : هل يسمح صاحب الجلالة باعطائنا تقريرا عن

الحالة .

الفلاح : سأفعل .

(ملتفتا الى بير) .

هل ترى هذا الشيء على ظهري ؟ كان يوما

الملك أيبس . أما الآن فهو يعرف بالمومياء ،

والى هذا ، فهو قد مات . لقد بنى هذه

الأهرامات هناك ، ونحت أبا الهول العتيد ،

وقاتل ، كما يقول الدكتور ، الترك على

الشيطان ذات الأعشاب يمينا ويسارا . وهكذا

رفعته مصر كلها الى مقام الاله ، ووضعت

صورته في معابدها على شكل ثور . ولكننى أنا

الملك أيبس نفسه ، هذا واضح لى كأوضح

ما يكون الواضح ، فاذا لم تتبين هذا الآن ،

فسرعان ما تتبينه . ذات يوم كان الملك أيبس

يصطاد وفجأة نزل عن جواده وانسحب معتذرا

ثم توغل في حقل جدى . ان الأرض التى ترك

تعيش فى مراكش ، لا معبر عنها ولا شاعر

قومى لها . ان لغتها تشبه لغة الملابار .

ألا يكون جميلا منك ، وأنت القائد الكبير ،

أن تشد الرحال الى هناك لتخدم هؤلاء الناس ؟

هوهو : شكرا لسماعك قصتى . سأخذ بنصيحتك .

(ينحنى انحناء كبيرة) قد أعرض المشرق عن

شاعره ، وفى المغرب قردة الأورانج — أوتانج .

(يذهب) .

بيجريف : هيه ، ألم يكن هو ذاته ؟ أظن ذلك ! انه ملئ

بذاته ، وذاته فقط . انه ذاته فى كل فكرة

يعرضها ، ذاته لأنه خرج من دائرة العقل .

تعال ! سأريك آخر عاد اليه العقل فى الليلة

الماضية .

(يخاطب فلاحا يحمل على ظهره مومياء) .

أيها الملك أيبس ، يا ذائع الصيت ، كيف

الحال ؟

الفلاح : (فى هياج ، مخاطبا بير) .

هل أنا الملك أيبس ؟

بير : (مختبئا وراء الدكتور) أعترف بأنتى لا أعرف

وأصبحت في حضن الأرض ، تصرفت كما
لو كنت ميتا ؟

الفلاح : سأفعل ! حياتي لمن يقدم لى شناقا ! أريد جبلا

ألفه حول رقبتي ! سأحس أولا اننى تغيرت ،
ولكن الزمن كميل بأن يذل هذه الصعوبة .
(يذهب وبأخذ يعد العدة ليشتق نفسه) .

بيجريف : هر بير ، هذا ما أسميه شخصية ، رجل له
منهاج .

بير : بلا شك — ولكنه يشتق نفسه فعلا ! آه ،
يا الهى ! ائرحمة ! أنا مريض ! رأسى يدور !

بيجريف : مرحلة انتقال ، لن تطول .

بير : انتقال ؟ الى ماذا ؟ عفوا — انى ذاهب —

بيجريف : (مسكبا به) هل جنتت ؟

بير : ليس بعد . أجن ؟ لا قدر الله !

(ضحجة . يشق حسين ، وهو وزير ،
طريقه وسط الجمع) .

حسين : قيل لى أن امبراطورا وصل اليوم (مخاطبا
بير) أهو أنت ؟

بير : (يأسا) الظاهر ان هذا تقرر فعلا .

حسين : اذن فعليك أن توقع بعض الوثائق .

فيها الملك أيبس سبأخا قد غذانى قمحها ، فاذا
لم يكف هذا دليلا ، فانى أقول أن لى قرنا غير
منظور . أليس من الظلم الفادح اذن أن أحدا
لا يقر لى بحقى فى الملك ؟ أنا بالميلاد الملك
أيبس ، وان كنت فلاحا فى نظر الجميع . الآن
قدم نصيحة طيبة ، رجوتك ؟ القضية هى :
كيف أصبح الملك أيبس وأغيظ من يظنون
اننى مدع ؟

بير : على جلاتك أن تبنى أهرامات وتحت من
الصخور أبا هول آخر أعتى من هذا ، وتحارب ،
كما يقول هر دكتور ، الترك يمينا ويسارا .

الفلاح : هيه ، يا لها من نصيحة رائعة ! وأنا فلاح ! قلمة
تموت من الجوع ، كل حولى أن أرد عن بيتى
القران والجردان ! أسرع ، يا رجل ! وقدم لى
نصحا خيرا من هذا ، يمنحنى ما قد حرم
الآخرون ، سمات ملكية تشبه الملك أيبس ،
الذى أحمله على ظهرى .

بير : يا صاحب الجلالة ، هل لى أن أنضحك بأن
تشتق نفسك ، فاذا ما دخلت التابوت ،

فوق الأحجار ، وتسقط ، وتسقط تسقط ، دون
أن تحس بأرض ما تحت حوافرك !
حسين : سكيناً ! قد فقدت حدى اسرعوا ، اقطعونى !
شقونى ! سينتهى العالم اذا لم تعيّدوا الى
ارهاقى .
بير : خوفى على العالم ! لقد أبدعه الله ، مثل كثير
غيره من الأشياء ، قريبا من الكمال .
بيجريف : اليك سكيناً !
حسين : (مسكاً بها) آه ! الآن أستطيع أن أمتص
الحبر امتصاصاً ! يا لها من لذة ، يا لها من
نشوة اذ يقطع المرء نفسه هكذا !
(يحبز رقبتيه) .
بيجريف : (يتعد عنه) لا داعى لأن ترشنى بالدم !
بير : (فى فزع متزايد) امسكوه !
حسين : أجل ، امسكونى ! هذا هو المطلوب . امسكوا .
امسكوا الريشة ! ضعوا الريشة على الورق !
(يسقط) انتهت . العاشية ، لا تسوها :
عاش ومات ، ريشة تسوقها أصابع الغير .
بير : (فى هياج) ماذا أفعل — ماذا أنا ؟ أيها الاله

بير (يقطع شعره) طيب ! هات ! كلما اشتد
الجنون كان أفضل !
حسين : هلا شرفتنى بغسمة ؟
(ينحنى انحناءة كبيرة) .
أنا ريشة .
بير (ينحنى انحناءة أكبر) أنا مجرد ورقة
امبراطورية لا قيمة لها .
حسين : وباختصار ، يا سيدى الهر ، فان قصتى هى :
الناس جميعا تقول اننى صندوق رمل ، بينما
أنا فى الواقع ريشة .
بير : وقصتى ، يا سيدى الريشة ، وجيزة كقصتك
— أنا قطعة من الورق تركوها بيضاء .
حسين : لا أحد تطوف بذهنه حقيقة قدراتى . انهم
يستخدمونى لمجرد التجفيف بالرمل .
بير : وأنا كانت لى امرأة — كتاب ذو قفل من فضة !
مجنون أم عاقل ، الفرق بسيط .
حسين : تصور كم هو محطم للأعصاب أن تكون ريشة
ولا تحس وقع المطواة .
بير : (يقفز عاليا) تخيل انك غزال رنة تقفز من

العظيم ، ثبتتي . أنا كل ما تريد — تركي ،
خاطبي ، عفريت . فقط أعني ، قد انفجر شيء .
(يصرخ) .

اسمك — ذهب — نسيته — أعني ، أت ،
يا حامي المجانين أعن !

(يسقط وهو متهاك . يقفر بجيريف ،
وفي يده تاج من القس ، ويجلس فوق بير) .

بجيريف : ها ! انظروا اليه جالسا على عرش في الوحل !
انه مجنون ! سنتوجه هنا !

(يضع التاج على رأس بير ويصيح) .
عاش الامبراطور ، امبراطور الذات !
شافمان (في قفصه) .

(١) Es lebe hoch der grosse Peer

الفصل الخامس

المشهد الأول

النظر : على ظهر سفينة في بحر الشمال ، تسير قريبا من
الشاطئ النرويجي . الوقت : الغيب ، الجو عاصف ، يرى
بيرجينت في صحة جيدة - وان أضحي عجوزا أشيب شعر
الراس واللحية واقفا في أعلى مؤخرة السفينة ، في ملابس شبه
بحرية . سترة بحار ، وحذاءه . الملابس بالية الى حد كبير .
يبدو وقد عرکه الجو ، وأصبح وجهه أصلب من قبل ، القطعان ،
ومعه السائق ، أمام عجلة القيادة . البحارة في القمعة .
بيرجينت متسكئ بدراعيسه على سياج السفينة ، وقد ثبتت
عيناه على الشاطئ .

بير : انظروا الى جبل هالينجسكارف وقد ارتدى
حلة الشتاء ؛ هذا العتيق مزهو بجماله في شمس
المغيب . وهذا أخوه ، جبل « يوكل » ، واقف
وراء وقلنسوته الثلجية الخضراء مطروحة ،
لا تزال ، وراء ظهره . وهذا جبل « فولجفان »
لم تلحقه بقعة واحدة ، كأنما هو عذراء في
ملابس ناصعة البياض . اقفوا في مكانكم !

وفي الوديان الجبلية السوداء كأنها الخنادق الضيقة ، هناك عند شيطان الفيوردات المفتوحة .

(ينظر الى القبطان) .

البيوت متناثرة جدا ، ها هنا .

القبطان : تسير أميالا قبل أن تصادف منزلا .

بير : أنزل الى البر في الصباح ؟

القبطان : تقريبا . الا اذا صادفتنا ليلة سيئة .

بير : منظر السماء في الغرب ينذر بشر ما .

القبطان : آه !

بير : حين أذفع الحساب ، ذكرني بأن أهب البحارة شيئا . أريد أن أعطيهم جميعا !

القبطان : شكرا .

بير : لن يكون ما أعطيهم كبيرا . جمعت ثروة ولكن

أغلبها ذهب . أنا والحظ على خلاف الآن . أنت

تعرف ما أملك على ظهر هذه السفينة . هذا

كل ما بقي ! الباقي راح !

القبطان : ما بقي يكفي ويزيد ليهيء لك مكانا بين الناس

هنا .

بير : لا أسرة لي . ليس من ينتظر عودتي ، أنا الابن

مكانكم الى الأبد ! لا تلعبوا بي ، يا أصدقائي الأعرء ! ما أتم الا صخور .

القبطان : (يصيح الى الأمام) رجلا ن عند العجلة —

وضعوا المصباح في مكانه !

بير : الهواء يهب قويا .

القبطان : العاصفة في الطريق .

بير : أترى تلال روند من البحر ؟

القبطان : لا ، انها وراء الثلجات .

بير : ولا بلاهو ؟

القبطان : لا ، ولكن من أعلى ظهر السفينة ، وحين يصحو

الجو ، تستطيع أن ترى بوضوح جالدهويجين .

بير : وأين هارتيجين ؟

القبطان : (مشيرا) هناك .

بير : آه ، صحيح .

القبطان : الظاهر انك تعرف هذه البقاع .

بير : ركبت البحر عبر هذه الأماكن حين غادرت

وطنى . قال أحدهم ذات مرة : ان عقولنا

كمخازن الخشب ، مليئة بالذكريات العابرة .

(يمسق ويحدق ثانية في الشاطئ) .

انهم يعيشون هنا ، في تلك الوديان الزرقاء ،

- المتلاف . سأجوز من « مناظر الاستقبال » جميعا
حين تنزل الى الميناء .
- القبطان** : انظر ! ها قد هبت العاصفة !
- بير** : لن تنسى ما قلت لك ، هيه ؟ لو وجد بين
بحارتك من هو محتاج حقا ، فلن أتردد في
البدل .
- القبطان** : هذا منك كريم . الكل تقريبا مفلس . وكلهم
متزوج وله أولاد . وليس بينهم من يفى أجره
بمطالبة . ولو زدتهم على ما يحصلون شيئا ،
فستكون هذه أوبة العمر لهم .
- بير** : ما هذا الذى قلت ؟ لهم زوجات وأولاد ؟ هم
متزوجون اذن ؟
- القبطان** : عن آخرهم ! الطباخ أشدهم حاجة . عائلته
نصف مية من الجوع .
- بير** : متزوجون ؟ لهم بيوت ؟ هناك من ينتظرهم ؟
من يرحب بعودتهم ؟
- القبطان** : نعم . ترحيب الفقير .
- بير** : واذا وصلوا بالليل — ماذا اذن ؟
- القبطان** : بضنون طعاما خاصا على العشاء .
- بير** : وشموع على المائدة ؟
- القبطان** : وشيء من شراب .
- بير** : يجلسون في استرخاء الى جوار نار تلتهم ،
وحولهم زوجاتهم وأولادهم ، ويحدثون ما شئت
من جلبة وضوضاء — يتحدثون جميعا في نفس
وأحد ، وقد غلبتهم السعادة فلم يعودوا
ينصتون لبعضهم البعض !
- القبطان** : نعم ، هذا كله سوف يحدث ، لهذا كان جميلا
منك أن تعد بمنحهم مزيدا على أجورهم .
- بير** : (يخطب حافة المركب بشدة)
ملعون أنا ان فعلت ! أتظننى مجنونا ؟ أعتقد
حقا انى سأفرغ جيوبى من أجل أولاد الغير ؟
قد عملت كالعبد لأحصل على مالى . وليس من
ينتظر بيرجيت العجوز .
- القبطان** : افعل ما بدا لك ، المال مالك .
- بير** : طبعاً ! وسيظل مالى . سأدفع حسابى فور أن
نرسو ! أجرة سفرى من بناما ، ثم أدفع ثمن
دورة شراب على البحارة ، فقط لا غير .
لو أعطيت المزيد فلك أن تحطم رأسى !

آه ، هذا اضطراب فظيع ! البحر يعمل كما لو أن أحدا قد نقده أجرا عن كل موجة . هذه المياه الشمالية آمنة دائما لنفسها . دوما نائرة ، غريبة الأطوار ، عاصفة .

(يصفى) .

ما هذا ؟ سمعت —

البحار المراقب : حطام مع الريح .

القبطان : (من وسط السفينة) أدر العجلة الى اليسين !

اتبعوا الريح من قريب !

المناظير الاول : هناك أحد على الحطام ؟

البحار المراقب : أرى ثلاثة .

يسير : بسرعة ، انزلوا زورقا .

القبطان : لا يمكن أن يصل .

(يخطو الى الامام) .

يسير : كيف تقول هذا ؟ لو انكم رجال ، لحاولتم .

ماذا لو أصابكم البلل شيئا ما ؟

ضابط الشراع : مستحيل في مثل هذا البحر .

يسير : انهم يستجدون مرة أخرى . والريح آخذة في

القبطان : لا شأن لى برأسك . انما تعينى قائمة الحساب .

عن اذنك الآن . الريح تشتد .

(يقطع ظهر المركب مشيا . يخيم الظلام .
يوقد مصباح في غرفة القبطان . يزداد
اضطراب السفينة . السماء تتلبد ،
وتكثف (الشايرة) .

يسير : أنفق على أسراب من أولاد الغير ، ازرع

الضحكة في أرواحهم وادخل البهجة الى بيوتهم

واثقا انهم دوما يلتقون رعاية شخص ما ، وأنا

لا أجد قط من يرعاني . نور يرحب بهم ؟

سأطفئء حالا هذا النور ! سرعان ما أجد

الطريقة ! سأسكرهم جميعا . الملاحين !

سأحرص على أن يفقدوا الوعي جميعا .

سيعودون الى زوجاتهم وأولادهم وهم في سكر

يبين . سيسبون اذن ويقرعون الموائد بأيديهم

حتى ترن . ستفزع الأسر حتى تفقد العقول .

وتجرى الزوجات وهن يبكين ويتركن البيوت

هن وأولادهن . هكذا أدخل عليهم السعادة !

(تميل السفينة ميلا شديدا . يفقد توازنا

ثم يقف ثابتا بصعوبة) .

خطر . ولكنهم لا يفعلون . ويصرون على
تعدى حدود الله . أما أنا فبريء . ويوم القيامة
أستطيع أن أثبت انى كنت على استعداد ،
ومالى فى يدى . هل أحصل على جزاء ؟ طبعاً ،
فالمثل يقول : « الضمير المرتاح يهيم وسادة
مريحة » . هذا ينطبق على البر فقط ، أما فى
البحر فالرجل الطيب نادر . فى البحر ، لا يمكن
أن تكون نفسك . تعوم أو تغطس مع الجميع .
وحيث تحل ساعة الانتقام من الطباخ أو ضابط
الشراع ، تحل أيضاً بالنسبة لى . المصالح
الفردية لا تهمل القدر على الاطلاق . الفرد
بالنسبة له كواحد « السجق » يخرج من الآلة .
قد ارتكبت خطأً بالافراط فى السوادة ،
فما أفادنى هذا شيئاً . لو كنت أصغر سناً
لغيرت خطى ، وأصبحت أدنى الى فرض
ارادتى . لم يزل هناك وقت . سرعان ما ينتشر
الخبر بأن يبرجنت قد عاد من أسفاره .
سأستعيد مزرعتى بالحق أو بالباطل ، وأبنيها
من جديد ، واجعل لى فيها قصراً ، ولكن لن

الهدوء . انت ، أيها الطباخ ! هل تقبل؟ سأجزيك
خير الجزاء .

الطباخ : حتى ولو دفعت عشرين جنيها .

بير : يا كلاب ، يا جبناء ! انهم رجال ، لهم زوجات
واولاد ينتظرون عودتهم —

ضابط الشراع : حلمك ، حلمك .

القبطان : ابتعدوا عن الامواج العالية .

الضابط الأول : اختفى الحطام فى اليم .

بير : هذا الصمت — ؟ ماذا ؟

ضابط الشراع : لو صح انهم متزوجون ، كما تظن ، فقد اضيف
اليوم الى قائمة الارامل ثلاث جديدات .

(تزداد حدة العاصفة يتجه بير الى مؤخرة
السفينة) .

الايمان يموت بين الناس والمسيحية مجرد
كلمة مطبوعة . الخير من الأعمال نادر . الناس
لا يقيمون الصلاة ، ولم يعد لهم احترام
للسماوات العلا . ليس كالعواصف ما يظهر
بأس الله . واجب هؤلاء الخنازير أن يحذروا
ويتعظوا بالمثل الذى يقول : « اللعب بالنار

عدد السفن التي تفرق الآن . فكر كم من
الجثث سيلفظها البحر عما قريب !
بير : يا رحمة الله !
الراكب : هل رأيت قط انسانا يشنق ؟ أو يختنق —
أو يفرق ؟
بير : اسمع ، أنت تتعدى الحدود !
الراكب : الجثث كلها مفتوحة الشدين ، كأنها تضحك
في سخرية ، ومعظمها تقريبا قد قطعت ألسنتها .
بير : هس . ابعد عنى !
الراكب : اصغ الي . تخيل اننا اصطدمنا بالأرض في مياه
ضحلة ، واننا تفرق في الظلام —
بير : تظن أننا في خطر ؟
الراكب : لست وانقا . أنا في الحقيقة لا أعرف . تخيل
فقط انني نجوت وانك تهبط الى القاع .
بير : كلام فارغ !
الراكب : من السهل أن يحدث . المرء حين تكون احدي
قدميه في القبر تأخذه موجة من الكرم ، فيمنح
الناس الأشياء .
بير : (يبحث في جيبه) آه ! تقود ؟

أدخل فيه أحدا . سيقف الناس بالعتبة ، عارى
الرؤوس ، تعبت أيديهم بالقبعات في خجل ،
وسرجون ويستحلفون . ولن يضيرني هذا ،
ولكنني لن أعطيهم شيئا . ولا مليا . طالمسا
أحنيت رأسي تحت ضربات القدر . الآن فليحن
غيري رؤوسهم .
الراكب : مساء الخير !
بير : مساء الخير ! ماذا ؟ من أنت ؟
الراكب : راكب زميل .
بير : أمر غريب ! ظننت أنني المسافر الوحيد .
الراكب : غلطة بسيطة . ها قد تلافيناها .
بير : لماذا لم أرك قط من قبل ؟
الراكب : لا أخرج الى ظهر المركب بالنهار .
بير : كنت مريضا ؟ أنت أبيض كملاءة السرير .
الراكب : لا ، أبدا . أنا في خير صحة .
بير : يا لها عاصفة مخيفة !
الراكب : نعم . هذا حسن .
بير : حسن ؟
الراكب : الموج في ارتفاع المنازل . لعابى يسيل ! تخيل

سئلتي حين تفرق المركب ، ان لم يكن قبل
هذا ! اذ ذاك قد تكون أهدأ نفسا .

(يدخل كابينته) .

بير : أولوشر ، هؤلاء العلماء ! وملحدون ، أيضا .

كلمة واحدة ، أيها الصديق ! هذا الراكب ؟
من هو بين المجانين ؟

ضابط الشراع : أنت الراكب الوحيد على المركب .

أنا فقط ؟ الأمر يسوء ويسوء .

(محدثا بحارا يخرج من الكابينة) .

من هذا الذي دخل الكابينة الآن ؟

البحار : كلب السفينة ، يا سيدي .

(يعضى) .

البعاد المراقب : (يهتف) الأرض قريبة !

بير : احضروا حقيقتي وصندوقتي ! اخرجوا متاعى

كله الى ظهر السفينة .

ضابط الشراع : هناك ما هو أهم .

بير : كنت أمزح ، يا قبطان . هي روح الدعابة في !

سأعين الطباخ ! بكل تأكيد !

القبطان : شراع مقدم السفينة سقط في البحر !

الراكب : لا ! انما أطلب جسدك الثمين .

بير : الحق انك تعديت الأصول بكثير !

الراكب : جسدك ، ولا شيء غيره ! من أجل العلم —

بير : امش !

الراكب : سيدي العزيز ، فكر فيما سوف تكسب بهذا !

سأفتح بطنك وأعرضك على الناس . أنا أحاول

أن أعثر على مقر الأحلام في جسم الانسان .

سأدقق النظر في كل موضع منك .

بير : امش من هنا .

الراكب : يا سيدي العزيز ، ما فائدة جثة غريق !

بير : أيها المغفل المجدف ! أنت تعين على الريح .

مجنون ؟ في هذا الظرف ، في هذه العاصفة ،

في هذا المطر ، فوق هذا البحر الهادر ، وكل

شيء يوحي بأن كارثة قد تكون على وشك

الوقوع ، تأتي أنت وتغرى بنا الأقدار .

الراكب : الظاهر انك لا تريد مواصلة الكلام . ربما

تغير رأيك في الوقت المناسب .

(يحنى له رأسه في ود) .

القباض الأول : بل الشراع الأمامي .

ضابط الشراع : (يهتف فيما أمامه) ضابط الشراع .

الموج العالي في الطريق : كفة الريح من الجانب الأيمن .

القبضان : السفينة تتحطم !

(تنهار السفينة . ضوضاء واضطراب) .

تفرق . من خلال الشاورة يرى زورق به رجلان . موجة عالية تحيط به فينقلب . تسمع صرخة . ثم يسود الصمت بعد قليل تظهر قاعدة الزورق . يظهر أيضا بير جينت قريبا من الزورق المقلوب .

النظر : قرب البر ، بين الصخور والموج العالي . السفينة

الزورق المقلوب : سفينة كفة الريح من الجانب الأيمن

بسر : التجدة ! اغرق ! ارسلوا لي زورق نجاة !

اقتدي ، يا الهي — هذا في الانجيل .

الضياح : يا الهي العزيز ، رحمة بأولادي . ارحم !

ساعدي علي بلوغ الشط .

دع الزورق !

أزل ! أزل !

سأتركك — سأحطم —

سأحلكم خلفا ! سأقتلكم ! اترك الزورق —

الا تسمع ؟ انه لا يتحمل اثنين .

٢٤١

١٦٠٠

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

كفة الريح من الجانب الأيمن

- الطباخ** : اعرف ! اترکه انت !
پير : انزل !
الطباخ : لن أفعل !
پير : ارفع هذه اليد !
الطباخ : ابق على ارجوڪ . ارحم صغارا ينتظرون عودتى .
پير : حاجتى الى الحياة أكبر من حاجتك . فأنا لم أنجب حتى لآن .
الطباخ : اترك الزورق ! قد عشت حياتك . أنا ما زلت صغيرا !
پير : انزل ! بسرعة ! والاهبط كل منا الى القاع !
الطباخ : ارحمنى ! فى سبيل الله ، انزل ! ليس لك من يحزن لفقدك .
أنا أغرق .
پير : (مسكا به) لا ، انا امسك بك من شعرك .
الآن ، ردد صلواتك .
الطباخ : لا أذكر شيئا . كل شيء ظلام —
پير : قل العبارات المهمة .
الطباخ : « اعطنا هذا اليوم — »
- پير** : انس هذا . سرعان ما تحصل على ما تريد .
الطباخ : « اعطنا هذا اليوم — » .
رجل : نفس الأغنية القديمة ! واضح أنك طباخ .
البحار : (وهو يفرق) « اعطنا هذا اليوم خبزنا — » .
پير : آمين ، يا فتى ! كنت نفسك حتى النهاية .
(يركب الزورق) .
ما وجدت الحياة ، وجد دائما الأمل .
(الراكب الغريب يرى ممسكا بالزورق) .
الراكب : صباح الخير !
پير : أنت ؟
الراكب : سمعتك تصرخ . طريف أن أصادفك ثانية !
هيه . هل كانت نبوءتى صحيحة ؟
پير : انزل ! لا يوجد مكان لائنين .
الراكب : آه ، ولكنى أستطيع السباحة برجلي اليسرى .
سأمسك بهذه الشظية بطرف اصبعى لأبقى طافيا .
ولكن ، فيما يخص الجثة —
پير : اخرس !
الراكب : الباقون قضى عليهم —
پير : اخرس !

- الراكب** : ليكن .
- الراكب** : (صمت)
- بير** : وبعد ؟
- الراكب** : خرس .
- بير** : آه ، أيها الشيطان ! ماذا تريد ؟
- الراكب** : أنا منتظر .
- بير** : (يمزق شعره) سأجن . من تكون ؟
- الراكب** : (يعنى رأسه) صديق .
- بير** : وماذا أيضا ؟
- الراكب** : ماذا تظن ؟ ألا تذكر أحدا يشبهني ؟
- بير** : الشيطان فقط !
- الراكب** : (في رقة) وهل الشيطان ينير الطريق حين يستبد بنا الخوف ويسود وجه الحياة ؟
- بير** : آه ! اذن أنت في الواقع ملاكى الحارس — هيه ؟
- الراكب** : يا صديق . هل شعرت ، خلال ستة أشهر مثلا ، بالخوف يشق قلبك في الصميم ؟
- بير** : حين يلوح الخطر ، ترانى أخاف . غير أن كلامك هذا غير مجد .
- الراكب** : با صديق . هل تأتى لك ، طول حياتك ، أن اتصرت على الخوف ؟
- بير** : (ناظرا اليه) اذا كنت قد جئت لتنير لى الطريق ، فقد كان أجدر بك أن تأتى قبل هذا بكثير . لا معنى لأن تأتى الآن والبحر موشك أن يبلعنى . ولكن سيكون نصرك أكثر تأكدا في ركن هادئ الى جوار المدفأة ؟
- بير** : من يدري ؟ لم يأت حديثك بنتيجة . أكنت تريد أن تمنحنى الايمان ؟
- الراكب** : في البلد الذى آتيت منه البسمة أكبر قدرا من حزن متصنع .
- بير** : لكل مقام مقال . والمثل يقول : ما يفعله ساقى الحان لا يليق بالأسقف .
- الراكب** : السواد الأعظم لا يتمحطرون في الأحذية العالية .
- بير** : أيها الغول ! انزل ! اذهب ! لن أموت . سأصل الى البر رغم أفتك .
- الراكب** : طبعاً ، أطمئن . المرء لا يموت في منتصف الفصل الأخير (يذهب) .
- بير** : قد كشف نفسه أخيرا . واعظ أخلاقى سخيف .

يعلم كيف كان يروح ويحيى هنا وهو بعد صبي.
أنا واثق انكم تذكرون جميعا كيف كان يضع يده
اليمنى في جيبه دائما . بل ان هذه العادة ، الى
جوار خجله واضطرابه ، وتحفظه الصامت المنكر
للذات ، هي التي جعلت لصورته أثرا لا يسحى في
عقولنا . ومع أنه كان منعزلا عنا ، ورغم أنه ظل
الى النهاية غريبا بيننا ، فقد كنا نعرف تماما أن
اليدين التي يخفيها ذات أربع أصابع فقط — لم
تنجح محاولاته اليأس في حجب هذه الحقيقة
عنا . وأذكر تماما ذات صباح ، من سنوات خلت ؛
كانت الحرب قد بلغت الذروة ، وكان التجنيد
في « لوند » قائما على قدم وساق . كنا نعلم تماما
الأخطار التي تواجهنا . جلس الكابتن الى منضدة
بين العمدة والجاويشية . وكنت أتفرج . كان
المقترعون يتقدمون ، واحدا وراء الآخر حيث
تؤخذ مقاييسهم ، ويفحصون طيبا ، ثم يلحقون
بالخدمة ، ويؤدون اليمين ، وينضمون الى
الجيش . كانت الغرفة مليئة بالرجال ، ومن
الخارج سمعنا المقترعين يتفجرون ضاحكين .

الفصل الخامس : المشهد الثالث

المنظر : فناء كنيسة في أمالي الجبال . جنازة ، وقس ،
وجمع من المصلين . تسمع الآيات الأخيرة من أحد الأناشيد
يظهر بيرجينت في الطريق خارج الكنيسة . يقف بالبوابة .

بي : انسان آخر هلك كالسابقين . شكرا للسماء ان
الميت ليس أنا !
(يدخل) .

القس : (عند القبر) .
والآن وقد صعدت روحه الى بارئها ، وظل
جسده هنا ، آنية فارغة ، الآن ، يا صحابي
الأعزاء ، فلنقل كلمات عن رحلة هذا الميت على
هذي الأرض . لم يكن غنيا ، ولا كان ذا عقل
كبير ، لم يكن شجاعا ، ولا كان رجولى المظهر .
كان خجولا مترددا في أحواله . في بيته لم يكن
سيدا قط . كان يزحف الى هذه الكنيسة في
صمت كأنما يستأذنا أن يدخل ويشاركنا الصلاة .
هو من ناحية « جود براند سدالين » ، وكلكم

التلال . ثم صعد مخترقا الغابات ، واعتلى الصخور النائية وتلك التي برتها المياه ، وهو يتعثر بمهور الأقباس . كان بيته موغلا في البعد ، مندسا بين الجبال . ومرت شهور ستة قبل أن يعود إلينا ، جاء ومعه أمه ، وطفل ، وخطيبة . استأجر أرضا فوق التلال ، حيث العشب ممتد منبسط يصل إلى ناحية « لومب » . وحينما لاحت الفرصة تزوج الفتى ، وابنتى لنفسه بيتا ، وجعل يحطم الأرض الصخرية ويعمل فيها حتى أخذت تلوح فيها مساحات من القمح الذهبى تروى قصة كفاحه . ومع ذلك ، ففى الكنيسة ، ظل يضع يده المبتورة الأصبع في أعماق جيبه ، وإن كنت واثقا أنه في بيته كان يفعل بأصابعه التسعة ما يفعله غيره بعشرة . وذات ربيع ، داهم بيته الفيضان فانهار . واستطاع سكان البيت أن ينجوا بجلودهم . ولكنهم أصبحوا من بعد مشردين فقراء . ومن ثم ، عاد الرجل ينظف الأرض ويبنى فوقها . وجاء الخريف ، فاذا بالدخان يتصاعد من مداخن بيت جديد في مزرعة

ونودى على اسم ، وجاء فتى آخر وجهه أبيض كتلوج الثلجات . كانت يده ملفوفة في خرقه . أمره أن يتقدم إلى النضد حيث أخذ الكاتبين يستجوبه ، هنالك وقف الشاب فأغرا فاه وتلعثم وبلع ريقه ، وتكلم فلم يخرج له صوت وأخيرا تحدث : كان خداه ملتهبين وبين الحين والحين كان صوته يخونه أو تتساقط الكلمات من فمه فتدغم احداها الأخرى . وبهذه الطريقة تمت رواية ما عن منجلة انزلت واخترقت العظم فقطعت أحد أصابعه . وخيم الصمت . وتبدلت نظرات سريعة عبر الغرفة . والتوت الشفاه احتقارا ، وبدا كأن الصمت يرحم الفتى بحجارة . لم يكن يرى محتقره ، ولكنه كان يحس ازدراءهم يخره وخزا . ومن ثم وقف القبطان ، وهو عجوز أشيب الشعر ، فبصق ثم أشار إلى الباب وقال : « اخرج ! » وخرج الفتى وتفرق الجميع ، وقد هيئوا بينهم ممرا خاضه الفتى وسهام النقد والزراية مصوبة نحوه حتى وصل إلى الباب ، فأطلق ساقيه للريح متجها صوب

في العالم الجديد . غير أنهم نسوا أباهم الذي يعيش في النرويج ، وما أتاح لهم من تعليم راق جهد في سبيله كما يجهد العبيد . كان كليل النظر . لم يستطع قط أن يرى أبعد من دائرة الأسرة الضيقة . والكلمات التي ترن عميقا في قلوب الرجال جميعا كانت في أذنيه كالأجراس البعيدة ، لم يكن لها صدى في نفسه . الوطن ، العنصر — وهما مثالان يتألفان بالنور — كانا يضعان في الضباب أمام عينيه الحسرتين . ولكنه كان متواضعا ، أجل كان هذا الرجل متواضعا . ومن يوم تلك الحادثة الخطيرة في « لوند » ظل يحمل شارة العار في قلبه تماما كما تحمل وجنتاه حمرة الخجل ، وكما تحمل يده الأصابع الأربعة وهي خبيثة في جيبه . هل خرج الرجل على قانون بلده ؟ بلا شك . ولكن ، كما تسمو السحب ، كالقمم الضاربة في الارتفاع ، فوق خيمة « جيلتريند » التي تعمي الأبصار ، كذلك هناك من الأشياء ما يسمو فوق القانون . لم يكن وطنيا صالحا . كان للدولة والكنيسة عمودا

أكثر أمنا ، على الجبال . هل قلت أكثر أمنا ؟ أجل ، أمنا من الفيضان وليس من الهيارات الثلجية . فلم يمر عامان الا وقد اجتاحت الثلوج هذه المزرعة . ومع ذلك ، فحتى الهيارات لم تستطع أن تكسر شوكة الرجل . فقد عاد يضرب الأرض ويزيح الثلج ، ويزيل عنها النفاية ، ويخزن ككل الأشجار وقودا ، وقبل أن يحل الشتاء كان قد صنع لنفسه بيتا للمرة الثالثة . وكان قد أنجب ثلاثة أولاد ، أولادا ثلاثة ممتازين . وكانت مدرستهم جد نائية . وحيث كانت الطريق تنقطع بهم ، كان عليهم أن يشقوا لأنفسهم طريقا عبر الممرات الضيقة ، وحقول الثلج حادة الارتفاع . فماذا فعل الرجل ؟ ترك الولد الأكبر يشق طريقه بنفسه ، ولكنه حيث تعقد الأمور كان يشد الولد اليه بجعل ، ويحمل الولدين الآخرين ، واحدا على ذراعه والآخر على ظهره . وهكذا ظل يجاهد ، العام بعد العام ، حتى أضحي الصبيان رجالا . وطن ومعه الحق أن قد آن الأوان كي يرد اليه أولاده الجميل ، الآن وقد أصبحوا سادة أغنياء

بالعابة ؟ من يدري ؟ لعلى ، لو لم أكن واقفا الآن
معتمدا على عصاى على حافة قبر هذا الروح
القريب الى روحي ، كت خليقا أن أكون أنا
نفسى الميت ، أنام هنالك وأسمع فى أحلامى من
ينغنى بفضائلى . انها عادة مسيحية تستأهل أقصى
المديح ، تلك التى تقضى باستعراض حياة
الموتى الأجزاء بعين حانية . أنا نفسى أقبل
راضيا حكم قس واسع العقل كهذا
الرجل . هيه ، احسب أنه ما زالت بالعمر بقية
قبل أن ينادينى اللحد . وكما يقول الانجيل .
« الأفضل هو الأفضل » وكما يقول أيضا :
« يكفى اليوم شره » وكما يقول كذلك :
« لا تقترض من أجل جنازتك » .

أجل أن الكنيسة هى العزاء الحق الوحيد ، الآن
فقط أتبين هذا . الآن أرى كم هو طيب أن يؤكذلك
العارفون « أن الذى يزرعه الانسان اياه يحصد
أيضا » . عليك أن تكون ذاتك . فى صغير
الأمر وكبيرها ، واجبك أن تحرص على نفسك .
ابدل الجهد الكبير كى ترعى كل ما ينتمى الى

أجوف ، ولكنه فى الأرض الخراب ، وبين أفراد
أسرته ، حيث يقوم عمله الحق — عمل حياته
كلها ، كان عظيما ، لأنه حقق ذاته . كان
جوهره يرن كالعملة الطيبة . وكانت حياته
موسيقى تعزفها الأيام على أوتار خرساء .
لكل هذا أقول : نم فى أمان ، أيها المحارب
الصامت الذى خاض معركة الفلاح الصغيرة ثم
سقط . لن تقتش فى قلبه ولا فى دوافعه ، فليس
هذا عملنا وانما هو عمل الاله . ولكنى من كل
قلبى ، وبكل اخلاص ، أرجو ، اذ يتخذ مكانه
الى جوار الله أن تذهب عن الرجل عاهته .

يسير : هذه هى المسيحية حقا . ليس فى العظمة ما يضايق
المرء . أجل . أن موضوع خطبة القس ، فكرة
تحقيق الذات دائما ، هى ، فى حد ذاتها ، فكرة
بالغة الفائدة .

(يحسبك فى القبر) .

ليت شعرى : أهذا هو الصبى الذى رأيته يجتز
اصبعه ذلك اليوم الذى كنت أقطع فيه الأشجار

الفصل الخامس : المشهد الرابع

المنظر : تل : بأسفله مجرى نهر جف ماؤه . على شط
النهر طاحونة متهدمة . الأرض منمشقة ، متكسرة ، والخراب
منتشر في كل مكان . في مكان أكثر ارتفاعا ترى مزرعة كبيرة ،
يجرى خارجها بيع بالزاد . قد تحلق جمع كبير كثير الصخب ،
يشربون الخمر على نطاق واسع . بير جينت جالس على كوم
من النفايا قرب الطاحونة .

بير : الى الوراء أو الأمام نفس المسافة . في الداخل
وفي الخارج المر ضيق . لا الزمن ولا المد ينتظر
أحدا . قال البويج : « خذ طريقا دائريا » وهذا
ما هو حتم أن أفعل هنا .
رجل في ملابس الحداد : الآن لم يعد الا النفاية .
(يرى بير جينت) .

وفينا أغراب أيضا ! بارك الله فيك يا صاحبي !
بير : طاب يومك ! هذه مناسبة بهيجة . أهو حفل
تعميد أو زواج ؟
رجل في ملابس الحداد : بل قل أنه احتفاء بعودة الغريب الى بيته .
العروس نائمة في فراش من دود .

ذاتك . فإذا ما عاندك الحظ أكبر عناد كنت
في القليل قد سويت بنفسك قدسيتك . والآن، الى
البيت ! مهما يكن الطريق عسير الصعود أو ضيقا،
أو كان القدر قاسيا حتى النهاية ذاتها ، فيسظل
بير جينت العتيد سائرا في طريقه المرسوم ،
وسيحقق ذاته دائما ويكون أبدا فاضلا وان ألم
الفقر بساحته .

- بير** : والدود يتصارع من أجل قطعة أو أخرى .
رجل في ملابس الحداد : انها النهاية . نهاية قصة حياة .
- بير** : كل قصة قديمة . كل قصة تنتهي نفس النهاية .
عرفت القصص جميعا وأنا صبي .
- شاب** : (ومعه مفرقة صهر) انظر الى هذه ! اشتريتها
**توا ! أليست رائحة ؟ كأن بيرجيت يصهر الأزرار
الفضية فيها .**
- شاب ثان** : وأنا ماذا اشترت ؟ كيس بمليبات !
شاب ثالث : وأنا ؟ جعبة بائع جوال بقرشين .
- بير** : بيرجيت ؟ من هو ؟
رجل في ملابس الحداد : كل ما أعرفه أنه كان زوج أخت الموت ،
« وأسلاك » الحداد .
- رجل في ثوب ومادي** : قد نسيتموني . مجانين أنتم أم سكارى ؟
رجل في ملابس الحداد : نسيتم الغرفة العليا في هجستداد .
- رجل في ثوب ومادي** : عذا حق ! ولكن متى كنت ذا ضمير حي ؟
رجل في ملابس الحداد : لنفرض أنها عصفت بالموت !
- رجل في ثوب ومادي** : عيا . اشرب مع زوج أختك .
رجل في ملابس الحداد : زوج أخت ! اذهب الى الجحيم ! أنت تعرف !
- رجل في ثوب ومادي** : آه ، كلام فارغ . الدم لا يكون ماء هكذا ! كل
منا قريب لبيرجيت بوسيلة أو أخرى .
(بنصران معا) .
- بير** : (في صوت خفيض) الظاهر اننى بالفعل قد لقيت
صحابا قدامى .
- الصبى** : أمى المسكينة ستسكن روحك ، يا أسلاك ،
لوعدت للشراب ثانية .
- بير** : (ناهضا) يقول المثل الفلاحى : « كلما حفرت
أعمق ، كانت الرائحة أعبق » . ولكنه هنا
لا ينطبق .
- شاب** : (يلبس فراء دب) انظر هنا ! هذا قط دوفر !
أو ، على الأقل ، جلده . انه القبط الذى ذهب
يطارد جنية عشية عيد الميلاد .
- شاب ثان** : (معه قرون غزال الرنة) هذا قرن غزال الرنة
الذى ركبه بيرجيت حينما انزلت من فوق قمة
جبال جيندين .
- شاب ثالث** : (يحمل مطرقة ويهتف مخاطبا الرجل في ملابس
الحداد) هيه ، أنت ، يا اسلاك ، انظر الى هذه

- اصوات** : وماذا عندك أيضا ؟
- بير** : ذهب ورغوة معدن . بضاعة اشتريتها على عيبها .
سأبيع بخسارة .
- سناپ** : أعرضها للبيع !
- بير** : وعندي حلم بكتاب صلاة ! أطلب فيه مجرد زر .
- شاب** : اللعنة على الأحلام !
- بير** : وهناك أيضا امبراطوريتي ! سأرميها اليكم .
تدافعوا للحصول عليها .
- شاب** : بما فيها من تاج ؟
- بير** : تاج من الشوك ! على مقياس أول من يلبسه .
آه . وهناك المزيد ! بيضة فاسدة وشعر أبيض
لعجوز ! ولحية النبيء ! سأعطى الجميع لمن يدلى
على لافتة فى الأرض الخلاء ، لافتة تقول :
« هذا هو الطريق » .
- (يصل ممثل القانون) .
- ممثل القانون** : لا يروفتى هذا السلوك ، يا صاح . لا فتتك هذه
ستقودك رأسا الى السجن .
- بير** : (وقبعته فى يده) جائز . ولكن قل لى : من هو
بيرجيت ؟

المطرفة ! أهى التى استخدمتها حين نفذ الشيطان
خلال الحائط ؟

شاب رابع : (فارغ اليدين) هذه « مادزموين » ! العبادة
الخفية التى طار بها بيرجيت وانجريد ، وغابا
عن الأنظار !

بير : براندى ها ، يا أولادى ! أحس وطأة السن !
سأعرض نقائتي هذه فى المزاد .

شاب : وماذا عندك ؟

بير : لى قصر بأسوار كبيرة سسيكة . انه فى الروند .

شاب : أعرض فيه زرا واحدا .

بير : اجعله قدرا من الشراب . انها لخطيئة وعار أن
تعرض أقل .

شاب آخر : عجوز لطيف !

(الناس يتحلقون حول بير) .

بير : وحصانى ، جرين ! هل من يتقدم ؟

واحد من الجمع : وأين هو ؟

بير : هو فى الغرب ! قرب الشمس الغاربة ، يا أولاد !
جرين يجرى بسرعة ، بسرعة بيرجيت فى اطلاق
الأكاذيب .

ممثل القانون : ايه -- !

يسير : بعد اذنك ، أريد أن أعرف .

ممثل القانون : يقولون أنه كان مؤلف قصص سخيف .

يسير : مؤلف قصص ؟

ممثل القانون : نعم ، ألف بين أشتات ما قرأ من قصص المغامرات

الكبرى ، وادعى أنها من إبداعه خاصة . ولكن ،

اسمح لى ، يا صديقى ، فلا وقت عندى .

(يذهب) .

يسير : وأين هو الآن ، هذا الانسان العجيب ؟

رجل عجوز : هاجر - الى بلد أجنبى - تحول من السيئ الى

الأسوأ .. أمر طبيعى . ثم انتهى الى المشتقة .

حدث هذا من سنوات .

يسير : المشتقة ؟ تخيل ! فى الواقع هذا لا يدهشنى .

المرحوم بير جينت حقق ذاته حتى النهاية .

(يتحنى) .

وداعا : وشكرا لما أظهرتموه من عطف .

(ياخذ فى الانصراف ، ثم يتوقف) .

أيها الرجال السعداء جميعا . آيتها المليحات من

البنات طرا . هل أسمعكن نسجا من بعض خيالى؟

اصوات : من أى نوع ؟

يسير : أوه ، مجرد قصص بسيطة .

(يقترب . فى عينيه نظرة غريبة) .

من سنتين ، كنت أستخرج الذهب فى سان

فرانسيسكو والبلدة كلها مزدحمة بالسحرة .

أحدهم كان يعزف الكمان بأصابع قدميه ، وآخر

كان يرقص على ركبتيه ، وثالث ، قيل لى ، كان

ينظم الشعر بينما رأسه تدق فيها المسامير وذات

مرة ظهر الشيطان فى السوق ، أحب هو الآخر

أن يجرب حظه . وكان يحسن تقليد صوت

الخنزير ، كان تقليده يحاكي الطبيعة تماما . ولم

يتعرف عليه أحد ولكن شخصيته اجتذبت

الجماهير . ازدحم المكان حتى امتلأ عن آخره ،

وارتفعت حرارة الشوق فانقلبت حمى . وأخيرا

ظهر مرتديا عباءة طويلة فضفاضة - ما يسميه

الألمان (1) Man muss sich drapieren ولكنه خلف

العباءة أخفى خنزيرا . وبدأ العرض . قرص

الشيطان الخنزير فصاح . وتبين أن العرض

(1) على المرء ان يكون مستعدا بالثوب اللائق .

الفصل الخامس : المشهد الخامس

النظر : العيشة السابقة على أحد العنصرة . وفي أعماق الغابة . على مبعدة في مكان قطعت أشجاره يقوم كوخ على بابه قرون غزال الرنة . بير جينت جاث على يديه وركبتيه ، يجمع البصل البرى .

سير : هذه احدى وجهات النظر . أين وجهة النظر التالية ؟ حتم أن تجرب كل شيء ، ثم تختار ، الأحسن . وهذا ما فعلت . مرة كنت قيصر . والآن أنا ملك بابل آخر . أنا أمر عبر التاريخ الذى يحكيه الانجيل جميعا . هذا العجوز قد عاد الى أمه ثانية . بالطبع يقول الانجيل : « تراب أنت ! » أهم ما فى الحياة أن تملأ بطنك . تملأها بصلا ؟ لا ، هذا لا يجدى . سأظهر المكر . سأنصب الفخاخ . هناك جدول قريب ، فلن أظلمأ أبدا . سأظل كما كنت سيد الخليقة هنا أيضا . وحين أموت — ولا ريب اننى سأموت — سأزحف وأقبع تحت شجرة قد أسقطتها الريح ،

يهدف الى تقديم صورة فانتازية لحياة الخنزير من فترة الرضاعة حتى الصرخة الاخيرة اترطعنة من سكين الجزائر . وفي نهاية العرض انحنى الفنان انحناء كبرى وانصرف . وأخذ النقاد يناقشون فن الممثل . اختلفت الآراء ، بعضهم امتدح العرض ، والآخر طعن فيه . فريق رأى أن نعمة الصرخات كان أرفع من اللازم ، وآخر ذهب الى أن صرخات الموت كانت « مدبرة » أكثر منها تلقائية . غير أن الجميع اتفقوا على أن العرض بوصفه تقليدا لصوت الخنزير كان مبالغا فيه الى درجة السخافة . وهذا هو الجراء الذى ناله الشيطان لعبائه الصرف الذى منعه أن يعرف حقيقة رغبات الجمهور .

(ينحنى وينصرف . ويسود الجمع صمت غير مريح) .

عين الرجل الشريف . هذه الطبقة ، طرية تقيه ،
تمثل الرجل الذي عاش للمرح . الطبقة التي تليها
في حالة سيئة ، تتخللها الخيوط السوداء . انها
تذكر بالزنجير والمبشرين .

(يقطع عدة طبقات دفعة واحدة) .

طبقات كثيرة فوق طبقات . فمتى أصل الى اللب؟

(يقطع البصلة كلها اربا) .

يا الهى ، انه لا لب لها ! حتى القلب ، تمضى

الطبقات فوق الطبقات ، وهى تتناقص فى الحجم .

الطبيعة ذكية !

(يرمى البقية) .

ومع ذلك فلا خطر على البتة من وقوع ، فأنا

ليسقط الفكر ! ما أن تفكر ، حتى تبدأ العثرات .

ثابت على الأرض بأطراف الأربعة . (يحك قفاه)

الحياة نفسها مسألة مضحكة . الناس يقولون انها

تخدعنا ، نمد إليها يدا لنغتصبها ، ولكنها تمرق

منا ، واذا بنا نحصل على غير ما نريد ، أو على

لا شيء .

(يصل الى قرب الكوخ . يراه فيندهش) .

سأعطى نفسى بأوراق الشجر ، كما يفعل الدب ،

وعلى اللحاء سأقش بأحرف كبيرة : « هنا

يرقد بيرجيت ، انسان طيب تماما ، وامبراطور

كل الوحوش » . امبراطور (يضحك لنفسه)

أيها القرد السخيف العقل ! أنت لست امبراطورا ،

انما أنت بصلة . وأنا الآن سأفترسك ، يا عزيزى

بير ! لا الدموع ولا الصلوات تنفعك الآن .

(يأخذ بصلة ويقشرها ورقة ورقة) .

هذه الطبقة الخارجية ، مشققة ومنكسرة ، انها

الفريق المتعلق بالحطام . وهذه صرة المسافر ،

فى طعمها ما يشبه بيرجيت . وبالداخل ، الأنا

الباحثة عن الذهب . قد ذهبت عنها العصارة ،

ان صح ان كان لها عصارة ما . هذه الطبقة صلبة

خشنة ، تمثل صياد الفرو فى خليج هدسون .

الطبقة التالية تشبه التاج . شكرا ! سنرميه فورا

وبلا احتفال . هذه تمثل عالم الآثار ، قصيرة

ولكنها قوية ، وهذه تمثل النبىء ، مليئة

بالعصارة ، وطازجة ، ولكنها تفوح ، كما يقول

المثل ، بتنانة الأكاذيب ، انها لتسيل الدموع من

هذا الكوخ؟ في الغابة! ولكن —

(يفرك عينيه) .

الفصل الخامس : المشهد السادس

المنظر : بالليل . أرض خلاء ، بها بعض أشجار الصنوبر .
كان هنا حريق دمر الغابة . أميال وراء أميال من جذوع
الأشجار المتفحمة . مساحات من الشايرة على الأرض هنا
وهناك . بير جينت يخترق المنظر وهو يجرى .

بير : رماد وضباب رذاذ وعواصف رملية سيارة —

هي كلها ما ابنتى منه البيوت ! رائحة كريهة
وغفن بداخلها ؛ جميعها تصنع القبر المدهون .
أحلام وخيالات وحكمة ولدت ميتة اتخذتها قواعد
للبيت ، وفوقها سوف يعلو الهرم كاملاً بمصاطبه
ودرجاته المصنوعة من أكاذيب . فلترفع فوقه
اذن عبارة تقول : « الهرب من الحقيقة ومن
الندم » ، ولندعها تخفق في الهواء كالراية .

فلينفخ في الصور من يقول (1) Pretus Gyntus

Caesar Fecit.

(يتسمع) .

أسمع صوت أطفال ييكون ، بكاء هو نصف

أقسم أن — ! أنا واثق اني رأيت هذا البناء
من قبل . وقرود الغزال هذه فوق الباب !
وحورية البحر بذيلها الطويل الذى يضرب الماء .
أوهام ! ليس ما أرى حورية وانما مسامير
والواح ، ورتاج يمنع دخول أفكار الغفاريات !
(يسمع صوت سولفيج من الداخل) .

سولفيج

: الآن تهاى كل شيء لعيد العنصرة . يا حبيبي العزيز
المفرط في النأي ، متى تعود ؟ احملك ثقيل ؟ اذن
استرح ، استرح قليلاً ، سأنتظر ، كما وعدتك ،
من وقت بعيد ، بعيد ...

(ينهض بير جينت ووجهه أبيض كاللوتى)

بير

: واحدة ذكرت وآخر قد نسى ،
واحدة آمنت ، وآخر قد كفر .
اتتهت اللعبة ، وحانت نهاية الشوط
يا للقدر من مخادع مكار ! قد كانت هنا
امبراطوريتى .

(1) لقد انقضى القيصر بير جينت .

ذفرة في الهواء : نحن أغنيات لم تنشدها ! وفي أعماق قلبك تعلقنا
بالأمل . آلاف من المرات خنقتنا وقتلتنا ، لم
تدعنا قط للحياة . ألا خرس منك الصوت !
بير : بل أخرسى أنت ، بقوافيك ولعناتك ! فما شأنى
أنا بالنظم الركيك ؟
(يوليها ظهره) .

قصرات ندى : نحن دموع لا تستطيع السقوط! كنا جديرات أن
نذيب بللورات الألم المرير . الآن يبقى رأس
الشص في الصدر العنيد . وينغلق الجرح ولا يعود
لنا سلطان .

بير : شكرا --- بكيت مرة في روند يسفالين ، فالتتى
ضربة على المؤخرة .. !

قشات مكسورة : نحن أفعال لم تفعلها ! الشك ، ذلك المحطم ،
هاجمنا واتصر . يوم القيامة ستكون شهودا
ونزوى قصتنا ، وهنالك ، حذار !

بير : يا مجرمات ! تلمنتى على ما لم أفعل ؟
(يهرب) .

أس (من بعيد) :
اخص ! يا لك سائق عيبط ! قد رميت بى في

اغنية . وكرات من الخيط تتدحرج عند قدمي !
(يرفسها) .

خل عن الطريق ! فأنت تسدينه !

كرات الخيط : نحن أفكار ، كان عليك أن تشغل بها ! وأرجلا
نمشى عليها كان واجبك أن تمنحنا !

بير : ذات مرة نفخت الحياة في فكرة ، كانت شوهاء
برجلين معوجتين .

كرات الخيط : كنا جديرات أن نحلق صوب السماء ، في نشيد
يتردد . غير أننا مجرد كرات من الخيط شهباء ،
تدور في الوحل .

بير : (متعثرا) ياكرات الخيط ، يا شيطانات ملعونة !
هل تدفعين أباك للسقوط ؟
(يهرب) .

اوراق شجرية : (تطير في الريح) .
نحن كلمات السر ! انظر ماذا فعل بنا كسلك ،
مزقنا وذرانا في الريح . عضنا الدود من كل
شريان . لم ندفيء قط ثمرة في شجر .

بير : لم تضع حياتك هباء . ارقدى على الأرض تصبى
سباخا طيبا .

مستنقع مثلج ، نالتى الماء حتى اللحم ! قد ضللت
الطريق ، يا بير ، أين الفصر ؟ عررب بك الشيطان
بفضل السوط الذى تمسك

الفصل الخامس : المشهد السابع

يسير منديا : الأفضل أن أهرب مسرعا . فلو قد حلت خطانا

الشيطان أيضا لحطت على تجانب التل . خطاى اى
أنا تكفينى وتقل على .

أصدقائى الأعزاء !

(يدخل صانع الأزرار من المعر الجانبى ،
ومعه صندوق به ادواته ، ومعرفة صور
ضخمة)

صانع الأزرار : طاب مساءؤك ، أيها العجوز !

يسير منديا : طاب مساءؤك ، يا صاحبى !

صانع الأزرار : أراك فى عجلة كبيرة . الى أين ؟

يسير منديا : جنازة .

صانع الأزرار : صحيح ؟ نظرى ليس قويا — اعذرنى — أليس

اسمك بير ؟

يسير منديا : نعم . هو ذلك . ايجيب .

صانع الأزرار : هذا حظى الحسن ، اذن . كنت أبحث عن بيرجيتة

استحق لا شك مصيرا خيرا من هذا . انا لست
شريرا الى الحد الذى تظنى . قد أدت قدرا
من الاعمال الخيرة على الارض . وعلى اسوأ
الفروض ، انا مجرد حمار خباص ، انا قطعاً
لست مجرماً معتاداً .

صانع الازرار : أنت تخرج على الموضوع ، يا عزيزى . النقطة
هى : بما ان خطاياك قد كانت قييمة ، فقد اغفيت
من العذاب الأزلئ، وحكم عليك ، كمعظم الناس ،
بالصهر فى المعرفة .

بير : سمها ما شئت — المعرفة ، أو بركة الكبريت
المذاب . خمر خفيفة أو شديدة المفعول — كلها
خمر . أغرب عنى ، يا شيطان .

صانع الازرار : أبلغت بك القحة أن تظن قدمى حافر حصان ؟
بير : حافر حصان ، أو مخلب ثعلب ! امش! ولا تتدخل
فيما لا يعينك !

صانع الازرار : يا صاحبى ، أنت تخطئ خطأ كبير . بما أن كلينا
فى عجلة ، فسأشرح لك القضية بأوجز ما أستطيع .
هذا أوفر للوقت . أنت ، باعترافك ، لست مخطناً
بطريقة رائعة . أنت مجرد مذب عادى .

فى كل مكان .

بير : صحيح ؟ وماذا تريد ؟

صانع الازرار : أنت ترى من أكون . صانع أزرار . أريدك
لمعرفتى .

بير : ولم ؟

صانع الازرار : سأصهرك .

بير : تصهرنى ؟

صانع الازرار : نعم . انظر ! المعرفة قد نظفت وهى الآن خالية .
الدود سينال أكلة شهية فى جثتك . لدى تعليقات
من رئيسى بأن أحضر له روحك دون أدنى تأخير .
بير : لا حق لك فى هذا . لم أتلق تحذيراً بعد .

صانع الازرار : تقضى العادة فى حوادث الوفاة والميلاد بأن يفاجأ
الضيف بالحادثة مفاجأة كبرى . لا أحد ينبئه
باليوم الموعود .

بير : نعم . أعلم . عطفى فى دوامة . أنت اذن — ؟

صانع الازرار : نلت لك ! صانع أزرار .

بير : هيم ! ولكن الطفل المدلل له كنيات كثيرة .
واذن فقد انتهى بك الأمر هذه النهاية ، يا بير—
تصهر فى معرفة ! ولكننى ، ايها الرجل الطيب ،

ولهذا تعلم أن بعض المصوبات يلحق بها عيوب.
الزر — مثلا — قد يخرج بلا ثقب . فماذا
تفعل به ؟

بير : ألقه جانبا .

صانع الأزداد : آه ! أبوك جون جينت كان متلافا ، بدر في ماله
حتى النهاية . ولكن سيدى جد حريص . ولهذا
السبب أضحى واسع الثراء . انه لا يلقى شيئا
جانبا . انه يجد لما لا ينفع منفعة : فيستخدمه .
مادة خام . كان مفروضا أن تصبح زرا لامعا على
صديرية العالم . ولكن ثقبك فسدت . لهذا
وجب أن تذوب في الكتلة الكبرى .

بير : أنت ، قطعاً ، لا تعنى انك ستصهرنى مع كل من
هب ودب ، لتخرج منا شيئاً جديداً ؟

صانع الأزداد : بل هذا بالضبط ما أعنيه . قد عملنا هذا مع
غيرك ، المرة بعد المرة . وفى المسبك يفعلون
نفس الشيء بالعملة التى تفقد نقشها من طول
الاستعمال .

بير : ليس هذا الا الشح الصريح ! يا صديقى العزيز ،
هل لك أن تخلى سبيلى ؟ زر بلا ثقب ! عملة

بير : الآن أخذت تنطق بالحق .

صانع الأزداد : انتظر لحظة ! أكون مغاليا اذا قلت انك برىء .

بير : هذا أمر لا انتظره قط .

صانع الأزداد : لقد سرت فى الطريق الوسط ، المألوف للغالبية.
الذنب العظيم نادر الوجود فى هذه الأيام .
الذنب الكبير ليس مجرد التمرغ فى الوحل.
القوة والهدف يلزمان لتحقيق الذنب الملحمى .

بير : ما قلته الآن حق صريح . يجب أن تندفع الى
الذنب اندفاعا المحارب التوردي المجنون .

صانع الأزداد : لم تفعل هذا : بل استخفقت بالذنب .

بير : أذنبت بسطحية . نظرت الى الذنب كما ننظر الى
رشة وحل .

صانع الأزداد : الآن أخذنا نصل الى اتفاق . ان بركة الكبريت
ليست لمن مشوا على سطح الوحل .

بير : ولهذا ، يا صديقى ، تستطيع أن تخلى سبيلى ؟

صانع الأزداد : ولهذا ، يا صديقى ، سوف تصهر فى المعرفة .

بير : أية ألغيب هذه التى تلمتموها فى غيابى ؟

صانع الأزداد : طريقتنا قديمة قدم العالم . وهدفنا المحافظة على
المادة من الفناء . أنت على دراية بفن الصهر ،

الآخر — أن أندمج في جسم آخر ، أن أصبح ذرة — هذه المسألة المفرفية ، هذه النهاية لجينت — ان أعرق أعماقي يثور عليها .

صانع الأزداد : يا عزيزي بير ، لماذا تجعل لهذه المسألة الصغيرة كل هذه الأهمية ؟ أنت لم تكن ذاك قط : فلماذا تأبه الآن اذا انتهيت الى الأبد ؟

بير : لم أكن ذاتي قط ! هل أضحك ! بيرجنت ليس ذاته ! طيب ، طيب ، سوف نرى ! ، لا ، يا صانع الأزرار ، ان حكمتك أعمى ، لو استطعت أن تنفذ الى داخل نفسي : لرأيت اذ ذاك فقط ، حقيقة ذاتي ، بير ، ولا شيء غير بير ، ولا شيء سواه .

صانع الأزداد : هذا مستحيل . هذه هي التعليمات الملقاة الى . انها صريحة واضحة . « ايت الى بيرجنت . قد تحدى مصيره . الق به الى المعرفة بوصفه بضاعة تالقة » ! .

بير : يا له من كلام فارغ ! لا بد أن المقصود شخص آخر . أتقول تعليماتك حقا : « بير » ، وليس راساس أو جون ؟

اصبحت ملساء ! ماذا يساوى هذا في حساب رجل له مثل ثروة سيدك .

صانع الأزداد : ان لك روحا تجعل لك بعض القيمة كنوع من الخردة .

بير : لا ، أفول لا ، سأحارب حتى النهاية . أنا أحتج ! كل مصير أرضى به الا هذا .

صانع الأزداد : وأى مصير آخر هناك ؟ هيا : كن عاقلا . ليس لك مكان يرضيك في الجنة .

بير : من السهل ارضائي . لست كثير الاطماع . ولكنى لن اسلم لك ذرة واحدة من نفسي . حاسبني بالطريقة القديمة المألوفة . ارسلنى الى سيدك وفي قدمي الحافر بعضا من الوقت ، مائة سنة من العذاب ، اذا وجدت انى استحق هذه المدة ، افن اننى مستطيع أن احتملها . انه على كل حال لن يكون الا عذابا خلقيا ، غير صعب الاحتمال . سيكون فترة انتقال ، كما يقول المثل : أو كما قال الثعلب : « تنتظر ثم تحين ساعة الخلاص ، فتعود بسرعة مضاعفة ، وتأمل أن تتحسن الأحوال » . ولكن هذا المصير

واحدة فقط ، ولهذا نبذل قصارى الجهد لكي

نحتفظ بالنفس التي ولدت معنا ، هيه ؟ أتوافق؟

صانع الازداد : ليكن اذن ، قبل الاتفاق . ولكن اذكر اننا

سوف نلتقى عند مفترق الطرق القادم .

(يهرب بسر) .

صانع الازداد : سهرت هذين من مدة طويلة . هيا ، طائعا مختاراء،

ولا تضيع الوقت .

بسر : على اللعنة ان فعلت ! ماذا يكون حالى اذا

تبينت فيما بعد انك ارتكبت خطأ ! الأفضل أن

تكون حريصا : يا رجل . اذكر العبا الفادح الذى

سوف تحمل .

صانع الازداد : تعليماتى مكتوبة .

بسر : اعطنى فرصة .

صانع الازداد : ولم ؟

بسر : سأذهب فأجمع الأدلة على اننى كنت ذاتى طوال

حياتى . هذا هو جوهر القضية ، أليس كذلك ؟

صانع الازداد : الأدلة ؟ كيف ؟

بسر : شهود ؟ شهادات !

صانع الازداد : لا أعلن أن سيدى سيرضى بأدلتك .

بسر : بل أنا واثق بأنه سيفعل . ومع ذلك : « يكفى

اليوم شره » يا صديقى ، كل ما أطلبه أن تعبرنى

نفسى بضمان . سأعود سريعا . اننا نولد مرة

- الملك** : الأمير بير ! تصور أنا التقينا ثانية !
بير . من أنت ؟
الملك : تذكر ملك دوفر ؟
بير : غير معقو ...
الملك : ملك جبال روند !
بير : ملك دوفر ؟ صحيح ؟ ملك الجن ؟ قل لى !
الملك : نعم ، ولكن حالى تغير .
بير : أفلست ؟
الملك : وسرقت ، أخذوا منى كل شىء ، أنا الآن شريد ،
جانع كذذب !
بير : مرحى ! أنت الشاهد الذى أطلب !
الملك : أيها الأمير بير — قد هرمت شيئا ما ، منذ أن
رأيتك آخر مرة .
بير : يا حماى العزيز : السنون تبتلعنا ابتلاعا . هيه —
دعنا من مسائلنا الخاصة ، وبالأخص المشاكل
العائلية . حينما عرفتكم أول مرة كنت شابا
مندفعا .
الملك : أيها الأمير بير ، كنت صغيرا ما تزال ، وللشباب
حكمة . وقد فعلت عين الصواب حين هجرت

الفصل الخامس — المشهد الثامن

المنظر : جزء آخر من الأرض الخلاء . يدخل بير جينت
وهو يعدو .

بير : الوقت من ذهب ، هكذا يقول الكتاب الطيب .
لو قد عرفت فقط أين يقع مفترق الطرق ! قد
يكون قريبا ، وقد يكون بعيدا . الأرض تحترق
كالحديد الأحمر . شاهد ! شاهد ! أين أجد
شاهدا ؟ لن أجد شاهدا هنا فى أعماق الغابة . ان
عالما يضطر المرء فيه الى اثبات حقوقه وهى
واضحة كالشمس ، لهو عالم خرب : سببى الإدارة !
(يدخل رجل عجوز يمسك عصا فى يده
ويحمل حقيبة على ظهره ، ويمشى وثيد
الخطوات أمام بير . انه ملك جبسال
دوفر) .

الملك : (متوقفا) من فضلك يا سيدى ، بعض النقود
لسائل شريد .
بير : ليس معى فكة .

الحكاية . تذكر اليوم الذى وصلت فيه الروند
وخطبت منك ابنتك ؟

طبعاً اذكر ، يا أمير !

دعك من كلمة « أمير » هذه . أردت اذ ذاك أن

تعاملنى بخشونة ، فتشقق حبة عيني لتجعلنى
أبصر بطريقة ملتوية وتحول بيرجيت الى جنى .

فماذا فعلت ؟ نهضت لك وحاربتك ، أقسمت على

أن أقف على قدمى معتمدا على نفسى ، أعرضت

عن الحب والسلطان والملك ، نزلت عن كل شيء

فى مقابل أن أحقق ذاتى . هذا هو الذى أريدك

أن تقسم عليه حين —

: لا . لا أستطيع .

: ماذا تقول ؟

: لا أظنك تريدنى على أن أكذب — هيه ؟

ألا تذكر انك لست ذيلًا وشربت خمر العسل ؟

: بلى ، لأنكم أغريتمونى على هذا . ولكنى

صعدت لكم وانتصرت فى النهاية . انما يقوّم

الرجال بأعمال كهذه . والبيت الأخير فى القصيدة

هو بيت القصيد .

عروسك . قد وفرت على نفسك كثيرا من العار

والحزن . بعد أن تركتها ساءت أخلاقها تماما .

بير : حقا ؟

الملك : هى الآن امرأة سيئة السيرة . تصور انها تعيش

الآن مع هذا التروند القدر .

بير : أى تروند ؟

الملك : تروند فالقيلد .

بير : هو ؟ آه ! قد سلبته راعيات أبقاره الثلاث .

الملك : ولكن حفيدى قد كبير وسمن وأصبح غنيا ، له

أطفال عفاريت فى كل مكان .

بير : أيها الرجل العزيز ، ارحمنى من هذه التفاصيل

الدقيقة ، شيء آخر ينهش عقلى . أنا واقع فى

مشكلة خطيرة . أريد شهادة حسن سير وسلوك .

وأنت تستطيع مساعدتى يا حماى العزيز ، وفى

مقابل هذا : سأبتاع لك شرابا .

الملك : هل أستطيع حقا أن أعينك بشيء ، أيها الأمير ؟

وهل تعطينى أنت شهادة مماثلة فى مقابل هذا ؟

بير : طبعاً . حاليا أنا قليل المال . على أن أقترب وأوفر

كل ما أستطيع . الآن أسمع ، سأحكى لك

- الملك** : غير أن النتيجة ، يا بير ، كانت عكس هذا تماما .
- بير** : ماذا تعنى ؟
- الملك** : حينما غادرت قصرى . كنت قد نقشت شعارى على درعك .
- بير** : أى شعار ؟
- الملك** : هذه العبارة الشاملة —
- بير** : أية عبارة ؟
- الملك** : العبارة التى تميز البشر من الجان ، « أيتها الجنى ، اجعل فى ذاتك الكفاية » .
- بير** : (يخطو الى الوراء) . الكفاية !
- الملك** : أجل ، وتحت هذا الشعار عشت بكل ذرة فى جسدك .
- بير** : ماذا ؟ بيرجينت ؟
- الملك** : (وهو يبكى) أنت كثير النكران للجميل . عشت كما يعيش الجنى وأبقيت الأمر سرا . العبارة التى لفتتك صنعت مستقبلك كرجل بارز فى الدنيا : وأسبغت عليك الشهرة . والآن تأتى لتسخر منى ومن العبارة التى كانت مصدر خيرك .
- بير** : الكفاية ! جنى ! مجرد أغانى ! كلام فارغ ! أنا واثق من ذلك .
- الملك** : (يخرج العجوز حزمة من الصحف فى صرته) .
- الملك** : نظن أننا لا نملك صحفا . انظر . بعبارات واضحة ! لكل من له عين ترى ! كيف أثنت عليك صحيفة « بلوكسبيرج بوست » وصحيفة « هيكيلفيلد اكسبريس » كذلك ، بعد ذلك الشتاء الذى تركتنا فيه . تريد أن تقرأهما ؟ هالك ، الق نظرة ! هذه افتتاحية وقعها «حافر الحصان» . وأخرى عنوانها : « الوطنية الجنية » . الكاتب يقول انه ليس من الضروري أن يكون لك قرن أو ذيل كى تكون جنياً . المهم هو الشعور ! النظرة ! هذا هو المهم ! وينهى الكاتب مقاله قائلاً : « عبارتنا : الكفاية تسبغ الصفة الجنية على الانسان . ثم يورد حالة بيرجينت بوصفها أحسن مثال .
- بير** : جنى ؟ أنا !
- الملك** : نعم ، هذا واضح تماما .

الملك : أيها الأمير بير ، أنت آخر من يحق له الشكوى .

وإذا استطعت ، بوسيلة أو أخرى —

بير : يا عزيزي ، جئت تسأل من لا يملك . أنا الآخر

تمضنى الحاجة . وأنت تعرف معنى هذا .

الملك : لا يا شيخ ! أنت ؟ متسول أيضا ؟

بير : على الجديدة ! ونفس أميرك مرهونة ، ومن

المسئول عن كل هذا ؟ أتمم يا جان ! الآن تدرك

ما تفعله بالمرء صحبة السوء !

الملك : واذن فقد خاب ظننى ! وداعا ! على أن أشق

طريقي الى المدينة بأية وسيلة .

بير : وماذا تفعل هناك ؟

الملك : سأحترف التمثيل . انهم فى المسرح يبحثون عن

مواهب محلية .

بير : حظا سعيدا ! وبلغهم تحياتى . اذا استطعت

النجاة ، فعلت مثلك . سأكتب كوميديا عميقة

وذكىة الفكاهة على التوالى . سأسميها -Sic Fra

nist gloria mundi (١) .

(يسير فى المر ، تاركا المعجوز وراءه ينادى

عليه) .

(١) هكذا ينقضى مجد الدنيا .

بير : كان أولى بى أن أبقى حيث كنت ، وأعيش فى

نعيم الروند وأمنه ، اذا لوفرت على نفسى عناء

المشى وكثيرا من النصب والمتاعب ! بيرجيت

جنى ! كلام فارغ ! أكاذيب ! وداعا ! وهالك

البقشيش !

الملك : يا عزيزي الأمير بير —

بير : اخرس . أما أنك مجنون أو مهرف . اذهب الى

المستشفى .

الملك : هذا بالضبط ما أريد . ولكن ، كما قلت لك :

أصبح أولاد حفيدى أقوياء فى البلد ، وهم

يشرون عنى الأقاويل ، زاعمين انى مجرد

أسطورة . يقول الناس : لا تأمن للأقارب ، وقد

أثبتت تجربتى المرة أن هذا صحيح . من الصعب

ان اصدق اننى أسطورة .

بير : أيها الرجل العزيز ، قد حدث هذا لغيرك .

الملك : ونحن الجان لا معاش لنا : ولا مدخرات فى

البريد ، ولا صناديق احسان . هذا أمر لا يلىق

فى الروند .

بير : لا . أهم شىء هناك هو العبارة الملعونة : « اجعل

فى ذاتك كفاية » .

صانع الأزداد : ولكنه قد يستطيع -

بير : لا ، دعه يذهب !

صانع الأزداد : إذن ، فلنبدأ .

بير : لى سؤال : أولاً : ماذا تعنى بقولك « أن تكون ذاتك » .

فتيات ممسورة : عجيب أن يصدر السؤال منك أنت . منذ لحظات كنت -

بير : هيا ، هيا ، أجنى .

فتيات ممسورة : أن تكون ذاتك معناه أن تقتل أسوأ ما في نفسك

وتبرز أحسن ما فيها . ولكنى واثق انك لن تفهم

هذا . سأبسط لك المسألة : المعنى هو أن تمضى

مشيئة المولى بكل تفاصيلها .

بير : فما شأن من لم يعرف قط ماذا يريد به المولى ؟

فتيات ممسورة : ينبغي أن تدله فطرته .

بير : كثيرا ما تخطيء الفطرة أكبر الأخطاء . كثيرا

ما تدفع بك adundas⁽¹⁾ وتحطم مستقبلك .

صانع الأزداد : هذا صحيح . ولكنك إذا أعوزتك الفطرة ،

فتحت الطريق للشيطان .

(1) الى الموج .

الفصل الخامس : المشهد التاسع

المنظر : مفترق الطرق .

بير : أنت مقبل على متاعب : يا صديقى بير ، « كفاية » ،

الجان قد خذلتك . غرقت مركبك ، وعليك أن

تتعلق بحطام ، بأى شئ ، ولا تدعهم يلقتونك

على كومة الخردة .

صانع الأزداد : (عند مفترق الطرق) هيه ، يا بيرجيت ، أين شهادتك ؟

بير : ماذا ؟ عند مفترق الطرق مرة أخرى ؟ بهذه السرعة !

صانع الأزداد : اقرأ أخبارك فى وجهك كما فى كتاب مفتوح .

لست محتاجا لصحيفة تدلنى .

بير : أنهكنى البحث . المرء سرعان ما يضل .

صانع الأزداد : وبعد هذا : أين يمضى بك الطريق ؟

بير : أجل ، الى أين ؟ وأنا فى قلب الغابة والوقت ليل -

صانع الأزداد : هناك متشرد عجوز غير بعيد ، هل تدعوه

بير : لا ، دعه فى حاله ! هو سكران على كل حال !

صانع الازداد : ولكن —

پير : يا صديقي العزيز ، ليس هناك ما يشغلك ، على كل حال ، الهواء هنا منعش ولطيف بحيث يطيل في الأعمار سنوات . قس ناحية جوسيتدال كان يقول دائما : « نادرا ما يموت أحد هنا » .

صانع الازداد : الى المشرق التالي اذن ، ولكن لآخر مرة .

پير : قس ! يجب أن أحصل على قس ، ولو قبضت عليه .

پير : هذه مسألة معقدة جدا . اذن أتنازل عن هذا الجزء من القضية — كوني حقت ذاتي . هو أمر يصعب اثباته على أية حال . سأقول أنني خسرت هذا الجزء . ولكني وأنا أجوب هذه الأرض الخلاء منذ قليل أحسست بحذاء ضميري يقرصني، وقلت لنفسى: «نعم : أنت خاطيء—».

صانع الازداد : الآن تعود من جديد —

پير : لا ، أبدا ، أنا أعنى خطيئة على المستوى الكبير . ليس بالفعل فقط بل وبالهدف والكلمة كذلك . حين كنت في الخارج هبطت الى الدرك الأسفل —

صانع الازداد : هذا ما تقول ، فلم لا تقدم لى الدليل ؟

پير : أصبر على ، سأذهب وأبحث عن قس ، وأعترف له بأقصى سرعة ثم أعطيك ما يسجله عنى من أقوال .

صانع الازداد : ليكن اذن ! اذا استطعت أن تثبت دعواك نجوت من معرفة الصهر . ولكن الأوامر التي تلقيتها —

پير : كان هذا من سنوات مضت ، حينما كنت صغيرا طائشا : تكنت اذ ذاك أو من بالقدر ، وادعيت انى نبي . هيه ، هل ... ؟

الفصل الخامس - المشهد العاشر

المنظر : منحدر ذو اشباب . طريق يتاوى صاعدا في الجبال .

بير : قال «أسبين» عندما عثر على جناح قنبرة : « هذا قد يفيد من سبل عدة » . من كان يدرى أن خطايى هذه قادرة على تخليصى من هذه الورطة الأخيرة ؟ على كل حال ، فموقفى شنيع : قد أقتز من المقللة الى النار . ولكن : ثم مثل آخر أثبتت الأيام صحته : « ما بقيت الحياة دام الأمل » .

(يدخل رجل رفيع ، يلبس قفطان القسس ، وقد رفعه كثيرا عن الأرض ، وحمل شبكة ذات يد على كتفه . الرجل يعدو) .

من هناك ؟ قسيس بشبكة يد ؟ ها ، ها ، ها ! يبدو أننى محظوظ ! طاب مساؤك يا سيدى ! الطريق أمامنا صعب .

الرجل الرفيع : صحيح ، ولكنى على استعداد لما هو أصعب ، ما دمت أطلب الأرواح .

بير : اذن فشخص ما فى طريقه الى الجنة « .

الرجل الرفيع : أمل أن يذهب الى المكان الآخر .

بير : أيضايقك أن أزاملك بعض الطريق ؟

الرجل الرفيع : لا ، أبدا ! انى أسعى الى صحبة .

بير : أنا شديد القلق —

الرجل الرفيع : ! (1) Heraus ، ففضض عن نفسك !

بير : ستجدنى شخصا محترما تماما ، قد اتبعت القانون

بكل دقة ، لم يقبض على يوما ولم أدخل وراء

القضبان : ومع ذلك فخير الناس يضل الطريق

أحيانا ويتعثر —

الرجل الرفيع : قد يحدث هذا لأى انسان .

بير : لهذا — ترى أن هذه الأشياء الصغيرة —

الرجل الرفيع : أهى صغيرة ، فعلا ؟

بير : أجل ، فقد استطعت تجنب كبائر الاثم .

الرجل الرفيع : فى هذه الحالة ، يا صديقى ، امض عنى بسلام .

انا لست الرجل الذى تظن . تبدو لى شديد

الاهتمام بيدي ؟

بير : اظافرك مقلمة بشكل بديع .

(1) أغرب عن وجهى .

الرجل الرفيع : وقدمى ؟ انك تدقق فيهما النظر .

پير : (مشيرا) أهذا الحافر طبيعي ؟

الرجل الرفيع : لى الفخر انه كذلك .

پير : (رافعا قبعته) وأنا ظننتك قسيسا . اذن فلى

الشرف ان احدث — لا بديل من الاحسن .

حين يكون الباب الامامى مفتوحا ، لا يدخل

المراء من الباب الخلفى ، وحين تصادف ملكا ،

لا تنصرف عنه الى تابعيه .

الرجل الرفيع : دعنى اصفحك . لا تبدو لى متحيزا ضدى فى

شئ . عال : عال ! وماذا تطلب منى ؟ لا ، لا

تطلب مالا ولا جاها ، فلن استطيع اجابتك .

أعمالى جميعا فى ازمة وتجارتى بارت تماما ،

الارواح الجديدة نادرة ، بين الحين والحين

تقع لى روح —

پير : وهل ارتقى الانسان الى هذا الحد ؟

الرجل الرفيع : على العكس ، فهو يمضى من سىء الى اسوء ،

ومعظم الناس ينتهون الى معرفة الصهر .

پير : قد سمعت عن هذه المعرفة فوق ما أظن ،

وبسببها جئت الى هنا .

الرجل الرفيع : وما الذى يشغلك ؟

پير : أيضايقك كثيرا ان اطلت منك —

الرجل الرفيع : مسكنا مخترما ، هه ؟

پير : قد حدث مطلبى قبل أن اصرح به . تجارتك :

كما تقول ، قد بارت تماما ، ولهذا ، وجب

الا تكون بالغ التدقيق —

الرجل الرفيع : يا عزيزى —

پير : مطالبى جد متواضعة . بل اننى لا أطلب أجرا

أعيش منه . كل ما اريد أن اكون مستأجرا

ودودا .

الرجل الرفيع : غرفة دافئة ؟

پير : ليس من ضرورى أن تكون كاملة الدفء ، واذا

امكن ، فزد من عندك الاذن لى بالحضور

والانصراف كما يحلو لى . والحق — اذا

سمحت لى بتسميته حقا — فى ترك المكان

متى تحسنت الاحوال .

الرجل الرفيع : يا صديقى العزيز ، حالك تؤلمنى . لن تصدقنى

اذا حكيت لك عن حشود المطالب المشابهة التى

غير مستطيع أن أسمح لك بالدخول ، مهما كانت
رغبتى في ذلك .

بير : اذن اصغ الى . حينما غرقت بى الباخرة :
استمسكت بزورق مقلوب . يقول المثل « الغريق
يتعلق بقشّة » . وآخر يقول : « كل يقول :
نفسى » . وما حدث هو اننى تقريبا سلبت
الطباخ حياته .

الرجل الريفى : لست آبه لو كنت ، تقريبا ، سلبت خادمك
شيئا آخر . ما هذه الـ « تقريبا » التى تكثر
من استعمالها ؟ مع احترامى الشديد لك أسألك :
من الذى يرضى تبديد الوقود الثمين فى حرق
أرواح ضعيفة مثل روحك ؟ الآن ، لا تغضب
انما اسخر من ذنوبك ، وليس منك . اغفر لى
اننى صريح هكذا . هيا ، هيا ، يا عازر الاصدقاء ،
انس طلبك هذا : وهبىء نفسك لمغرفة الصهر .
تأمل ، أنت رجل عاقل . ماذا كنت تكسب اذا
أعطيتك مسكنا وماكلا ؟ ستبقى لك ذاكرتك ،
هذا صحيح ! ولكن ماذا يغنيك هذا ؟ لا قلبك
ولا عقلك واجدان لذة فى حياة كهذه . لا !

اتلقاها من أصدقاء اعزاء مثلك ، حالما يوشكون
أن يتركوا مساكنهم فى هذه الدنيا .

بير : ولكنى حين استعرض اعمالى الماضية : اشعر
ان لى أكثر من حق فى الدخول .
الرجل الريفى : ولكن ذنوبك تافهة .
بير : أجل ، من بعض الوجوه ، باستثناء الاتجار فى
الزواج .

الرجل الريفى : بعض الناس تاجر فى العقول والارواح ، ومع
هذا فقد أساءوا التصرف الى الحد الذى لم
يسمح لهم فية بالدخول .

بير : وما رأيك فى الأصنام التى أرسلتها الى الصين ؟
الرجل الريفى : سخيفة . تجعلنا نضحك . غيرك من الناس أخرج
ما هو اسخف منها فى العظات الدينية وفى الفن
والأدب ، ومع ذلك لم ندخلهم . .

بير : أتعلم اننى مرة ادعيت النبوة ؟
الرجل الريفى : بالخارج ؟ كلام فارغ ! معظم
Sahen Ins blaue التى يشغل بها الناس ينتهى بهم الى مغرفة
الصهر . اذا كان هذا كل ما تؤيد به حقا ، فانا

لعلك تعرف أن شخصا ما في باريس قد اكتشف مؤخرا طريقة للتصوير باستخدام الشمس . تستطيع بهذه الطريقة أن تحصل على صور مباشرة ، أو على صورة سالبة أولا . في النسخة السالبة يكون الظل والنور عكس ما هو في الطبيعة : ولهذا تبدو الصورة للعين غير المدربة قبيحة المنظر ، غير أن التماثل مع الطبيعة موجود . وكل ما هو مطلوب شيء من الجهد لإبراز التماثل . فإذا حدث لاحدى الأرواح أن صورت نفسها بطريقة سالبة ، أحضرت الى صورتها . هنالك أعمال فيها عملي ، فيتم التحويل . ترانى أغمسها في المحلول ، وأعالجها بالبخار ، وأحرقها وأنظفها بالكبريت وغيره من الكيماويات ، حتى تظهر بالصورة التي كان واجبا أن تظهر بها من الأول . ونحن نسمى هذه « البوزيتيف » ولكن اذا راح أحدهم ، مثلما فعلت : فأفنى نفسه افناء بالشطب والبقع ، وما اليه ، فلن تستطيع أية كمية من الكبريت أن تنقذه .

بير : إذن فهم يأتونك سودا كالغربان ، ويتركونك

كل ما تحصل عليه مجرد عيشة نكدة . لن تجد فيها ما يضحك أو يبيحك . لا شيء فيها سوف يبهجك أو يؤسبك . لا شيء يرفع حرارتك أو يخفضها . وانما قلق دائم يواجهك .

بير : يقولون انك لا تعرف أين يؤلم الحذاء حتى تلبسه .

الرجل الربيع : هذا صحيح تماما . بفضل فلان أنا بفردة حذاء فقط . على كل حال ، من حسن الحظ اننا تحدثنا عن الأحذية ، فإن هذا يذكرني بضرورة الانصراف فوراً . أنا وراء صيد ثمين . أرجو أن يتحقق فيه ظنى . أنا ذاهب . لا وقت عندي للثرثرة .

بير : هل لى أن أسأل أى ذنب جعل صيدك هذا ثميناً ؟

الرجل الربيع : أظن أن ذنبه أنه حقق ذاته ليل نهار . أعتقد أن هذا ، في الحقيقة هو جوهر المسألة .

بير : ذاته ؟ أهذا النوع يدخل في اختصاصك ؟

الرجل الربيع : يدخل أو لا يدخل ، حسب الأحوال . الباب دائما مفتوح قليلا . اذكر انك تستطيع تحقيق ذاتك بطريقتين — احدهما خطأ والأخرى صواب .

يقطر . سيخيب ظنه ، كان جميلا أن أخدع مثل
هذا الحمار . شد ما أتعبنى بادعاءاته ! وتظاهره
بأن سيد كبير ! كأن لديه ما يمكن التظاهر به
حقا ! لن يثرى قط من وراء عمله الحالى ،
سيسقط يوما من غصنه العالى ، وتسقط معه
حقيقته الملية بالحيل . على أنتى أنا تقسى لست
آمنا ! أن نبلاء الذات قد طردوني .

(يرى شهاب فى السماء . يتبعه بير) .

تحيات بيرجيت لك ، يا أخى الشهاب !

المع ، وانظفئ ، وتوار الى الأبد .

(يبدو كمن ينكمش خوفا ، يزداد اختفاؤه

فى ضباب الرذاذ . يهدأ فترة ، ثم يصيح :)

ألا يوجد أحد ، أحد فى هذا العالم الفسيح ، فى

أعماق الأرض أو فى أعلى السماء ؟

(يعود ، ويرمى قبعته على الأرض ، ويمزق

شعره . ثم يهبط عليه تدريجيا سكون

كبير) .

اذن فالروح قد تعود . فقيرة كل الفقر ، الى

الضباب الأشهب الذى يلف العدم . أيتها الأرض

الجميلة ، لا تغضبى ، لأنى وطنتك دون أن أترك

وقد أصبحوا فى بياض الطيور الناصعة ؟ هل لى

أن أسألك من ذا الذى تريد أن تحيل صورته

السالبة الى أخرى موجبة ؟

الرجل الرفيع : اسمه بيرجيت .

بـير : بيرجيت حقاً ؟ وهل حقق ذاته ؟

الرجل الرفيع : يؤكد أنه فعل .

بـير : انه جدير بالثقة — هذا البيرجيت .

الرجل الرفيع : تعرفه ؟

بـير : أحنى له رأسى كلما رأيته ، مجرد معرفة عابرة .

الرجل الرفيع : قد تأخرت . أين رأيته آخر مرة ؟

بـير : جنوبا عن الرأس .

الرجل الرفيع : دى بونا سيرانترا ؟

بـير : نعم : ولكن لا أظن أنه سيبقى هناك أكثر مما

فعل .

الرجل الرفيع : اذن فلأسرع . أمل أن أجده . الى الرأس ،

وان كان مكانا غير طيبا ، مليئا بالمبشرين من

ستافانجر .

(يندفع الى الجنوب) .

بـير : الكلب التذر ! انظر اليه كيف يندفع ولسانه

• (ينكمش يير جينت رعبا)

يسير : لا ، لا تنظر هناك ، انها أرض خلاء من أسف !

• فقدت قبل موتى بوقت طويل .

(يحاول أن يزحف الى الشجيرات ، ولكنه

ينتهى الى مفترق الطرق) .

صانع الأزداد : طاب صباحك ، يا بيرجنت ! أين قائمة خطاياك !

يسير : بحثت في كل مكان .

صانع الأزداد : ولم تجد احدا . ?

يسير : مجرد مصور شمسي جوال .

صانع الأزداد : اذا فقد جاء اجلك .

يسير : قد انتهى كل شيء . اتسمع هذه البومه تصوت ?

• لا ريب انها احست بقرب طلوع الفجر .

صانع الأزداد : انه جرس الكنيسة يدق لصلاة الصبح .

يسير : (مشيرا) ما هذا الضوء هناك ?

صانع الأزداد : كوخ .

يسير : اسمع صوتا يشبهه صوت الريح تضرب الاشجار .

صانع الأزداد : امرأة تغنى .

يسير : هناك . هناك اجد قائمة خطاياي .

• (يمسك به صانع الأزداد)

أثرا . أيتها الشمس الجميلة ، قد أضعت ضوءك ،

ضوءك المجيد ، في بيت خال . لم يكن فيه أحد

يهش للضوء وينتعث ، فصاحب البيت قد ذهب .

أيتها الشمس الجميلة ، أيتها الأرض الجميلة ،

قد بددتما الضوء والقوت ، اذ أسبغتماهما على

أمى ! يا لضعة الروح ، ويا لكرم الطبيعة !

ما أفدح الثمن اذ يدفع المرء حياته لقاء الميلاد !

سأصعد الى أعلى قمم الجبال ، وأرى مرة أخرى

مشرق الشمس ، وأحدق في الأرض الموعودة

حتى تكمل عيناى . وبعدها فليتراكم الثلج على

جسدى وليكتب الناس على قبرى : « ها هنا لم

يدفن أحد » . ثم ليكن ما يكون .

• (يغنون في المر) .

رواد الكنيسة

يا صباحا أزهى من كل صباح ،

فيه خرجت سهام مملكة الله

لتضرب الأرض سيوف مشتعلة !

الآن يصعد من الأرض .

نشيد عباد الله ، متوجها صوب

سمائه على السنه أهل مملكته .

لا ! لا ! هذه المرة الطريق الى الأمام مهما كان
الممر ضيقاً !

يجرى الى الكوخ . في هذه اللحظة تخرج
سولفيج في ملابس نليق بالكنيسة ، وكتاب
صلاتها ملفوف في منديل ، تمسك في يديها
عصا . تقف برهة ، منصبة ، رقيقة .
يلقى بيرجينت بنفسه فوق العتبة .

أصدرى الآن حكماً على هذا الخاطيء المائل
أمامك .

سولفيج : هو ! هو ! الحمد لله !

(تلمس طريقها اليه) .

بير : اهتفى معلنة ذنوبي وآثامي !

سولفيج : لم تذب في شيء ، يا حبي الوحيد .

(تلمسه مرة اخرى فتجده) .

صانع الأزداد : (خلف الكوخ) . القائمة ، يا بيرجينت !

بير : اعلنى ذنوبي بصوت عال !

سولفيج : (تجلس الى جواره) .

لقد جعلت حياتي أغنية جميلة . عليك بركة الله
اذ عدت الى في النهاية ! ومبارك ، مبارك صباح
هذا العيد !

بير : ضعت !

سولفيج : هناك اله يرحم .

صانع الأزداد : آن الاوان كنى ترتب بيتك .

(قد خرجا الآن من الاجمسة ووقفا قرب
الكوخ . طلع الفجر) .

بير : ارتب بيتي ؟ انه هناك ! خل عنى ! لو ان

مغرفتك كانت في حجم التابوت ، لظلت مع
هذا أصغر من أن تحتوينى وخطاياى .

صانع الأزداد : اذن فالى المقترق الثالث ، يا بيرجينت ، ولكن
هنالك !

(يستدير ويذهب) .

بير : (مقترباً من الكوخ) .

الى الامام او الى الورا ، نفس المسافة . بالداخل
او بالخارج المرضيق . (يتوقف) . لا ! انا
اسمعها — صرخة فطرية لا تنتهى ، تدعونى الى
الدخول ، الى العودة من حيث آتيت ، العودة
الى البيت .

(يتقدم خطوات ثم يتوقف ثانية) .

« فى طريق دائرى » ، قال لى البويج .

(يسمع الغناء فى الكوخ) .

(يتعلق بها ويخفى وجهه في حجرها .
صمت طويل . تشرق الشمس) .

: (تغنى في رقة) . **سولفيج**

نم ، يا حبيبي ، يا أعز حبيب !
سأهزك لتنام وأسهر عليك .

جلس الولد على حجر أمه .
قد لعبا سويا اليوم بطوله .
ليرقد الولد في حضن أمه .

اليوم بطوله . باركك الله يا حبيبي !
لينم الولد عند قلب أمه ،

اليوم بطوله . هو الآن تعبان .
نم ، يا حبيبي ، يا كنزى ، ثم . نم .

: (خلف الكوخ) . **صانع الازداد**

سنتقابل عند آخر مفترق ، يا بير ، اذ ذاك ترى
ما اذا — لن أزيد .

: (لا يزال صوتها يرتفع بالغناء كلما زاد اشراق
الشمس) . **سولفيج**

سأهزك ، وأسهر الى جوارك .

نم ، واحلم في سعادة ، يا حبيبي العزيز الأثير !

النهـاية

: (يضحك) ضعت ! الا اذا حلت اللغز !

: اسألنى ! **سولفيج**

: أسألك ! أجل ، عليك أن تجيبى . أين كان
يبرجيت مذ رأيته آخر مرة .

: أين كان ؟ **سولفيج**

: وخاتم المصير على جبينه ، أين كان منذ انبثق
أول مرة كأنه فكرة جديدة تولد في رأس الاله ؟
أتستطيعين أن تجيبى ؟ ان لم تفعلنى وجب أن
أعود الى وادى الظلال .

: (باسمة) لغزك هين . **سولفيج**

: اذن قولى ، أين كنت ، أين كانت ذاتى الحققة ،
كل ذاتى ، ذاتى الصحيحة ؟ أين كنت ، وخاتم الله
على جبينى ؟

: كنت في ايمانى ، في أملى ، في جيبى . **سولفيج**

: (متراجعا في دهشة) .

ماذا تقولين ؟ تتحدثين بالألغاز . تتحدثين كما
تتحدث الأم عن طفلها .

: هذا حق ، ولكن من والد الطفل ؟ انه من يعفو
حين الأم تدعوه . **سولفيج**

: يا أمى ! يا زوجى ! أيتها المرأة المقدسة ! خبيبتى
خبيبتى فى ثنايا حبك !

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٨ -	هيدا جابلر	هنريك ايسن	٤٧ -	الزفاف الدامي	فديريكو جيترايا لوركا
١٩ -	سبات المشاعل	بول هارلبييه	٤٨ -	الغاطيسة	لودوتن ويلندر
٢٠ -	كنوك	جول رومان	٤٩ -	اعرف نفسك	بول هرفيو
٢١ -	جون والطاوس	شبن اوكاسي	٥٠ -	الخصي	ترنجيبوس اسير
٢٢ -	دون جوان	موليير	٥١ -	فترة النواقي	تتيسى ولباهز
٢٣ -	بيت برناردا اليا	فديريكو غرسييه لوركا			
٢٤ -	القرود الكتيّف الشعر	يوچين اوتيل			
٢٥ -	ماساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو			
٢٦ -	الاستاذ كليلوف	كارن برامسون			
٢٧ -	ثورة لوتو	اروين شو			
٢٨ -	ما تعرفه كل امراة	اوسكار وايلد			
٢٩ -	اهمية أن يكون الانسان جادا	چيمس باري			
٣٠ -	دائرة الطباشير التوقازية	برنولت برشت			
٣١ -	منزل الغلوب الحطمة	چودج برناره شو			
٣٢ -	القيتارة الحديدية	جوزيف اوكونور			
٣٣ -	افكار مينبائية	نويل كوارد			
٣٤ -	زوجة مستر تانكرى الثانية	آرثر وينچ بنينو			
٣٥ -	عندما يمت نحن الموتى	هنريك ايسن			
٣٦ -	لا وقت للفكاهة	س . ن . بومان			
٣٧ -	سيغفريد	جان چيروود			
٣٨ -	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات			
٣٩ -	رغبة تحت شمس الردراد	يوچين اوتيل			
٤٠ -	حورية البحر	هنريك ايسن			
٤١ -	جزء خضمانهم	سومرست موم			